أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٥١) رجب ١٤٣٢هـ ـ يونيو - يوليو ٢٠١١م

ابن عاشور: غياب المشروع الثقافي سببه الرؤى الشخصية

الاجتماع ... رحمة

«الوعي الإسلامي» في معرض الكتاب الإسلامي الـ ٣٦

تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك

تمويل المساكن من أموال الزكاة

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

فيديو كليب

أغلى وطن

رائعة من روائعنا المرئية
تلخص سر الانتماء والوطنية
لدرة الخليج .. كويتنا الأبية
أنشودة وطنية في حب الكويت
نهديها لكل عاشق لوطنه

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

ألحان وأداء
صلاح الهاشم
الطفلة / الثريا

الآن.. اطلب نسختك

إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com

الافتتاحية

عُمّار المساجد

فإن من أعظم الطاعات، ملازمة الجمعة والجماعات، وبناء المساجد، المُعدَّة للراكع والساجد، وعبادة الرب المعبود الواحد، وصونها من الأذى، وتنزيهها من اللغط والبذاء، والمحافظة على الصلاة بها في كل حين، كما هو دأب عباد الله الصالحين.

فقد قال خير الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح»، والاجتهاد على بنائها من المال الحلال تقربًا إلى ذي الجلال، فقد قال النبي ﷺ المرشدُ إلى العمل بالكتاب والسنة: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»، فطوبى لمن بنى المساجد بالنية الصالحة، ورأى الإخلاص فيها من الأعمال الناجحة، الموضوعة غداً في الموازين الراجحة، وهذه سعادة عظيمة، وموهبة كريمة، مخصوصة بمن عظّم هذا الدين، والدليل على ذلك قول رب العالمين: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

وأحاديث الترغيب في بنائها كثيرة، ولباعث العزم عليها مثيرة، فالمساجد هي بيوت الله تبارك وتعالى التي يُفرد فيها سبحانه بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)، وهي مهابط الأنوار، ومجالس الأخيار، ومنازل المتقين الأبرار، وكهف العُباد، وعصمة للبلاد من الضلال والفساد، ومنارة الهدى والرشاد، مزار العارفين، وملاذ الراكعين والساجدين، وملجأ المهتدين والسالكين، هي ركن المسلم الرشيد، وراحة القلب المريد، ونور وضياء لمن أراد أن يستفيد، إنها تهدي القلوب، وتُفرِّج الكروب، وتقرّب إلى علام الغيوب، ومن دخلها كان آمنًا، ومن قصدها كان راشدًا، ومن أوى إليها كان سالكا، ومن يعتصم بحبلها فقد هُدي إلى صراط مستقيم.

كيف لا يكون للمساجد هذا الإجلال، ولِمَ لا يكون لها هذا الشرف والإقبال، ومن فوق مناراتها يؤذِّن خلفاءُ بلال، ينادون إلى الهدى والصلاح، الله أكبر، الله أكبر.. حي على الصلاة، حي على الفلاح.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥١

العام الثامن والأربعون

رجب ١٤٣٢ هـ

يونيو - يوليو ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

الوقف الإسلامي.. روافد تنموية ١٠

موضوع الغلاف

يوم الجمعة كان وسيظل إلى يوم القيامة سيد الأيام وأفضلها وأعلاها مقامًا فهو يوم الاتصال الأسبوعي الذي تناقش فيه قضايا الأمة ومشكلاتها وتوضع الحلول الناجعة لها، ومن واجب المسلمين حكامًا ومحكومين أن يقدروا هذا اليوم ويعطوه حقه.

خطبة الجمعة وأزمة الخطيب ١٦

جامع ومدرسة السلطان حسن في القاهرة ٨٤

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥ (٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩ (٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١ (٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣ - دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

الكويت: ٥٠٠ فلس السعودية: ٧ ريالات البحرين: ٥٠٠ فلس قطر: ٧ ريالات الإمارات: ٧ دراهم سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة الأردن: دينار واحد مصر: ٢ جنيه السودان: ٥٠٠ جنيه موريتانيا: ٢٠٠ أوقية تونس: ٢ دينار الجزائر: ١٠ دنانير اليمن: ٧٠ ريالا لبنان: ٢٠٠٠ ليرة سورية: ٣٠ ليرة المغرب: ١٠دراهم ليبيا: دينار واحد اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله اميركا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ عُمّار المساجد	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ ذكرى الإسراء ودوافع الأمة	التحرير
٦	حوار/ مع المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	العزيز بن عاشور
٨	فكر/ أوقات الأولين	المنشاوي الورداني
١٠	أحكام/ الوقف الإسلامي .. روافد تنموية متعددة	دار الإعلام العربية
١٢	خاطرة/ عن الهصور الزؤور حين يتمطى	حياة الياقوت
١٤	ملف العدد/ يوم الجمعة (مقدمة)	التحرير
١٤	ملف العدد/ خطبة الجمعة ودورها الإعلامي والحضاري	د.عبدالله بدران
١٦	ملف العدد/خطبة الجمعة وأزمة الخطيب	د.محمد متولي
١٨	ملف العدد/ تأملات في جمعة المسلمين	أحمد عبدالجواد زايدة
٢٠	ملف العدد/ يوم الجمعة يوم الاجتماع والرحمة	التحرير
٢١	ملف العدد/حكمة صلاة الجمعة	جاسر عودة
٢٢	ملف العدد/حضارة الإسلام في مشهد الجمعة	محمدالهامي
٢٤	ملف العدد/ يوم الجمعة في الميزان	رشيد ناجي الحسن
٢٧	ملف العدد/ الجمعة بين إعداد الخطبة وثقافة الخطيب	عامر أحمد عامر
٢٨	ملف العدد/ مقاصد الجمعة وأثرها في توحيد الأمة	د. مسعود صبري
٣٠	ملف العدد/ ماذا عن سيد الأيام؟	د.حسن أبوغدة
٣٣	دراسات/ حوار الأديان في مطلع الإسلام	د.عبدالحليم عويس
٣٨	دراسات/ المبهمات في القرآن الكريم	د. سامي عطا حسن
٤٢	دراسات/ تمويل المساكن من أموال الزكاة	د.عبدالفتاح محمود إدريس
٤٦	دراسات/ أسئلة تعليمية حول الوقف الإسلامي	د. صالح النهام
٥١	باب الأدب/ سلاح الأدب (مقدمة)	التحرير
٥٢	باب الأدب/ حرية الإبداع كلمة حق يراد بها باطل	محمد عبدالشافي القوصي
٥٤	باب الأدب/ وإذا ما غضبوا هم يغفرون (قصة).	محمد السعيد مصطفى
٥٥	باب الأدب/ ثمرات المطابع	التحرير
٥٦	باب الأدب/ ماذا نقصد بالأدب القرآني الجديد؟	محمود رداوي
٥٧	باب الأدب/ في ذكرى الإسراء والمعراج (شعر)	عبدالغني أحمد ناجي
٥٨	باب الأدب/ العلماء والادباء الإسلاميون يرسمون مستقبل لغة القرآن (تحقيق)	أحمد محمد عبد العظيم
٦٠	أنباء الكتب/ تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك	التحرير
٦٢	حضارة/ الاستغراب.. المعادل الموضوعي للاستشراق ٤/٣	دار الإعلام العربية
٦٤	اقتصاد/ الهدي النبوي في التنمية	مولاي المصطفى
٦٧	ملف الأسرة/ الأسرة البديلة (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة/ الحوار الأسري وسيلة تربوية تعليمية	بشرى شاكر
٧١	ملف الأسرة/ الوعي الجمالي عند الأطفال أساس التفوق والإبداع	نجاح منصور
٧٢	ملف الأسرة/ أسباب فشل العلاقة بين الرجل والمرأة	إبراهيم علي إبراهيم
٧٣	ملف الأسرة/ وصفة ليست سحرية	إيمان القدوسي
٧٤	ملف الأسرة/ النضج العاطفي عند الشباب	مي علي إبراهيم كشك
٧٥	ملف الأسرة/ ذات الدين	أحمد عبداللطيف النجار
٧٦	ملف الأسرة/ الإعلام والمرأة	التحرير
٧٩	ملف الأسرة/ المكتسبات اللغوية عند الأطفال	محمد مصطفى ناصيف
٨٠	حوار/ مع الداعية الشيخ حازم أبوإسماعيل	بدر محمد بدر
٨٣	أعلام/ الشيخ محمد بهجة البيطار	التحرير
٨٤	منارات/ جامع و مدرسة السلطان حسن في القاهرة	تركي محمد النصر
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم والمعرفة	هالة محمد
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ تحامل على دين سمح كريم	إبراهيم نويري

كلمة العدد

ذكرى الإسراء ودوافع الأمة

يصدر هذا العدد والأمة المسلمة في بقاع الأرض شتى تستقبل ذكرى الإسراء والمعراج.. تلك الرحلة التي أكرم الله بها نبيه بالإسراء من المسجد الحرام في مكة المكرمة الى المسجد الأقصى في القدس ومن ثم العروج إلى طبقات السموات العلا حيث الدروس والعبر والأحكام والعظات وحيث العطاء الروحي والسمو بالفكر الوجداني.

ما أحرى الأمة وهي تعيش ذكرياتها أن تعكس مدلولات ومكنونات كل ذكرى إلى واقع محسوس في دنياها فتحول الذكرى إلى جامعة نافعة تتخطى فيها حدود القول والتغني اللفظي بالأمجاد إلى نطاق العمل. فلا معنى إطلاقاً للصلاة والتي فرضت في الإسراء والمعراج إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر وإذا لم تجعل من المسلمين صفًا واحدًا متراصًا في وجه كل قوى الظلم والطغيان والاحتلال تمامًا كما هو واجب عليها أن تكون في ركوعها وسجودها وفي كل شعائر دينها الأخرى.

لقد انتصر المسلمون في الماضي بوحدة الكلمة وجمع الصفوف وترابط القلوب فلم ينقسموا على انفسهم ولم يسمحوا للفتن أن تتسلل إليهم ولا للمطامع والأحقاد أن تدمر قواهم وتذهب ريحهم بل كانوا مع الله فكان الله معهم وحرروا أرض الإسراء في عزة وإباء.

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العزيز بن عاشور:

غياب المشروع الثقافي للهوية العربية سببه اختلاف المصالح والرؤى الشخصية

القاهرة - دار الإعلام العربية

أكد د.محمد العزيز بن عاشور، مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) وجود خطة لبلورة خطاب ثقافي جديد تتعايش فيه مقتضيات تأصيل الهوية وفي الوقت ذاته مواكبة العصر، وفضلاً عن تشجيع الإبداعات العربية المعاصرة في مختلف مجالات الفكر والأدب.. كما أكد في حوار خاص مع «الوعي الإسلامي» العمل على صياغة فلسفة جديدة لمحو الأمية وتعليم الكبار، وكذا خطط لتعميم التعليم الأساسي وتوحيد السلم التعليمي وأسس المناهج بين الدول العربية.. تفاصيل أوفى في سياق الحوار التالي:

نسعى إلى نشر المعرفة بين العرب ولدينا اهتمام كبير بحركة التعريب

● تفتقر كثير من المنظمات الثقافية العربية إلى ما يسمى «المجال الموسوعي».. فهل ينطبق ذلك على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تتولون مسؤوليتها؟

- سياسة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تسعى إلى نشر المعرفة بين الجمهور الثقافي العربي العريض، لكنها تميزت باقتحام المجال الموسوعي فأنجزت فيه العديد من الأعمال من مؤسسات مختلفة مثل موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، وتصدر تباعا في خمسين مجلدًا، بالإضافة إلى موسوعات أخرى في مجال الفن العربي الإسلامي، والصحافة العربية، وكذا الموسوعة الفلسطينية في عشرة مجلدات.

أيضا لدينا اهتمام كبير بحركة التعريب، الذي يحظى بأولوية في برامج المنظمة ونشاطاتها، وفي هذا السياق تسهم المنظمة إسهاما جادا في تعريب المصطلح العلمي والتقني، وتصدر سلسلة من المعاجم تضم المصطلحات العربية الموحدة في كثير من العلوم الإنسانية والتكنولوجية، وقد أصدرنا بالفعل أكثر من ثلاثين معجما في مختلف الاختصاصات.

الانفتاح على الآخر

● وما مدى التأثير الذي أحدثته العولمة في ثقافتنا العربية والإسلامية؟

- هناك جانبان للعولمة، الأول إيجابي أحدث انفتاحا على جميع المجتمعات، ومبدأ الانفتاح على الآخر هو ركيزة من ركائز الحضارة العربية الإسلامية، وهذه القدرة على الانفتاح من أسباب نجاحها تاريخيا، وبالتالي نحن العرب نرى في هذه «العولمة» عنصرا إيجابيا، لكن هناك جانبا آخر للعولمة كما هو الشأن بالنسبة للاقتصاد، هذا الجانب يتمثل في خطر هيمنة النموذج الثقافي على سائر الثقافات الأخرى وخطر فقدان التنوع الثقافي وتهديد الخصوصيات الثقافية والحضارية.

● وما موقفكم من هذا النوع من الانفتاح؟

- ينبغي، وبخاصة لنا كمنظمة عربية ثقافية إسلامية، أن نسعى ونساهم في تعزيز الانفتاح في كنف الدفاع عن هويتنا والإسهام في حضارة العصر انطلاقا من خصوصيتنا الثقافية والحضارية، ونسعى في الوقت نفسه للتصدي لأخطار الهيمنة من جانب نموذج ثقافي بعينه على بقية الثقافات، ولفت الانتباه لخطر ما يمكن وصفه بـ«التنميط الثقافي»، فالحياة تعني التنوع وكذا الهوية، مع الاستعداد التام للانفتاح على الآخر.

● في تقديرك.. كيف يمكن بناء

حائط صد أمام هجمات الغزو الفكري لهويتنا العربية الإسلامية؟

– التصدي لكل التحديات المتصلة بالغزو الفكري يجب ألّا نقف أمامها من منطلق دفاعي متخوف، إنما يجب علينا مواجهة هذه التحديات بإبراز قدرتنا على مواكبة العصر، وإذا كانت هناك ثقافة ساعية إلى السيطرة والهيمنة فنحن لنا أيضًا ثقافتنا وإرادتنا على الإضافة وإثراء الآخر.

مشروعات طموحة

● وماذا عن الرؤية المستقبلية لمنظمتكم خلال السنوات المقبلة؟

– لدينا خطة تم وضعها بداية من العام الماضي وحتى ٢٠١٦ لتحقيق مشروعات طموحة، منها مشروع النهضة بالتربية وتطوير التعليم في الوطن العربي، ومشروع تطوير اللغة العربية والتوجه بها نحو مجتمع المعرفة، مع مواصلة تنفيذ برامج أخرى عديدة في مقدمتها العناية بالمحتوى العربي الحاسوبي، وبرنامج العناية بالتراث والآثار الإسلامية في الوطن العربي.. لكن الأولوية هي قضية التعليم من خلال العمل على صياغة فلسفة جديدة لمحو الأمية وتعليم الكبار وتطوير التشريعات الوطنية المتصلة بهذا المجال، وتأصيل المفهوم الحضاري لمحو الأمية، وقمنا بوضع خطط لتعميم التعليم الأساسي وتوحيد السلم التعليمي وأسس المناهج بين الدول العربية، واقترحت من أجل ذلك مناهج مرجعية متطورة في اللغة العربية والعلوم والرياضيات.

● وماذا عن رؤيتكم للحال الثقافي في عالمنا العربي والإسلامي؟

– قطاع الثقافة بالمنظمة يعمل حاليا على بلورة خطاب ثقافي جديد تتعايش فيه مقتضيات تأصيل الهوية مع مواكبة العصر، وفي هذا الإطار تعنى المنظمة بالمحافظة على التراث في العالم العربي والإسلامي وصيانته وتوظيفه، وتهتم أيضا بتشجيع الإبداعات العربية المعاصرة في مختلف مجالات الفكر والأدب عن طريق التعريف بهذه الإبداعات وإقامة المعارض والمسابقات.

الانفتاح على الآخر إحدى ركائز الحضارة العربية الإسلامية الأساسية

اختلاف المصالح والرؤى

● إذا انتقلنا إلى مجال المعلومات والاتصال.. هل هناك إسهامات للمنظمة في بناء قواعد معلومات وتطوير تكنولوجي لتوطين مجتمع المعرفة والحضارة الرقمية؟

– لنا نشاط مكثف من أبرز معالمه إنشاء بنك للمعلومات «فارابي» يضم مجموعة من الأجهزة والبرمجيات تشمل بناء ١٦ قاعدة للمعلومات يجري تحديثها بشكل مستمر، وتتميز بقواعد ببليوغرافية للمطبوعات العربية، كما تساهم المنظمة في تنسيق جهود الدول العربية لإقامة وتوطين مجتمع المعرفة والحضارة الرقمية وتشجيع الفرق البحثية العربية على تطوير وإنجاز أدوات حاسوبية تمكن من انطلاق اللغة العربية وتسهل استخداماتها في الشبكات العالمية، وإعداد نظام حاسوبي نحوي حرفي للغة العربية «الاشتقاق والتصريف»، كما نرعى حاليا نظاما حاسوبيا لتطوير قراءة الحرف العربي ضوئيا.

● وهل هناك تدخل من جانب المنظمة في تقرير مناهج ثقافية في المؤسسات التعليمية العربية؟

– نحن كمنظمة نحترم اختيارات المناهج الثقافية والعلمية التي تقررها كل دولة عربية على حدة، وذلك من قبيل احترام سيادة كل دولة.

● وما طبيعة التعاون القائم بينكم وبين المؤسسات التعليمية والثقافية العربية؟

– انطلاقا من خبرتنا نساعد في نشر الثقافة التنويرية والفكر الإسلامي المستنير الذي يسعى جاهدا إلى تعزيز ديننا الحنيف، ليكون شبابنا قادرين على مواكبة العصر مع الاحترام التام لروح ديننا الإسلامي الحنيف ورسالته السماوية.

● وبماذا تفسر عدم ظهور مشروع ثقافي جاد بهوية عربية إسلامية؟

– سبب ذلك اختلاف المصالح والرؤى الشخصية.. كل يريد تحقيق مشروعه دون النظر إلى المصلحة والهوية.

● «تربية وثقافة وعلوم».. هل أنت راضٍ عن مستوى هذا الثالوث عربيًا؟

– غير راض تمامًا، لكن نحن نحاول أن نصل إلى الأفضل.

● الإعلام والثقافة.. كيف يكونان وجهين لعملة واحدة؟

– الإعلام والثقافة وجهان لعملية تطور الأوضاع العربية، هذه الأوضاع تطورت تاريخيا وتشهد اليوم انفتاحا مطلقا لوسائل الإعلام، وتفننا في إبداء الرأي والأطروحات، ولكي يكون الإعلام والثقافة وجهين لعملة واحدة لابد أن نمر دونما إطالة إلى مرحلة المسؤولية التامة من جانب الإعلاميين والمثقفين حتى نمارس حقوقنا المشروعة في إبداء الرأي واختلاف الرأي وحق نشر المعلومات بشرط أن يتم في كنف الشعور بالمسؤولية، وعلى المثقف والإعلامي ألا يقدما شيئا للرأي العام إلا بعد التثبت والتبين.

خلاصة التجربة

● أخيرا.. حدثنا عن خلاصة تجربتك مع السياسة والثقافة، ماذا ربحت وماذا خسرت؟

– ربحت الكثير على المستوى الثقافي بفضل ما أخذته عن أساتذتي وما تعلمته من زملائي في الجامعات والمثقفين والباحثين في مجال «التاريخ والتراث» وهذا مجال الاختصاص، وما تعلمته من اكتشاف واطلاع على الإبداع الثقافي عالميا وعربيا.. أما في مجال السياسة كوزير سابق للثقافة فقد كانت تلك تجربة مفيدة زادت فيها صلتي بالمثقفين.

أما خسارتي فانحصرت في الانتقادات اللاذعة التي جاءت للأسف في فترة معينة دون أن تستند إلى معطيات حقيقية.

أوقات الأولين

المنشاوي الوردانى

النفس البشرية عجيبة جدًا.. فهي إن لم تشغل بالحق شغلت بالباطل. وإذا أعرضت عن عبادة الرحمن شغلت بعبادة الشيطان. ولقد ذكر القرآن الكريم أشكال وأنواع هذه النفس البشرية العجيبة في قصص الأولين.. حيث كانت أوقاتهم عبثًا وظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون. لذلك كانت الإشارات القرآنية كثيرة ومتنوعة إلى هذا العبث وذلك اللعب.. وكلها أكدت في النهاية أن أوقات الأولين لم تكن لمنفعة خالصة لله ولا لصالح البشرية والمجتمع وإنما كانت «لهوًا ولعبًا».. وظلوا في كل السير في «خوض يلعبون».

تعددت أشكال وأفانين إضاعة الوقت لدى الأولين.. فمنهم من جعل الأيام أعيادًا ومهرجانات للمجون والخلاعة ومعاقرة الخمر ومضاجعة النساء.. بل إن هناك أمما طغت في ذلك فقضت وقتها في اكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال.. وهناك أمم شغلت وقتها ببناء الصروح والقصور.. ولكنها لم تكن لله.. ولكن كانت للاستعلاء على الرسل والفقراء.. وللتأكيد على قوتهم وجبروتهم في البنيان والعمران.. وظنوا بذلك أنهم مانعتهم حصونهم من الله. وهناك أمم شغلت بالسحر والكفر واتخذت الصور والتماثيل والأصنام.. بل إن هناك أمما شغلت أوقاتها بأفانين الكيد والانتقام من المؤمنين.. بداية من السخرية والاستهزاء والضحك.. ونهاية بحفر الأخاديد والخنادق لإلقاء المؤمنين فيها كنوع من التسلية واللعب.. وهم أمام لهيبها وصراخ المعذبين فيها يمرحون ويلعبون ويضحكون!.. هكذا كانت أوقات الأولين.

ذكر الثعالبي والقرطبي وغيرهما ما ذكره أبوأمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ في سبب هلاك عاد قوم هود «لشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام»...

أوقات الأولين لم تكن لمنفعة خالصة لله ولكن كانت لهوًا ولعبًا

ويتبين من الحديث حال أوقات الأولين التي كانت نساءً وخمرًا... وزينة طائلة وانتهاكا لحرمات الله.. وكذلك كانت أوقات ثمود قوم صالح.. كما كانت لهم أعياد يخرجون إليها بالأصنام، وكانوا يسمون الأيام، فيوم الأحد الأول، والاثنين أهون، والثلاثاء دبار، والأربعاء جبار، والخميس مؤنس، والجمعة العروبة، والسبت شبار.. وفيه يقول الشاعر:

أؤمل أن أعيش وإن يومي
بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته
فمؤنس أو عروبة أو شبار

وكذلك كانت أوقات أصحاب الرس وقد كانوا بقية من ثمود، ومن العجيب أنك تجد هؤلاء الثلاثة يذكرون في آية واحدة في سورة الفرقان كأنها تؤكد أنهم اشتركوا في إضاعة الوقت وضياع الدين بما كانوا فيه من اللهو واللعب.

﴿وعادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا﴾ (الفرقان:٣٨)

روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده الإمام على بن أبى طالب فيما ذكره عن أصحاب الرس:

«إنهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر، وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في البئر، وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق، وبهم سمي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانًا وعمرانًا منه».

ويذكر المفسرون غرائب أعيادهم والتي كانت في الاثنتي عشرة قرية حيث كان لكل قرية عيد في الشهر.. فيجتمعون على شجرة الصنوبر وعليها مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانًا للشجرة ويسجدون لها.. ويوم العيد الأكبر يفعلون أكثر من ذلك ويقدمون قرابين أكثر من ذلك، ويحدث لهم من الفرح والسرور ما لا يفيقون، ولا يتكلمون معه، فيديمون الشرب والمعازف مدة اثني عشر يومًا وليلة.

بل إن المفسرين ذكروا غرائب أوقات الأولين في تلك الفترة التي بعث الله فيها أنبياء كثيرين فيما بين أذربيجان

باحث في التراث

وأرمينية وقالوا إن الله بعث لهم ثلاثين نبيًا يمنعونهم عن الغي والضلال من عبادة النيران والأوثان والجواري العذارى واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال ولكنهم قتلوا أنبياءهم.. كما قتلوا نبيهم الأخير الذي رموه في البئر.. فلم يدع الله في أرضهم عينًا ولا نهرًا إلا أيبسه وأهلك الله أنعامهم وأمتعتهم وهلكوا بالصاعقة والخسف والصيحة فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم.. ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم﴾ (القصص: ٥٨)

هذا الحال وذلك المآل لأصحاب الرس وغيرهم يشابه حال ومآل قوم لوط الذين سبقوا كل العصاة في ركوب الفواحش.. يقول تعالى: ﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ (الأعراف: ٨٠-٨١)

قال عمرو بن دينار: «ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط، وقال تعالى: ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾ (العنكبوت: ٢٩) فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن إتيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم وإتيانهم المنكر في ناديهم.

قال المفسرون: هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضًا في الطريق!!

وانتهت القصة بعد السخرية من تحذير نبي الله لوط عليه السلام لهم بأن قلب الله قريتهم كما كانوا يقلبون الطبيعة البشرية: ﴿جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل

منضود. مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾ (هود: ٨٢-٨٣)..وإنه ليخشى والله على من يفعل فعلهم في العصور الحالية أن يكون الانتقام منهم كذلك الانتقام وما خبر عبدة الشيطان وشباب الإيموز عنا ببعيد!!

هذا.. وقد شغل الأولون أوقاتهم ببناء البروج المشيدة والقصور المنجدة، وقد حكى الله عن عاد وثمود وفرعون تميزهم في قوة العمران وشدة البنيان بما لم يضارعهم في مثله أحد.

وكأن القرآن يقول إن إنجازاتهم في مجال العمران وذلك البنيان لم يكن إلا كما كانت تفعله العنكبوت: ﴿اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت: ٤١) وقد جاءت هذه الآية تعقيبًا على تميز عاد وثمود وفرعون في قوة العمران وشدة البنيان!

أيضًا.. قضى الأولون أوقاتهم في السحر والكفر واتخاذ الصور والتماثيل والأصنام.. ولقد فعل كثير من الأولين ذلك من أجل المعصية.. كذلك قضى الأولون أوقاتهم في الاستهزاء والسخرية من عباد الله الصالحين.. وهذا دأب العصاة في الأولين والآخرين؛ فبينما كان نوح عليه السلام يصنع الفلك لتكون طوق النجاة للمؤمنين كان الساخرون يضحكون ويستهزئون:

﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ (هود: ٣٨-٣٩).

إن نوحًا عليه السلام - كما يقول صاحب الظلال - ينقلب نجارًا يصنع مركبًا.. فهم يسخرون منه لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر، ولا يعلمون ما وراءه من وحي وأمر. ونحن نسخر منكم قريبًا لأنكم لا تدركون ما وراء هذا العمل من تدبير.. وما ينتظركم من مصير: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ نحن أم أنتم.. يوم ينكشف المستور، عن المحذور!

إن هذا الحال ينتظر أيضًا من عذبوا أصحاب الأخدود.. الذين كانوا يلقون بالمؤمنين والمؤمنات وهم قعود على النار، يشاهدون عملية التعذيب في لذة وسعار.. يتسلون بالمؤمنين ويسخرون من المؤمنين ويستهزئون بالمؤمنين.. وقتهم كان عبثًا.. كان للهرج والمرج.. كان للفتنة والعصيان. وما ينتظرهم والله إلا العذاب والخذلان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٢٩- ٣٦).

الوقف الإسلامي.. روافد تنموية متعددة (٣-٤)

القاهرة - دار الإعلام العربية

تطرقنا في الحلقتين الأوليين من «الوقف» إلى تعريفاته، وآراء الفقهاء فيه، ودلائل مشروعيته، وكذا أحكامه ومقاصده وأمثلة لأبرز الوقفيات الإسلامية، وهانحن نستأنف الحلقة الثالثة المخصصة لدور الوقف في خدمة المجتمع عبر العديد من الروافد التنموية، لاسيما أنه عمل مساند لأبواب خير لا حصر لها، تحقق الاستفادة التعبدية في الحياة والممات بشكل مستمر.

يشير العلماء إلى أن أي مجتمع لا يخلو من ظروف طارئة تداهمه، يختل فيها ميزان العدالة، وتضطرب مستويات معيشية لبعض الناس، لعجز ينزل بهم فيقعدهم عن العمل والإنتاج، أو لقلة مواردهم الطبيعية، أو لحروب وكوارث خاصة أو عامة، وقد يصل هذا الاختلال إلى حد قاس، ينعدم معه توفر الحد الأدنى من الكفاية المعيشية، وهذا ما افترضه الإسلام، ورتب له الحلول الإيجابية الحاسمة، من أجل رأب الصدع، وإعادة التوازن المعيشي، والنهوض نحو تنمية شاملة من خلال مجموعة من التدابير والوسائل كزكاة المال، والصدقة، والوصية، والكفارة، وبالطبع الوقف الذي تتنوع روافده في مساجد يصلى فيها، أو مدارس يتعلم فيها، أو مستشفيات يتطبب فيها، أو ملاجئ للأيتام، أو حتى أسبلة ماء تروي الناس في الطرقات والأسواق.. وقد أخذ الوقف صورًا وميادين عديدة في الإسلام، حتى لقلما يجد الإنسان مدينة أو قرية ليس فيها وقف.

بين النظرية والتطبيق

وفي بحث تقدم به د.عكرمة سعيد صبري، بجامعة الأزهر، تحت عنوان «الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق» تحدث عن شروط العين الموقوفة وحددها في خمسة مطالب، كل مطلب يمثل شرطًا من الشروط، المطلب الأول أن يكون مالًا متقومًا، والثاني أن يكون معلومًا حين

للوقف دور محوري في دعم البحث العلمي والتعليم العالي.. فضلاً عن عمارة المساجد

الوقف، والثالث أن يكون ملكًا للواقف، والرابع أن يكون مالًا ثابتًا، والخامس أن يكون الموقوف مفرزًا لا مشاعًا.

كما رصد شروط الموقوف عليه وحددها في أن يمثل الموقوف عليه جهة بر وقربة، وأن تكون الجهة الموقوفة عليها مستمرة، وأن يكون على جهة يصح ملكها أو التملك لها. وتطرق إلى الوقف من الناحية التطبيقية، وأشار إلى بعض الروافد التي يتوجه إليها الوقف وخص منها عمارة المساجد والزوايا، وبناء المدارس والمكتبات والإنفاق على طلبة العلم.

فيما أوضح الباحث حسن عبدالغني أبوغدة أن للوقف الدور الأهم في تحقيق النهضة والتنمية الإنسانية في جوانبها المادية والمعنوية، وهذا ما دفع المسلمين رجالًا ونساء على الوقف بحماس وإخلاص، فقاموا بعديد من أعمال الخير وتضمنت:

وقف المساجد

وقف المساجد ومرافقها ولوازمها، حيث اهتم المسلمون أولًا بوقف المساجد، فبادروا إلى عمارتها بكرم وسخاء، وأناروها بالقناديل وأمدوها بالمصاحف، وحفروا لها الآبار للوضوء والنظافة، ولا يزال إلى اليوم الجامع الأزهر في القاهرة، والمسجد الأموي بدمشق، وجامع القيروان بتونس، وغيرها من الجوامع والمساجد المنتشرة في بلاد المسلمين، شاهدة على مدى اهتمام المسلمين بعمارة المساجد ووقفها مع مستلزماتها.

وقف المدارس

وقف المدارس وتوابعها على اختلاف مراحلها التعليمية أحد مصادر إشعاع لرقي الفكر والنهوض بالمعرفة الإنسانية، ووقف المسلمون مع هذه المدارس أماكن لنوم الطلاب الغرباء، ومواضع للدراسة والمطالعة، وقاعات للبحث والكتابة، ومرافق صحية.. وكان يقوم على هذه المدارس أساتذة وعلماء أجلاء متفرغون للتعليم والمدارسة، ينفق عليهم من مال الوقف، حرصًا على أوقاتهم من التشتت، وضمانًا لاستمرار أدائهم رسالتهم، في التعليم والإرشاد والتأليف والبحث، ولا تزال آثار هذه المدارس باقية في كثير من العواصم والمدن الإسلامية في مكة والمدينة ودمشق وحلب والقدس وبغداد والقاهرة

واسطنبول وغيرها من مدن آسيا الوسطى وإيران والهند.

وقف المستشفيات

اهتم المسلمون أيضًا بوقف المستشفيات والإنفاق عليها وعلى المرضى والأطباء والموظفين، وتقديم الرعاية للجميع، من أجل النهوض بالمجتمع، وتنمية أفراده، وصيانة الصحة العامة.. ومن المستشفيات المشهورة في التاريخ الإسلامي المستشفى العضدي في بغداد في القرن الرابع الهجري (الحادي عشر الميلادي) والمستشفى النوري بدمشق، والمستشفى المنصوري بالقاهرة، وغيرها من المستشفيات العامة، بل المتخصصة في أمراض العيون والعظام والباطنية والجراحة والأمراض النفسية والعقلية.

وقف المكتبات

لقد حوت المكتبات عشرات الآلاف من الكتب في أصناف العلوم والثقافات والفنون والمعارف، وكان يقوم على رعايتها وصيانتها موظفون وخطاطون ومترجمون وأمناء، وأما الغاية الاجتماعية التنموية فهي غرس السعادة في نفوس الناس، وذلك بتأمين احتياجاتهم، وتوفير مطالبهم المعيشية، وإعانتهم على تجاوز الظروف الصعبة التي نزلت بهم، والارتقاء بحياتهم وتيسير أسباب التنمية والإنتاج أمامهم، وتيسير أسباب الحياة الكريمة لهم، سواء كانت غذاء، أو علاجًا، أو مسكنًا، أو علمًا، أو حياة مزدهرة.

وقف البحث العلمي والتعليم العالي

وأضافت الباحثة شيرين حسن مبروك ضمن رسالة ماجستير بجامعة القاهرة تحت عنوان «دور الوقف الإسلامي في استثمار التعليم العالي في ضوء الخبرات العالمية والإقليمية»، أن للوقف دورًا محوريًا في دعم البحث العلمي والتعليم العالي، مشيرة إلى أن أول أمر ميز به الحق سبحانه وتعالى آدم بعد أن جعله خليفة في الأرض هو التعليم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)، وظل التعليم والتبليغ وظيفة كل الأنبياء، ووظيفة التعليم الكشف عن المواهب الإنسانية الخبيئة ورعايتها وحُسن تنميتها وتوظيفها لخير الفرد والمجتمع وإعمار الحياة.

وأضافت أنه لم يعد ينظر للعملية التعليمية على أنها مجرد خدمة، بل أصبحت استثمارًا يستهدف تحسين مستوى الحياة للأفراد، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وأن مجتمعاتنا العربية في عصر العولمة تحتاج إلى تعليم عالٍ يؤدي إلى تنوع البشر وتمايزهم وتنمية قدراتهم على انتقاء المعلومات وتحويلها إلى معرفة، مع حسن استخدامها في التفكير والتعبير والاتصال والإنتاج وبناء العلاقات، وهذا ما أكده المفكر فرانسيس بيكون عندما قال إن «المعرفة قوة» Knowledge is Power.

ويعتبر التعليم العالي مصدرًا للاستثمار وتنمية أهم ثروات المجتمع وهي الثروة البشرية، وهذا النوع من الاستثمار تظهر آثاره في زيادة مهارات وقدرات الأفراد بالمجتمع وارتفاع مستوى المعيشة والإنتاج، وزيادة استغلال الموارد الطبيعية ودفع عملية التنمية الاقتصادية للبلاد.

وفي ظل هذا المناخ كان لابد أن تظهر آليات جديدة للاستثمار في التعليم العالي لعل من أهمها ما عُرف بالوقف الإسلامي، حيث إن للوقف دورًا مهمًا في رعاية شؤون العلماء وطلاب العلم في تاريخ الحضارة الإسلامية، ما وفر لهم مناخًا مستقرًا، وكفل لهم كل احتياجاتهم ليتفرغوا للإنتاج والبحث العلمي، لافتة إلى أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت تطبيق الوقف الإسلامي في قطاع التعليم العالي، والتركيز على الأسلوب العلمي في الاستثمار البشري، واستخدام الأساليب الإحصائية في ضبط الاستثمار، والتزام المؤسسات التعليمية الطويلة الأجل بالاستثمار، واستمرار التحسين في ضوء أهداف مؤسسات التعليم العالي، منها دراسة عبدالله بن محمد العمراني الذي قدم نموذجًا مقترحًا لدور الوقف الإسلامي في دعم البحث العلمي بالمملكة العربية السعودية.

وخلصت الباحثة إلى أن نظام الوقف يشكل أفضل الأنظمة لتمويل التعليم العالي لأنه يتميز بصفة الدوام والاستمرار، وأن تطوير سياسة التعليم العالي ضرورة ملحة تتطلب تطوير وتحديث كل عناصر منظومة التعليم العالي، وكذا تبني أسلوب جديد لتمويل مؤسسات التعليم العالي بالإمكانات المادية من خلال قنوات جديدة مثل أموال الوقف.

مكافحة الفقر

وأكد أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر د.محمد عبدالحليم عمر أن الفقر مشكلة في العالم كله، وفي العالم الإسلامي خاصة، وتؤكد الإحصاءات الدولية تزايد عدد الفقراء واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، فقد بلغ عدد الفقراء في العالم ٣ مليارات نسمة أي نحو ٥٠٪ من سكانه، وفي الوقت نفسه هناك ١٧٦ مليارديرًا في العالم يملكون من الثروات ما يعادل الناتج القومي لـ٤٥ دولة، مؤكدا أن هذا يجعل الاستعانة بالأدوات الإسلامية كالزكاة والوقف ضرورة ملحة لمواجهة هذه المشكلة المتزايدة والتخفيف من حدتها، خاصة أن لدى الإسلام من الأدوات ما يخفف من حدة الفقر بشرط حسن تطبيقها وتوظيفها لخدمة الجميع، وإنشاء هيئات خاصة للزكاة، وقيام اقتصاديين مهرة وعلماء دين لديهم رؤية اقتصادية وقراءة للواقع على إدارة الوقف، مع وضع خطة شاملة لتوظيف الوقف لخدمة المسلمين، وتشجيع الأثرياء على الوقف وتنفيذ العديد من الأفكار الابتكارية لتفعيل دور الوقف والزكاة.. وفي ذلك سد حاجة الفقراء والمعوزين، ودعم الجمعيات الخيرية التي تواجه أحيانًا شحًا في الموارد لتنفيذ مشاريعها، فضلًا على التفكير في القيام بمشاريع خيرية جديدة، إذ المال هو عصب العمل الخيري، ومن صوره بناء دور الأيتام والمسنين، وحفر الآبار، وبناء المراكز الصحية، وإنشاء مراكز للأسر المنتجة.

عن الهصور الزؤور حين يتمطّى!

حياة الياقوت

هل تذكرون الأسد الهصور الزؤور في شعار شركةMetro Goldwyn Mayer MGM الذي كان كثيرًا ما يظهر قبل بداية «توم وجيري»؟ دققوا فوق رأسه جيدًا وستقرأون عبارة مكتوبة باللاتينية تقول Ars Gratia Artis أي «الفن من أجل الفن»، ولأجل هذا كنا ومازلنا نفرح ونطرب ونضحك من توم وجيري، لكن.. ولأجل هذا أيضًا نجد أن نزعات التبلد تجاه العنف أو ربما استحسانه بدأت تظهر على الأطفال الذين يظنون أن العنف يمكن أن يكون مسليًا، وأن ضرب أحدهم بسندان على رأسه لن يخلف سوى انتفاخة صغيرة! وعلى اعتبار أن الأمور تراكمية، فهذه اللبنة قد تكون هي ما مهد الطريق لإنتاجات سقيمة ومقززة وفاقعة العنف ترفل في ثياب اللطافة مثلَ المسلسل الكارتوني Happy Tree Friends (يمكنكم مشاهدته عبر «يوتيوب» لكن على مسؤوليتكم!)، وأهلا وسهلا بما بعد الحداثة.. إنه «الفن من أجل الفن»، الفن الكامل بذاته، الفن الذي يجلب «المتعة» و«الفرح»، لا الفن من أجل التنظير والتفكير البعيد المدى، لا الفن الملتزم بعقال الأخلاق، ما يجيء تحت عباءة «الفن لأجل الفن» شعبي، محبوب، قابل للانتشار، لكنه يعيشَ حالة طلاق بائن بينونة كبرى مع القيم والالتزامات الأخلاقية. على الجانب الأخرى، نرى المبدأ مبدأ الفن من أجل الإنسان Ars Gratia Hominis أو الفن من أجل المجتمع، نراه أرنبًا هزيلًا يفر من قسورة!

كاتبة كويتية

احذروا هذا الأسد جيدًا، فقد «تمطى بصلبه، وأردف أعجازًا، وناء بكلكل» وعاث فسادًا في أرض الفن، ولا أقصد أسد MGM بل المبدأ الذي يحوم فوق لُبدته، فقد وصل إلينا هذا المبدأ وتمطى الهصور الزؤور فوق عتبات فننا، ونظرة سريعة على إعلانات مسلسلات رمضان كفيلة بالتأكيد على ما أقول، وقد قلت الإعلانات لأن المنتجين على ما يبدو حريصون على حشر أقذع ما يحصل في المسلسلات في الإعلانات، ربما جراء نزعة العرب في البلاغة والاختصار مثلًا!

وعليّ أن أعترف أني لم أتابع أي مسلسل لا في رمضان هذا العام، ولا في الأعوام السابقة، ولله الحمد وحده، فقد قررت أن أعمل بمبدأ «أرخصوه لهم»، فالبعض يركض وراء المسلسلات ويحملق فيها، ثم يقضي إجازة العيد يتبرم مما فيها، واعترافي أني لم أتابع أي مسلسل ضروري، إذ يعني أني لا أقصد بهذا التحليل مسلسلًا بعينه، ولا تفاصيل خاصة أزعجتني، بل هي نظرة كُلانيّة على الواقع الفني العربي من إنتاج مسلسلاتي وسينمائي.

أنا هنا ألتمس العذر لكثير من الكُتّاب العرب، فهم يكتبون والأسد إياه يتمطى في لاشعورهم، يكتبون لإرضاء هذا الكائن البدائي الكامن، هذا الحيوان الذي دخل إلى العقل الجمعي لكتاب الدراما، وهذا المبدأ الذي استولى على صولجان ساحة الفن في ظل غياب المنافس الأجدر.

في الحقيقة، ليس كل الكتاب بالضرورة لديهم نيّات مبيتة و«أجندات» خبيثة تحب أن تشيع الفاحشة، بل هم قوم وجدوا آباءهم في الفن تواضعوا على ذلك، فسارعوا مقتدين «مهتدين»! وكيف لا، وهذا النوع من الفن يحوز الرضا الشعبي في الغالب (وهذا بذاته شعور مرض)، وهذا يستتبع بالضرورة رضا المعلنّين، الذي يستجلب الربح المادي، فكيف لا يفوز مبدأ هذا الزؤور الهصور؟

المعالجة الدرامية للفساد الأخلاقي لا تزال قائمة على رفع هذا الفساد وعلى رؤوس الأشهاد

وأنت حينما تلوم أو تناقش من يدافع عن هذا الاتجاه تجده يقول لك- وهو على حق- إن المصائب والمعائب والجرائم والجراثيم تجتمع وتلوح قائلة «مرحبا، إننا هنا! وننوي أن نستشري ونتكاثر»، فهل نصعّر الخد ولا نلتفت؟ ألا يحتاج الأمر منا إلى ضربات استباقية؟

وهذا الادعاء صحيح جدًا، لكن هذا لا يعني أن نتطوع لصالح التطبيع والتسويق للفحش، ولا أن نمسك مكبرًا للصوت ونتظاهر صائحين: لقد تُوُدِّع من الدنيا، فعليها العفاء، هذا هو الواقع ارزحوا فيه وانكفئوا!

المعالجة الدرامية للفساد الأخلاقي والفحش حتى يومنا هذا- وفي معظمها- لا تزال قائمة على رفع الفساد الأخلاقي على رؤوس الأشهاد، مانحة إياه الفرصة ليقول: «إحم، أنا هنا»، تقوم على إعطائه منبرًا، أو ربما كل المنابر، ثم تصر المعالجة الدرامية- وهي تحسب أنها تحسن صنعًا- أننا إزاء فن إصلاحي وواقعي، بل ربما طليعي وتقدمي ورؤيوي!

- س: حسنٌ يا كاتبة المقالة، ﴿هل إلى خروج من سبيل﴾؟ هل يمكن تقديم فن «جيد» دون أن يكون مدرسيًا أو مملًا أو «طوباويًا»؟ عللي لإجابتك بأمثلة من الواقع.

- ج: نعم ممكن، مع ملاحظة أني لا أعاني من «النوستالجيا»!

«إلى أبي وأمي مع التحية» مثال على «الفن من أجل الإنسان» وعافيته واستقراره الداخلي (النفسي والخارجي والاجتماعي)، هذا المسلسل الرائع ذو الستة والعشرين حلقة كان مسلسلًا إنسانيًا، وتربويًا، وحتمًا ليس ممّلا ولا مدرسيًا- وكان واقعيًا جدًا جدًا ولم يحلق في أرجاء مدينة الفضيلة.

فقد تحدث عن قضايا صادقة وصادمة كثيرة، الخيط الرفيع الذي أتقن طارق عثمان الإمساك به، هو أنه لم يلجأ إلى «التطهير» أو التنفيس Catharsis كما يسميه أرسطو، بل قدم حلًا ما للكارثة، وكي أخرج من التنظير نجد حلقات من «إلى أبي وأمي مع التحية» تتحدث عن مشكلات صادمة، لكن صادقة عن الأبناء حين يحضرون أشرطة فيديو غير لائقة، وعن الغش، وعن السرقة، وعن الحبوب المنشطة التي شاعت بين بعض الطلاب، والغيرة بين الأبناء، وعن عواطف المراهقين حين تَسُور، أو عن الأب الذي ينهي أبناءه عن التدخين ويأتيه، وعن التنافس الانتخابي، وعن السكرتيرة التي قد تطمع في رب عملها أو قد يطمع فيها، وأخيرًا عن الزوج العنيف والمرأة المعنّفة، وهذه الأخيرة مثال صافع! ففي حين نرى مسرحيات الاستلذاذ بامتهان المرأة في مسلسلاتنا هذا اليوم، قارنوا هذا بمعالجة «إلى أبي وأمي مع التحية» حين طرح هذه قضية الزوج السكير الذي يضرب زوجته وأبناءه دون عرض مشاهد عنف ضرب مباشرة «جاكيشانيّة»، بل اكتفى بأن تكتشف إحدى القريبات أثر ضرب على جسد الابنة الصغيرة، لا دماء، ولا مستشفيات، ولا ألفاظ نابية، قد يفعل البعض ذلك لكسب التعاطف مع المرأة المعنفة، ولهذا ما يحدث هو التطبيع ولا شيء غيره، ففلانة تقول «لا ضير ولا تثريب، ليست عاهة مستديمة، ووضعي أفضل بكثير من فلانة في المسلسل الفلاني»!

هذا، ويظل الهزبر رابضًا في الشاشات، ينهش أنى شاء من الحياء والقيم والمنطق، إلى أن يأتي وعي به يغاث الناس، ولأجله يعصرون.

يوم الجمعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة» (رواه مسلم).

هذا الحديث الشريف يتحدث عن مزايا يوم الجمعة مبينًا في البداية أنه اليوم الذي خلق فيه آدم، مخلوقًا مكرمًا ومفضلًا على كثير من العالمين، إنها نعمة الوجود بالنسبة للبشرية جمعاء، ولا أعظم ولا أكبر من نعمة الوجود، لأنها أساس كل النعم، وما عداها تابع لها، بل لا يكون بدونها، فيوم الجمعة هو بداية تاريخ ميلاد البشرية.

ويوم الجمعة هو اليوم الذي أدخل فيه آدم عليه السلام الجنة.. وذاك أيضًا حدث عظيم لما فيه من الكرامة في الجنة وإعداد آدم للخلافة في الأرض.

وفيه تقوم الساعة، حين يجمع الله تعالى الأولين والآخرين ليحكم بينهم بالعدل، ويجزي المحسنين بالحسنى.. وهل هناك ما هو أعظم من إقامة العدل وإجزال المثوبة؟

كل ذلك واضح ومفهوم لخيرية يوم الجمعة على سائر الأيام، لكن الذي قد يلتبس على الكثيرين هو: كيف يكون يوم الإخراج من الجنة والإهباط إلى الأرض يومَ فرح وسعادة وخيرية؟ كيف يكون الخروج من دار الكرامة عيدًا، في حين أن الطرد من الديار والأوطان يعتبر من أكبر النكبات وأعظم المصائب؟!

الخطأ الكبير في هذا الفهم ناشئ من الظن بأن نزول آدم وزوجه على الأرض كان عقوبة من الله تعالى لهما على الأكل من الشجرة، بينما يبرز القرآن، من الآيات الأولى في سورة البقرة، إعلان الله تعالى للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ أي أنّ الإنسان قد خُلق منذ البداية لهذه المهمة الجليلة والوظيفة العظيمة، التي هي إعمار الأرض بمنهج الله تعالى، واستلام زمام الأمور فيها، وعليه فإن خروج آدم وزوجه من الجنة تعليم وتتويج، تعليم لواجبات الدين وتبصيرٌ بالمهمة وجبهة الأعداء والأصدقاء، وتتويجٌ له على خلافة الأرض، إنها مكانة عظيمة اغتاظ لأجلها إبليس، وحسد آدمَ عليها، وتشوّفتْ لها نفوس الملائكة الكرام، حين ألمحوا إلى ربهم العليم الكريم أنهم أجدر بها من الإنسان ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.

ومن فضل الله تعالى أن الأمّة المسلمة قد اهتدت إلى يوم الجمعة، فيما ضل عنه أهل الكتاب، وهذا الاهتداء إنما هو في حقيقته توجّه إلى أمانة الخلافة والقيام بحقها، والضلال عنه إنما هو ضلال عن هذه الوظيفة وتضييع لتلك الأمانة.

المحرر

خطبة الجمعة ودورها الإعلامي والحضاري

د.عبدالله بدران

عرف العرب قبل الإسلام أنماطًا إعلامية عدة، كالأسواق، والرحلات التجارية، ورواة القصص، والأنساب، والخطابة، ومجالس القبائل. وأدت هذه الأنماط دورًا كبيرًا في عملية الوجود الإخباري، أفادت منه هذه الأنماط نفسها، كما عاد ذلك على مجتمع الجزيرة العربية ببعض الفوائد.

ولم تكن الدولة الإسلامية عندما قامت في المدينة المنورة في أوائل القرن السابع الميلادي ببعيدة عن استخدام بعض الأنماط الإعلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ الكتابة الخطية، وما الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة، والمعروف تاريخيًا باسم الصحيفة، إضافة إلى رسائله الشريفة إلى ملوك وأمراء عصره إلا نماذج تاريخية لذلك الاستخدام.

كما اهتم القرآن الكريم ببعض النواحي الإعلامية لفظًا وأسلوبًا ومعنى وتحريرًا، اهتم النبي ﷺ أيضًا بهذه النواحي ومارسها بطريقة يجب أن يتعلم منها رجال الإعلام الإسلامي إلى يوم القيامة. واستفاد الرسول الكريم من وسائل الإعلام المتاحة في عصره، فقام باقتباس بعضها أو تعديل مسارها وتطويرها وتوظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية، ومنها اللقاءات المباشرة والخطابات العامة وخطبة الجمعة.

ولقد اهتم الإسلام اهتماما بالغا بخطبة الجمعة وحث على الالتزام بها وحضورها وإقامتها في كل بلد ومصر، وحذر من إهمالها أو التساهل في حضورها، أو الانشغال عنها بالأعمال التجارية، وحض أي جمع بسيط العدد أو كبيره على إقامتها وتولية خطيب عليهم.

وهدف الإسلام من ذلك إلى أن يبقى المجتمع الإسلامي متماسك البنيان متراص الصفوف، وأن تبقى هذه الشعيرة قائمة حية تؤدي أهدافها في إيصال رسالة واضحة إلى المسلمين، وفي اجتماعهم وتلاقيهم، وفي ترتيب أمورهم ومناقشة أحوالهم ومستجداتهم، وفي ممارسة كل ما تتطلبه الأمة من أولويات وضرورات وحاجات، لاسيما أن المسلمين يفدون إلى الجوامع لأداء هذه الشعيرة كل أسبوع طائعين راغبين عابدين، غير مجبرين أو مكرهين أو مدفوعين بمصلحة شخصية أو غرض دنيوي.

الوظائف الإعلامية لخطبة الجمعة

لقد حرص الإسلام على بناء الإنسان الصالح، وإعداده الإعداد

صحافي في وكالة الأنباء الكويتية (كونا)

الإيماني السليم، وبناء هذا الإنسان هو حجر الزاوية في صلاح الحياة عمومًا، ومن هذا المنطلق عالج الإسلام وظائف الإعلام بشكل عام، وسعى إلى الإفادة من جميع الوسائل التي تؤدي وظائف الإعلام الإسلامي وتحقق أهدافه، ومن ذلك خطبة الجمعة.

وحرص الإسلام على أن يؤدي خطيب الجمعة دوره المنشود بكل إتقان ومهارة، وأن يتحمل أعباءه الكبيرة التي تزداد باطّراد، وأن يوظف هذه الوسيلة الإعلامية التوظيف الأمثل لها، ضمن الأطر العامة لمنهج الإسلام وأهدافه.

ولعل من أهم وظائف خطبة الجمعة تدعيم الروابط بين المسلمين، والعمل على ازدياد تلاحم بعضهم ببعض، وتمتين أواصر المودة والقربى بينهم، والتبصير بقضايا الوطن الإسلامي الكبير، والتعرف إلى مشكلاته، والمساهمة الإيجابية في حلها، والدعوة المستمرة لوحدة العالم الإسلامي وتضامنه، وشرح ما يترتب على ذلك من قوة مادية وسياسية، وتأثير ذلك في القضايا العالمية والإنسانية.

ومن الوظائف الإعلامية لخطبة الجمعة تكوين صورة لدى المسلمين تجاه القضايا التي تمس دينهم، وتعالج حياتهم، وتعنى بشؤونهم، وتتلمس مشكلاتهم. وهذا الدور يسهم في تشكيل نظرة موضوعية ثاقبة إلى الأحداث الجارية، واتخاذ موقف موحد منها، والقضاء على البلبلة بسبب اختلاف الآراء وتباين الاتجاهات نحوها.

وتقع على عاتق خطيب الجمعة أيضا مهمة إعلامية تتمثل في تبصير الأمة الإسلامية بالأخطار المحدقة بها، وتحصينها من الفتن والمخططات والمؤامرات، وتطعيمها بالدواء الناجح الفعال، وإحاطتها بسورٍ واقٍ منيع من القيم والأفكار يصعبَ على الأعداء اختراقه أو محاولة تجاوزه.

وعلى الخطيب أيضا العمل على تسليح الأمة بالأفكار المدعمة بالأدلة والبراهين الدامغة، والحجج الواضحة البينة، للوقوف في وجه الدعاية المضادة، التي تهدف إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وفك اللحمة والترابط فيما بينهم، وتشتيت الأمة الإسلامية إلى دول متفرقة، ومجتمعات متناحرة وإبراز العرقيات والطوائف.

ولعل من أهم الوظائف الإعلامية لخطبة الجمعة تحذير المسلمين من العلل التي تفتك ببنيان الأمة الإسلامية، والأمراض التي تقتل مناعتها ضد الانحلال والفساد، والأسقام التي تنخر نسيجها الاجتماعي المترابط.

فضح الأضاليل والشبهات

إن أعداء الدين الحنيف، سواء كانوا من داخل الأمة الإسلامية أو خارجها، لا يتورعون عن استخدام السبل والأساليب كافة الموصلة إلى غاياتهم والمحققة لأهدافهم، ومن ذلك بث الأخبار التي تشيع التخاذل وتسبب اليأس والقنوط، وتنشر حالة من الاكتئاب لدى المسلمين.

وإن فضح هذه الأخبار المضللة، والتصدي لها، وتبيان أهدافها، عبر الوسائل المختلفة ومنها خطبة الجمعة التي يجب على القائم عليها أن يستخدم الحجج القوية الدامغة، والبراهين الواضحة النيرة، وهي مهمة ليست سهلة أبدًا لاسيما إذا علمنا أن هؤلاء المتربصين مستعدون لبذل أموال طائلة واستقطاب نفوس مريضة من أجل تحقيق أهدافهم.

ويتعرض الإسلام في كثير من الأحيان للانتقاد من شخصيات معروفة، أو جهات ومنظمات وهيئات محلية أو دولية، أو من حكومات ودول مختلفة، وينصب الانتقاد على قضايا إسلامية يرى هؤلاء أن الإسلام ارتكب أخطاء شنيعة فيها، أو أساء إليها، أو خالف فيها الأعراف والمفاهيم السائدة لديهم.

وبدأت تظهر في العقود الأخيرة عن المسلمين نعوت التطرف، والإرهاب، والأصولية، والتشدد. وهنا يجب على من يتولى خطبة الجمعة تبيان موقف الإسلام من هذه القضايا وهديه وتوجيهه فيها، كما وجب تبيان حقيقة عدد من القضايا الإسلامية الأخرى الراهنة على الساحة الدولية، وتوضيح رأي الإسلام السليم فيها المعتمد على اجتهادات العلماء الذين تثق الأمة في علمهم وإخلاصهم.

وعلى خطيب الجمعة أيضا التنبيه إلى وجود طوائف وفرق شاذة ومنحرفة عن تعاليم الدين الحنيف وهديه، وهذه موجودة لدى جميع الأديان والأمم، وضرورة التفريق بينها وبين ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، وعدم الخلط بين أفعالها المخالفة للدين القويم وتعاليمه الواضحة.

خطبة الجمعة.. وأزمة الخطيب

د.محمد متولي

في دراسة علمية أجراها فريق من الباحثين على عينة من جمهور المساجد سواء التي تقع في أحياء شعبية فقيرة يعيش أهلها تحت خط الفقر، أو التي تقع في أحياء أرستقراطية يتمتع أهلها بالثراء ويتبؤون مناصب رفيعة، كشفت الدراسة أن معدل تأثير خطبة الجمعة على الجميع فقراء وأغنياء، شبابًا وشيوخًا، مثقفين وأميين يفوق تأثير كل وسائل الإعلام الأخرى، وقد أظهرت النتائج أن ٩٧,٥٪ من المبحوثين يحرصون على الاستماع إلى هذه الوسيلة بصفة منتظمة، وقد جاءت كثافة التعرض للخطبة عالية لدى مختلف فئات الجمهور.

تعد خطبة الجمعة من أبرز قنوات الاتصال التي تنفرد بها العقيدة الإسلامية، وقد نشأت مع بزوغ نور هذه الدعوة، وواكبت مسيرتها في نسق منتظم لم يكن معروفًا من قبل مستهدفة من وراء ذلك إعلام الجماهير بحقيقة هذا الدين، شارحة لأحواله، ومفسرة لشرائعه، وموضحة لقضاياه، وهي أكثر الوسائل التزامًا بما ورد في القرآن الكريم وفي سنَّة الرسول ﷺ.

والحقيقة أن هذه الحشود الضخمة التي تملأ المساجد تعد فرصة سانحة للخطيب المقنع لكي يسهم في الارتقاء بأنماط الحياة في المجتمع، وفي بناء الإنسان البناء الذي يتوافق ومعطيات العقيدة الإسلامية، ذلك أن أحدًا من البشر أو زعيمًا من الزعماء مهما بلغت شعبيته لا يستطيع أن يجمع كل هذه الحشود التي جاءت طائعة مختارة في وقت واحد، وهي مهيأة نفسياً وعقلياً للإنصات والالتزام بما يطرحه الخطيب، من فتاوى وآراء، فليس لديها أي استعداد للجدل أو المناقشة أو الرفض لأن ما يلقى عليها يدخل في دائرة المسلمات التي لا تقبل الجدل والنقاش، وهو ما لا يتوافر لأي قيادة فكرية أو سياسية مهما بلغت شعبيتها وقوتها.

ومن ثمَّ فإن الخطبة تأتي في مقدم قنوات الفكر المؤثرة إذا أحسن إعدادها وإلقاؤها، لأن المناخ الروحي الذي تلقى فيه يختلف كل الاختلاف عنه في أي مكان آخر، ويرجع ذلك إلى أن الخطيب المقنع يستطيع أن يمس شغاف القلوب، ويخترق كل الحواجز النفسية والفكرية ليغرس الاتجاهات الصحيحة، ويعلم السلوكيات الإسلامية، ويسهم في الارتقاء بأنماط الحياة في المجتمع بما يتوافق مع معطيات العقيدة الدينية لأنه يوجه حديثه إلى الناس في مناخ يسوده الرضا والصفاء والإنصات الكامل الذي حض عليه رسول الله ﷺ في قوله: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب كمثل الحمار يحمل أثقالاً».

وتشير هذه النتائج إلى أن لدى المسلمين ثروة هائلة يمكن أن تسهم بفاعلية في إعادة بناء الإنسان، وفي الارتقاء بمستواه الثقافي والأخلاقي، وفي دفعه إلى اكتساب المعارف التي تمكنه من النهوض بأمته وإثراء الحياة فيها لتكون خير أمة في تماسكها وقوتها.

إلا أنه من الغريب أن الواقع يخالف ذلك إلى حد بعيد، فالمسلمون هم أكثر شعوب الأرض فقرًا وجهلًا وتخلفًا وتشتتًا، وعلاقتهم فيما بينهم تنعدم فيها الرحمة والإيثار، ودولهم تعاني من الظلم والاستبداد، وهنا يبرز السؤال الذي يفرض نفسه في هذا الصدد، أين خطباء المساجد من هذه الأوضاع المتردية التي يعاني منها المسلمون؟، أين دورهم في زرع الوئام والمحبة، وفي الارتقاء بمستوى الجماهير، وفي تحقق الوحدة بين أبناء الأمة؟، لابد أن ثمة أسباباً جوهرية تعوقهم عن أداء دورهم الحيوي والمهم في هذا الصدد.

إن أول هذه الأسباب يكمن في المستوى الثقافي المتواضع لكثير من هؤلاء الدعاة، وعدم توافر مهارات الخطابة لديهم، وسيطرة الفكر الاستاتيكي الجامد على

المقال نشر في العدد (٤٣٥)

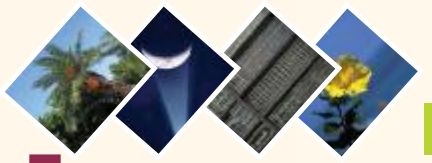

تفكيرهم، وعدم مواكبتهم لمعطيات العصر المتسارعة إلى غير ذلك من الأسباب التي تشكل عائقًا كبيرًا يحول دون قدرتهم على الإعلام بصحيح الدين، ففاقد الشيء لا يعطيه، ولقد شاركت في الكثير من الدورات التعليمية والتدريبية بمعاهد الأئمة وإعداد الخطباء، فأصابتني حال من الحزن والأسى على هذا المستوى الهابط، لأن هذه القيادات الدينية يجب أن يتوافر لها رصيد كبير من المعلومات العامة والمقدرة اللغوية وقوة البيان وجاذبية العرض، والملكة الخطابية والثقافة الموسوعية والمقدرة الإقناعية والملكة الإبداعية التي تحقق لهم التأثير المطلوب على الجماهير المتلقية، إلا أنه مع الأسف الشديد، فإن الواقع يخالف ذلك إلى حد بعيد، فمعظم هؤلاء الرجال الذين يقع عليهم العبء الكبير في تنمية المجتمع والارتقاء بأفراده قد اكتفوا بأقل القليل من المعلومات الدينية التي حصلوا عليها في المعاهد ومراكز التدريب المكلفة بإعدادهم، وكثير منهم لا يتابع ما يدور على الساحة الدولية من أحداث وصراعات، ومنهم من لا يقرأ الصحف، مما انعكس سلباً على مستوى مداركهم وثقافتهم، ففقدوا القدرة على العطاء، ولذلك نراهم يرفعون أصواتهم في غير موضع، ويصرخون عبر مكبرات الصوت دون حاجة إلى ذلك، فلا تجد الجماهير منهم ما يسد الحاجة ويحقق الإشباع الروحي والعقلي، لقد ملَّ الناس من الاستماع إلى أحاديث معروفة تتكرر دومًا على ألسنة هؤلاء الرجال، ويتم تقديمها بأساليب بالية لا تشد الجماهير أو تسد حاجتهم للاستزادة من العلم والمعرفة، إنهم في حاجة إلى الاستماع إلى ما يعالج قضاياهم ويقدم لهم الحقائق الدينية بطرق جديدة وأساليب مبتكرة، كما أنهم في حاجة إلى فهم الأوضاع التي تحيط بهم في ضوء الشريعة الإسلامية من مصادر موثوقة.

إذا أُحسن إعداد وإلقاء الخطبة فإنها تعد في مقدمة قنوات الفكر المؤثرة

ويرى بعضهم أن من أبرز الأسباب التي تعوق مهمة خطباء المساجد في العالم الإسلامي هو مناخ الحرية الذي لا يتوافر لهم بالصورة الكافية، مما لا يمكنهم من الانطلاق بالمجتمع إلى آفاق الحياة الرحبة فخطباء المساجد شأنهم في ذلك شأن العلماء والأدباء ورجالات الفكر لا يستطيعون العمل إلا في مناخ من الحرية تتيح لهم حرية القول، وتقديم النصيحة للحاكم والمحكوم، وإذا حرم الخطيب من حرية التعبير فسوف تتحول خطبه إلى كلام ممسوخ لا يسمن ولا يغني من جوع، ويؤكد هؤلاء أن بعض الأنظمة في العالم الاسلامي تعمل على تكبيل الخطيب بالقيود والأغلال ولاسيما أن هؤلاء الدعاة أقدر على إثارة الجماهير وتأليبهم على الحكام، ويكفي أن يستطرد الخطيب في تفسير ما جاء بسورة المائدة في الآية ٤٤ وذلك في قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، وهذه الآية تحمل الكثير من المعاني التي قد تحمل الناس على رفض النظم القائمة.

وإذا كان بعض خطباء المساجد يظن أنه مكبل الأغلال بفعل القيود التي تفرضها عليه الأنظمة الحاكمة، فإن منهم من ينفلت في هجوم عنيف على الأوضاع والأشخاص دون ضابط أو رابط، وهو يظن أن ذلك هو السبيل لتوعية الجماهير، ويرجع ذلك إلى أنهم لا يعرفون أن فن القول له أصول وآداب يعرفها العلماء، وأن منهج الإسلام في الاجتهاد تحكمه معايير تنطلق من مرجعية هذه العقيدة، فلا تجريح ولا قذف ولا سب، ولا غيبة أو نميمة، ولا اتهام للناس بالباطل، ولكنه نقد بناء، يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، والرقة في الحديث، والأدب في الحوار، إنها أخلاقيات الدعوة الإسلامية التي انبثقت من مدرسة النبوة وسار على هداها صحابة رسول الله ﷺ، والسلف الصالح من الدعاة وأئمة المسلمين وقادتهم الصالحين، فهل تلتقي مؤسسات الدعوة الإسلامية لتضع منهجاً للدعوة يتفق مع معطيات هذه العقيدة، ويحقق للأمة الإسلامية على يد هؤلاء الرجال الأمل المنشود في الوحدة والقوة، وفي الانطلاق إلى آفاق الحياة الرحبة للارتقاء بالأمة حتى لا تتجمد مسيرتها وتستطيع مواكبة ركب التقدم في الأمم التي لا يتوافر لديها ما يتوافر للأمة الإسلامية من أسباب القوة والمنعة.

الحديث عن يوم الجمعة وفضله وعظيم مكانته حديث له قدره، والناظر في النصوص القُرآنية الآمرة بصلاة الجمعة والنصوص الحديثية المتحدثة عن فضله وآدابه وهداية الأُمة له يُدرك أن لهذا اليوم مقاصدَ وفلسفة تحتاج إلى تأملها والغوص في أعماقها وأن تتشربها الأُمة فتصبح سلوكًا وواقعًا.. حقيقةً لا مجازًا.. فعلًا لا كلامًا! وهذه الأبعاد أو تلك الفلسفة التي يخرج بها المتأمل من صلاة الجُمعة وشعائرها يجد أنها تتقاطع مع كثير من الأركان والشعائر الإسلامية، فالأوامر والإرشادات الواردة في حق يوم الجمعة تُمثل مساحةً واسعةً من معالم هذه الأُمة.

تأملات في جُمعة المسلمين

أحمد عبدالجواد زايدة
باحث دراسات إسلامية

عن أبي سعيد الخُدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «الغُسل يوم الجمعة واجب على كُل محتلم وسواكٌ ويمس من الطيب ما قدر عليه» (رواه مُسلم)، فهو أمر بالاغتسال والتطهر، سواء أكان الأمر للوجوب أو لَلاستحباب على اختلاف بين المذاهب، بغرض النظافة والتجملِ والتطيب لإظهار جَمالية المسلَمين في صورةٍ بهية بحيث تكون سمةً من سمات الإنسان المسلم ومعلمًا من معالمه، وبالتالي يكونُ معلمًا من معالم الأُمة وسمةً من سماتها، فهي أُمةٌ جماليةٌ وهي أمة الجمال في كل شيء، وخالقها جميل يُحب الجمال وطيب لا يقبل إلا طيبًا، والبُعد الجمالي يُلمس في كل أحكامها، ويمتد في الشريعة بتفصيلاتها، حتى في الاعتقاد، وقد أبدع العلامةُ المغربي فريد الأنصاري- رحمه الله- لَما سمى كتابه «جمالية الدين.. من معارج القلب إلى حياة الروح» لقد تحدث الرجل عن جمالية التعريف بالله وجمالية القُرآن وجمالية الإيمان باليوم الآخر، بل عن جمالية الموت! فالجمال مقصد يؤخذ ويُعمم ويُنزل في كل مناحي الحياة.. سلوكًا وعملًا وتطبيقًا.. وذلك ملمح من

يوم الجمعة وصلاة الجمعة ملامح لبناء العرفان والبنيان والإنسان

ملامح الإحسان ومستوى من مستوياته.

التعليم والتزكية

اختُصت هذه الأمة بهذا اليوم وهُديت إليه وجُعل لها عيدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أُمةٍ أوتيت الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم الذى كتبه الله علينا هدانا الله له، فالناس لنا فيه تبعٌ اليوم غدًا والنصارى بعد غد» (رواه مسلم).

وقال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كُنتم تعلمون﴾(سورة الجمعة)، فالسعي إلى ذكر الله واستشعار أهمية هذه الشعيرة، وأن الأُمةَ مختصةٌ بها وحدها إنما هو تذكير للأُمة برسالتها وبدعوتها، وتربية شاملة لها، تربية وجدانية روحية، وتربية فكرية للأمة لبناء وعيها وتوضيح أهدافها وتصحيح عقيدتها، ومن هُنا يتأتى الحديث عن خُطبة الجُمعة وأهمية محتواها، وهو ما يفتقده واقع اليوم، فالمسلمون يحضرون هذه الشعيرة الأسبوعية «الحاشدة» كي يستمعوا إلى خطبة من الواجب أن تكون لإنهاضهم وتوضيح الصورة الحقيقية في أذهانهم وتذكيرهم بما ينبغي التذكير به ومناقشة الواقع ومشاكله، فالواجب إذن أن يكون خطاب نهضة وحضارة لتحقيق مقاصد هذا الدين ومقاصد إخراج هذه الأُمة للناس، ومن العجيب أنك قد تجد من يتحدث عن تفصيلات التفصيلات مما لا علاقة له بالمُستمع على الإطلاق مما ينُفر من الاستماع، حتى صار البعض يصوغ النكات على ذلك الأمر! فالواجب أن تكون خطبةً واضحةً تناقش واقع اليوم وتُلبي احتياجات وتطلعات الناس، تتحدث من واقع الأُمة.. لا من واقع أحد غيرها.. ولهدف الأُمة.. لا لهدف أحدٍ غيرها.. وبروح الأُمة لا بروح أحد غيرها، تُربي الفكر والوجدان وتُرسخ المفاهيم الأساسية المُحركة للأمة في

أذهان وقلوب أبنائها.

الأمة هي الأصل

وذلك معلم من أهم المعالم وهو مُتكررٌ في أغلب الشعائر والأحكام الشرعية، إن لم يكن في جميعها، وهو وحدة الأمة والانسجام فيما بينها، وهذه الرابطة الأخوية بين جميع أفراد الأمة وهذا التكاتف والتعاضد وهذه الأخوة والمساواة بين الفقير والغني والحاكم والمحكوم والضعيف والقوي، تسهم في المحافظة على وحدة جماعة المُسلمين وإيجاد الجامعة الإسلامية والتذكير بالأخوة الإسلامية، فمهما اختلفت بعض الأفكار وتعددت الوسائل والبرامج العملية في آلياتها، فإن الجمعة تكون محضنًا أُسبوعيًا لجمع الأواصر والتركيز على الأصول والمقاصد والكليات الأساسية لهذه الأمة التي يسعى الجميع لتحقيقها والسعي إليها، بالإضافة إلى اللقاء اليومي خمس مرات في صلاة الجماعة، وكذلك الحج، ذلك المؤتمر السنوي للأمة.

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كُنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾(الانفال:٤٦).

ومن هُنا وجب التنبيه على أن تكون المنابر للأمة فقط! وليس لأحزاب أو لحركات إصلاحية أو جماعات أو غيرها، فإن المنبر مقام كان يقف فيه رسول الله ﷺ فهو منبر للأمة يتحدث بروح الأمة.. و في قضايا الأُمة.

ولذا فإن مشهد الجمعة هو مشهد لمناقشة هموم الأُمة والواقع، والسعي لتحقيق أهدافها، مشهد تلتقي فيه الأُمة كلها فتكتسب قوتها من وحدتها، فتُحقق أهدافها التي كانت تظنها مستحيلة، فإذا بها واقعًا بفضل وحدتها واجتماعها.

بناءُ الأمة وعمارة الأرض

بعد أن أمر الله- سبحانه وتعالى- عباده بالسعي إلى ذكر الله وإجابة نداء الجُمعة، أمرهم بالانتشار في الأرض و الابتغاء من فضل الله، والسعي في الأرض.

قال تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تُفلحون﴾، فهو جمعٌ بين بناء الروح والفكر وبين بناء الأمة وعمارة الأرض بروح المؤمن الذاكر لربه في كُل وقت وحين.

وهو ما يميز هذه الرسالة الخالدة الموازنة، والجمع بين الروح والمادة والمصالح الدنيوية والأخروية، وقد هدفت الشريعة إلى تحقيق كليهما، وعمارة القلب وعمارة الأرض.. ومن هُنا تتحقق الشهادة على العالمين وتتأتى النهضة المرجوة.

علاقة الأمة بمفهوم الزمن

الناظر في فضل التبكير إلى صلاة الجُمعة وجزاء من يأتي في الساعة الأُولى ثم الثانية... وهكذا يُدرك أهمية الزمن بعمقه الفلسفي، بامتداده العرضي وليس فقط الطولي، وباحتوائه للعديد من أحداث وقصص وأخبار الأُمم التي أُمرنا بالتفكر فيها.

كذلك ففي هذا اليوم ساعة إجابة نجلس ننتظرها ونترقبها لعل الله يُكرمنا بفتح من عنده، وهو ذات الأمر في الصلوات الخمس، فهي في أوقات مختلفة (الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء) ما بين نور وظلام وشروق وغروب، ربط بالزمن وبالكون، و في كتاب الله سور باسم هذه الأوقات (الفجر- الضُحى- الليل- العصر) كي لا ينقطع المسلم عن هذا العالم وكي لا ينحصر نظره وينحسر!.

يوم الجمعة وصلاة الجمعة.. ملامح لبناء العرفان والإنسان والبنيان.. هي صياغة مُستمرة مُتجددة.. لبناء الإنسان والأمة.. والله أعلم.

يوم الجمعة.. يوم الاجتماع والرحمة

التحرير

خطبة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى التي تنساب معانيها وتوجيهاتها إلى نفوس المسلمين في لحظات انعطاف إلى الله تعالى، واستعداد لتقبل أحكامه.. ومن ثم كان موضوعها جليل الأثر كبير الخطر.

إنها الزاد الأسبوعي الذي يمد السلم بما يضيء له معالم الطريق فيسير في هديه، ويستمد منه طاقة روحية تروي ظمأه، وتشفي غلته، وتسمو بعقله وتزكي نفسه.

ومن هنا فإن الاهتمام بخطبة الجمعة، والاحتفال بشأنها أمر بالغ الأهمية لما تقوم به من دور كبير في تثقيف الأمة، وترشيد نهضتها، ودعم كيانها المادي والأدبي، ووصل غدها المأمول بماضيها المجيد.

إن الأمة الإسلامية هي ثمرة المسجد ووليدته منذ كانت، فقد استطاع النبي ﷺ أن يربي جيلًا من الصحابة حملوا الرسالة الى الآفاق، وأقاموا الدين والدولة جميعًا، فكان للمنبر النبوي أعظم الأثر في التربية والتوجيه، ولذا فإن الطريق إلى إصلاح حال أمتنا يكون بالدراسة العلمية لخصائص هذا المنبر الشريف، واستهداء نهجه الأقوم، والسير الحثيث على خطاه.

إن المنبر ليفقد فعاليته حين يصاب بالجمود فيتخلف عن عصره، ويضمحل تأثيره، ويفقد مكانته في التوجيه، وهذا يشير إلى أهمية خطبة الجمعة، وأثرها الفعال في المجتمع، وهو تقدير لخطرها يلقي تبعة ثقيلة على الأئمة والخطباء، ليأخذوا الأمر بقوة.

إن الناشئة المسلمين في ميعة الصبا حين يدخلون المسجد يتلقفون أنوار الهدى وسديد التوجيه من عالم المسجد لأول عهدهم بالحياة، إذا المسجد مفتوح لكل من رام هدى، ومن غير هذا الرائد لهؤلاء إذا حرم المجتمع منه؟

وكذلك هذه الألوف من العامة الذين ليس لديهم من فرصة لمعرفة أمور دينهم ودنياهم، ومقاومة أعباء الحياة بزاد من الخلق الفاضل، وتقوى الله في معايشة الناس إلا المسجد، فمدرسة الألوف ومعهدهم المسجد، وأستاذهم الأول هو إمام المسجد، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بين الأمة الإسلامية وبين دينها، لأن القدوة تعمل فيهم عمل آلاف الكتب في أوساط المثقفين.

إن المسجد مدرسة الأمة الإسلامية جميعًا، تتلقى فيه المعرفة الدينية وتتعلم فيه فضائل النفس، يستوي في ذلك المثقف والعامي، ولكننا نقرر مع ذلك أن المسجد هو الفرصة السانحة التي تقدم قدرًا مشتركا من المعرفة الدينية للذين لم تتح لهم فرصة التعليم، وفي الوطن الإسلامي مع الأسف ملايين كثيرة لم تتلق من التعليم شيئًا.. فمن لهؤلاء إلا علماء الدين من أئمة المسجد وخطبائه أساتذة وهداة ومربين.. يعلمونهم ويهدونهم ويرشدونهم، ويكونون لهم الأسوة الحسنة؟

وبهذه المثابة فإن المسجد هو ضمير الأمة الإسلامية والقوام على أخلاقها وتقاليدها، وهو الوسيلة الأمينة إلى التربية الإسلامية الصحيحة اللازمة لتكوين أجيال قوية أمينة، وبخاصة في ظل ظروف العصر وتعدد مراكز التوجيه المرئية والمسموعة والمقروءة وغيرها، وسبيل ذلك خطبة الجمعة في المقام الأول ثم الدروس التي يحضرها الحريصون على العلم والاستزادة منه في المقام الثاني، ولكن الجم الغفير من المسلمين لا يدخلون بيوت الله إلا يوم الجمعة، للإنصات إلى الخطبة، وأداء الصلاة.. ومن هنا كان التركيز على هذه الخطبة بوصفها كلمة المسجد الأسبوعية لجماهير المسلمين، وإن استثمارها في التوجيه المسدد يحقق أهداف الإسلام في تكوين المسلم، ويؤكد مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي، فهو قلبه النابض وروحه القوي الحي، فالمسجد بهذا يقوم على حراسة النفوس وتقويتها، ومنعها أن تنحرف إلا أن يشاء الله، وهو بذلك صمام الأمن للأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية المنحدرة إلينا من المجتمع الأول على عهد رسول الله ﷺ، وهو دائم على ملء القلب بفيض من النور ووصله بهدى الله.

حكمة صلاة الجمعة

جاسر عودة

العبادات في الإسلام لها حكم ومقاصد عديدة، أول هذه الحكم والأهداف هو ذكر الله تعالى: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾، ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله﴾، ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾، وهكذا.

من حكمة العبادات إظهار الخضوع والتسليم لله، والاتباع لرسوله ﷺ بصرف النظر عما نفهم نحن من حكم وأسرار، فمثلًا تساءل عمر رضي الله عنه عن السر في «الجري في السعي» والكشف عن المناكب (أي في ملابس الإحرام) بعد أن أعز الله الإسلام، والقصة هي أن الرسول ﷺ حين دخل مكة فاتحًا أشاع الكفار أن المسلمين قد أضعفتهم أوبئة المدينة، فأمرهم ﷺ أن يجروا في الطواف والسعي ويكشفوا عن أكتافهم (للرجال) حتى يظهروا قوة المسلمين والإسلام، لكن عمر- لأنها أصبحت عبادة مستقرة- قال: «لا ندع عبادة كنا نفعلها على عهد الرسول ﷺ» (رواه البخاري).

ويوم الجمعة من أيام العبادة الخاصة في الإسلام، قال عنه ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»، وقال ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»، وقال ﷺ: «إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد إلا أعطاه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»، وقال ﷺ: «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم «الجمعة» الذي كتبه الله علينا هدانا الله له»، وغير ذلك كثير من الأحاديث الصحيحة (راجع البخاري ومسلم- أبواب الجمعة).

وصلاة الجمعة لها شأن خاص، نزلت سورة كاملة من القرآن باسمها، وفيها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩)، وقال عنها ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونًا بها طبع الله على قلبه»، وقال: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج لا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»، وقال: «إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأول فالأول»، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة كذلك الموعظة وتبادل المشاعر الطيبة والسؤال عن الغائب والمريض، إلى آخر ذلك من حكم ومقاصد فردية وجماعية عظيمة، ثم ظهرت لنا في الأسابيع الأخيرة والتي بدأ فيها عصر ثورات الشباب الحديثة، ظهرت لنا حكمة جديدة لصلاة الجمعة! وهي أن هذه الصلاة هي الملاذ والملجأ الأخير للشعوب المقهورة لكي تثور على جلاّديها وتحطم أصنامها وتوحد الكلمة وتجمع الصف، فمهما منع المستبدون التجمع فوق ثلاثة أو أربعة أو خمسة أشخاص، ومهما أغلقوا وسائل التواصل الإلكترونية أو الهاتف أو المواصلات، ومهما حظروا المظاهرات والاحتجاجات.. فالجمعة شعيرة إسلامية لا يستطيع أن يمنعها أحد، وهي المنطلق الذي ينطلق منه الشباب في مختلف بلادنا لبدء الثورة أو استمرار الثورة أو حتى إنقاذ الثورة! فمن جمعة الغضب لجمعة الشهداء، لجمعة الزحف، لجمعة الخلاص، لجمعة الوحدة الوطنية، لجمعة الاستقرار، لجمعة النصر، لجمعة الإنقاذ، إلى آخر هذه الأسماء المبدعة.

هكذا تخدم شعيرة صلاة الجمعة الأهداف العليا وتدفع المسلمين دفعًا في مسيرة الإصلاح والتغيير والتجديد.

وأخيرًا، لا ننسى الشهداء، فبالإضافة الى انطباق قول الرسول ﷺ عليهم: «سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، ينطبق عليهم كذلك قول النبي ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

أكاديمي في جامعة قطر

حضارة الإسلام في مشهد الجمعة

محمد إلهامي

في يوم جمعة، وقعت حادثة استحقت أن تنزل فيها آيات، إذ كان النبي ﷺ قائما يخطب، فأقبلت عير فيها تجارة، فانطلق الناس إليها حتى لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا. (البخاري ومسلم).

نزلت سورة الجمعة، التي هي- كما كل الآيات القرآنية- لا تعالج الموقف لذاته فحسب، بل تعطي الأمة توجيها خالدا في كل عصورها، ولذا فإن النظر إلى سورة الجمعة بعين تقصد أن ترى المعنى الحضاري فيها يُفضي إلى نتيجة جديدة تماما، لم تنل حظًا من أهل التفسير على حد ما أعلم، وإن ظهرت في سياق تفاسيرهم بشكل مُجزَّأ، تلك هي أن سورة الجمعة إنما نزلت لتُذكِّر الجماعة المسلمة بتميزها الحضاري، ولتُوَضِّح معالم الحضارة الإسلامية.

التأمل في سورة الجمعة يكشف لنا رؤية أقسام ثلاثة واضحة، متمايزة ومترابطة:

١- أن هذه الأمة المسلمة هي غرس رباني.

٢- وأنه معهودٌ إليها أن تستفيد من سيرة التاريخ، وأن تصحح مسيرته.

٣- وأن تنتبه إلى رسالتها في الحياة فتملك الدنيا دون أن تملكها الدنيا.

لقد بدأت قصة الإسلام فجأة، لم يكن ثمة ما يشير إلى أن هذه البقعة المهملة في خارطة التاريخ والجغرافيا آنذاك قد تكون ذات أهمية يوما ما، فتلك بلاد قبلية، أهلها أميون، يعيشون جاهلية في الأفكار والأعمال، ولا يفكرون في إنشاء حضارة.. ولهذا كان انتقالهم المفاجئ نحو التوحد والسيادة على الجزيرة ثم مجابهة الكبار: فارس والروم، ثم امتلاك ناصية العلوم والحضارة، كل ذلك كان بتدخل رباني محض، نعمة على هؤلاء القوم، لا شريك له فيها.

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

ولذا، فإن سر هذه الأمة في هذا الدين، فهو الذي نقلهم من البداوة إلى الحضارة، ومن الجاهلية إلى السيادة، أو كما يقال: من رعاة الغنم إلى رعاة الأمم.

ورعاية الأمم لا تعني التسلط عليهم ولا قهرهم، بل تعني قيام الأمة بدورها في توصيل الرسالة لهم، ذلك أن الرسالة إنسانية عالمية خالدة لم تنزل على العرب لتزرع فيهم بذور عنصرية أو تمييز، بل لتحملهم مسؤولية الدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وبهذا تكون الأمة أطول عمرا، وأكثر اتساعا، وأمضى في تاريخ الخلود، فهي أمة نشأت من الفكرة، أنشأتها الرسالة الإسلامية، تمتد في طول الزمان بتتابع الأجيال وفي عرض المكان باتساع البلدان.

﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾

ولما سئل النبي ﷺ عن هذه الآية أشار إلى سلمان الفارسي وقال: «لو كان الإيمان عند الثُّرَيَّا لناله رجال- أو: رجل- من هؤلاء» (رواه البخاري)، وسلمان من غير العرب، من فارس، ولذا قال العلماء إنها تعني كل من صدَّق النبي ﷺ من غير العرب (١).. فهذا هو اتساع المكان.

وأما طول الزمان ففي حديث آخر، يقول ﷺ: «إن في أصلاب أصلاب أصلاب أصلاب رجال رجالا ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، ثم قرأ: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ (رواه الطبراني وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني).

وهذه الأمة على كثرة الأجناس والأقوام، وعلى تتابع الأزمان والأجيال، تبقى عربية الروح والثقافة، تلتف حول اللسان العربي، وهذا معنى دقيق فقهه الشيخ الطاهر بن عاشور من الآية وقال بأن ﴿منهم لما يلحقوا بهم﴾ هي بمعنى الاتصال، أي أن العرب وغيرهم، والجيل وغيره، أمة واحدة متصلة ببعضها، ثم إنهم يلحقون بالعرب أي يتعربون لفهم الدين وتلاوة القرآن، وهي بشارة غيبية بأن دعوة النبي ﷺ ستبلغ أمما غير عربية وأنهم يحتضنونها ويلتحقون بالعرب (٢)، من كان يحلم بشيء من هذا الخلود والتفوق والسيادة من العرب المقيمين بالجزيرة

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، صاحب مدونة المؤرخ

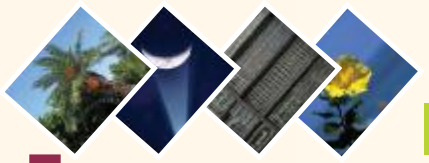

في القرن السادس الميلادي؟ لا أحد بكل تأكيد..﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

وهنا، بهذا التأكيد، ينتهي المقطع الأول من سورة الجمعة، ليعرف المسلمون أنهم أمة نشأت بنعمة الله وفضله، وأن هذا الدين هو سر نهوضهم، وبه كان تفوقهم وخلودهم.

ويأتي المقطع الثاني الذي يُعطي الأمة خلاصة التاريخ الذي ينبغي أن تستفيد منه، وأن تصحح مسيرته، تاريخ قوم حملوا أمانة الرسالة من قبل فلم يحفظوها، فلهذا نقل الله رسالته إلى هذه الأمة.

إنهم بنو إسرائيل، آتاهم الله التوراة ﴿فيها هدى ونور﴾، وفيها هذا النبي الأمي ﴿يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾.. إلا أنهم لم ينتفعوا بها إذ لم تتهذب عقائدهم ولا أخلاقهم، فضرب الله لهم هذا المثل: ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

ولهذا ينبغي أن تفهم الأمة أن حضارتها حضارة عمل وتطبيق لا مجرد تنظير وتقعيد، حضارة وعي وفهم وتشرب للمنهج لا مجرد الاحتفاظ به وحمله في السيارات والمكتبات، أو حتى تلاوته في المحافل والمناسبات فحسب.

والتشبيه بالحمار الذي يحمل الأسفار تشبيه مركب؛ فالحمار لا يعرف قيمة ما يحمله أصلا، غير أنه لن ينتفع بها حتى ولو نشرت أمام عينيه، فكأنما بلغ بنو إسرائيل حد الإياس من انتفاعهم بما أنزل عليهم (٣).

وهذا مثل مضروب للأمة المسلمة، لتعلم به أن مكان القرآن في حياتها هو مكانه من العمل والتنزيل والتنفيذ، وأن منهجها يجب أن يكون في روحها ووجدانها لا في السطور أو الصدور وحدها!

في هذه الحالة يكون القرب من الله واستحقاق الصلة به مرتبطا بهذه الأمانة، ولا يكون ثمة مكان للادعاء الفارغ أو زعم الخيرية أو مباهاة الناس بالباطل.. بل يكون القرب من الله وحمل رسالته مصحوبا بما يؤكده من

سر هذه الأمة في هذا الدين الذي نقلهم من البداوة إلى الحضارة ومن الجاهلية إلى السيادة

عمل وتطبيق وجهاد، حتى لو أنه جهاد يتطلب ذهاب النفس في سبيل الرسالة.

كل هذه الأمور لم تكن عند اليهود، ﴿قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين. قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

وهنا، وبهذه الحقيقة القائمة الراسخة.. حقيقة الموت، ينتهي هذا المقطع من السورة، وقد كان يقدم للأمة المسلمة خلاصة تاريخ أمة سابقة، لكي تعرف منه خصائص رسالتها وحضارتها، فتقوم بتصحيح المسيرة وتضرب المثل للأمة التي حملت الرسالة بحق، فكانت خير أمة أخرجت للناس.

ثم يأتي المقطع الأخير الذي نزلت لأجله السورة نفسها، وفيه التنبيه على أن هذه الأمة تنظر إلى الآخرة أكثر من الدنيا، مع احتفاظها بالتوازن المطلوب بين الدنيا والآخرة، ولهذا فإن ثمة لحظات بعينها ينبغي أن تصفو فيها الأمة من الدنيا وأن تتركها إلى حيث يُذكر الله، ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾، رغم أن البيع ليس حراما ﴿وأحل الله البيع﴾، بل هو مطلوب كسائر أعمال الرزق الحلال، لكن هذه اللحظة ليست كغيرها، حتى قال ابن كثير: اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني (حيث يكون الخطيب قد صعد)، واختلفوا: هل يصح؟ وظاهر الآية عدم الصحة (٤).

فهي لحظة خاصة واستثنائية في حياة الأمة المسلمة، والعجيب أنه جل وعلا ذكر البيع ولم يذكر أي نشاط آخر للمسلم، ذلك أن البيع هو عملية الربح والحصول على المال، وبرغم هذا فإن ترك هذا البيع والذهاب للجمعة ﴿خير لكم إن كنتم تعلمون﴾، وحيث إن الآخرة هي الغاية، وهي المعيار، إلا أن الإسلام منهج متوازن.. ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾، فحتى الخروج للدنيا وابتغاء الرزق ينبغي أن يكون مصحوبا بذكر الله ذكرا كثيرا.. إلا أن تعبير ﴿قُضيت الصلاة﴾ يوحي بمعنى الإتقان، إعطاءَ كل ذي حق حقه، أي بعد استيفاء الصلاة يمكن للمسلم أن يخرج في طلب الرزق، ولهذا لم يكن التنديد القرآني بمن طلب الرزق في القافلة، بل كان بمن ترك الصلاة لأجل ما في القافلة، فانصرف قبل اكتمالها.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾.

كان عَرَاك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتَك، وصليتُ فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين (٥).

هذا أصدق تعبير عن العقلية المسلمة التي تؤمن بأن الله فوق كل شيء، وأن ما عند الله هو خير مما يبدو لنا أنه خير.

بقي ملمح آخر للحضارة الإسلامية كما ظهرت في سورة الجمعة؛ وهو ملمح كامن ومنتشر في كل السورة، ومسيطر على روحها، ذلك هو أمر التوحيد.. إن اسم الله جل وعلا ذُكر - صراحة أو ضميرًا أو صفقة- في كل آية من آيات السورة، وهذا يعني- بشكل واضح- أن هذه الحضارة مبعثها من عند الله تبارك وتعالى، فهو مالك الوجود ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾، وهو صاحب الغرس ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا﴾، وهو الذي شرع الشرائع وكلف بالأعمال (فاسعوا.. ذروا.. فانتشروا.. ابتغوا)، وهو الذي يعلم الغيوب والخفايا ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾،

الجمُعة بضم الميم وإسكانها وفتحها: الجُمُعَة، والجُمْعَة، والجُمَعَة، والمشهور الضم، وبه قُرئ في السبع في قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ (الجمعة: ٩)، قال ابن عباس: نزل القرآن بالتشكيل والتضخيم فاقرأوها جُمُعَة. والإسكان تخفيف منه، ووجه الفتح بأنها تجمع الناس كما يُقال: هُمزة، وضُحكة للمكثرين من ذلك، والفتح لغة بني عُقَيل، ويُجمع على جُمُعات وجُمَع. قال في لسان العرب ٨/ ٥٨: «...والأصل فيها التخفيف، جُمْعَة، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة، ومن خفف فعلى الأصل، والقرّاء قرأوا بالتثقيل، ويُقال: يوم الجُمَعَة لغة بني عُقَيل، ولو قُرئ بها كان صوابا».

يوم الجمعة في الميزان

رشيد ناجي الحسن
باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

إن حقاً على من أحب الخير لنفسه أن يعرف ليوم الجمعة فضله ويعطيه حقه

قال الحافظ ابن حجر: قد اختلف في تسمية هذا اليوم بالجمعة مع الاتفاق أنه كان يسمى في الجاهلية بالعَروبة ومعنى العروبة: الرحمة.

وقيل: لأن الله- تعالى- جمع فيه خلق آدم- عليه السلام، واستدلوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قيل له: لأي شيء سُمّي يوم الجمعة؟ قال: «لأن فيها طُبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة والبعثة، وفيها البطشة، وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استُجيب له». (أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣١١) وهو ضعيف، وقد جاء خلق آدم عليه السلام في هذا اليوم في عدد من الأحاديث في السنن وغيرها. وصحّحَ هذا القول في فتح الباري ٢/ ٣٥٣، ونيل الأوطار ٣/ ٢٢٢.

- وقيل: لاجتماع الناس فيه للصلاة (١)

- وقيل: لأن الله- تعالى- جمع فيه آدم مع حواء في الأرض.

- وقيل: لما جُمع فيه من الخير، وقيل غير ذلك...

مبدأ الجمعة

ذكر ابن إسحق عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي حين كُفّ بصره، فإذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان بها استغفر لأبي أسامة أسعد بن زرارة، فمكث حينًا على ذلك فقلت: إن هذا لعجز. ألا أسأله عن هذا، فخرجت به كما كنت أخرج، فلما سمع الأذان للجمعة استغفر له، فقلت: يا أبتاه، أرأيتَ استغفارك لأسعد بن زرارة كلما سمعت الأذان يوم الجمعة؟ قال: أي بني، كان أسعد أول من جمّع بنا بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ في هَزْم النّبيت من حَرّة بني بَياضة في نقيع يقال له: نقيع الخضمات. قلت: فكم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلًا. قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٧٣): وهذا كان مبدأ الجمعة، ثم قدم رسول الله ﷺ فأقام بقباء في بني عمرو بن عوف، كما قاله ابن إسحق يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وذلك قبل تأسيس مسجده.

فضل يوم الجمعة

لا خلاف بين العلماء أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وأنه خير يوم طلعت فيه الشمس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم- عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» (رواه مسلم، ٨٥٤)، وغيره. وحكى ابن القيم خلاف العلماء في المفاضلة بين يوم الجمعة ويوم عرفة، حيث قال: فإن قيل: فأيهما أفضل: يوم الجمعة أو يوم عرفة؟ فقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطلع الشمس ولا تغرب علي يوم أفضل من يوم الجمعة» (رواه ابن حبان في صحيحه، ٥٥١) وحسنه الأرناؤوط، وفي المسند من حديث أبي لبابة بن عبدالمنذر، عن النبي ﷺ قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عند الله، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، وفيه خمس خصال: خلق فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله- عز وجل- آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئًا إلا آتاه الله إياه ما لم يسأل حرامًا، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا أرض ورياح ولا بحْر ولا جبال ولا شجر، إلا هن يشفقن من يوم الجمعة» (رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٠)، وابن ماجه (١٠٨٤)،

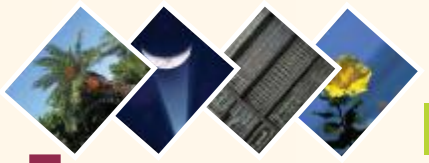

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣١٧) ثم حسنه في صحيح سنن ابن ماجه (ح ٨٨٨)، وحسنه الأرناؤوط. لذا، ادخر الله هذا اليوم لهذه الأمة وخصها به، وأضل عنه اليهود والنصارى، فعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة...» (رواه مسلم ٨٥٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إنهم- اليهود- لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على الجمعة التي هدانا الله لها، وضلوا عنها» (رواه أحمد، ٦/ ١٣٤، ١٣٥)، قال الأرناؤوط: سنده حسن، وله شواهد في الصحيح وغيره.

خصائص يوم الجمعة

كان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره، ومن خصائص هذا اليوم:

صلاة الجمعة:

وهي من أعظم خصائص هذا اليوم، قال ابن القيم: «الخاصة الثالثة: صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضُه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاونًا بها طبع الله على قلبه، وقُرب أهل الجنة يومَ القيامة، وسَبقهم إلى الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم».

صلاة الجمعة وخطبتها التي أمر الله بالسعي إليها في كتابه فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩) ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠). ولهذا يحرم على من تلزمه الجمعة أن يبيع

أو يشتري بعد الأذان الثاني، سواء كان في المسجد أو خارج المسجد، لأن المسجد يحرم فيه البيع والشراء كل وقت، وهذا التحريم إنما هو للنداء يوم الجمعة، فلا يجوز لأحد أن يبيع أو يشتري وهو ممن تلزمه الجمعة.

وقد ورد عدد من الأحاديث عن الرسول ﷺ فيها التأكيد والتشديد على من يتخلف عن الجمعة بغير عذر: فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «لقد هممت أن آمر رجلًا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم» (مسلم، ٦٥٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لينتهين أقوام عن ودعهم- أي تركهم- الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» (مسلم، ٨٦٥).

وروى أبوالجعد الضمري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونا من غير عذر طبع الله على قلبه» (أبوداود، ١٠٥٢- المسند، ١٥٨٩٤).

قال الإمام ابن عبدالبر: «وأما قوله في الحديث «من غير عذر» فالعذر يتسع القول فيه، وجملته كل مانع حائل بينه وبين الجمعة مما يتأذى به أو يخاف عدوانه أو يبطل بذلك فرضا لا بدل منه، فمن ذلك السلطان الجائر يظلم، والمطر الوابل المتصل والمرض الحابس وما كان مثل ذلك، ولم يأت الوعيد في ترك الجمعة إلا من غير عذر ثلاثا فكيف بواحدة من عذر بَيّن» (التمهيد: ١٦/ ٢٤٣).

الحكمة من صلاة الجمعة

أولا: تحصيل الأجر

وتحصيل الأجر يكون بالخطوات إلى المساجد، ويكون بانتظار الإمام فيأتي ببعض العبادات، كأن يصلي ما كتب له، أو يقرأ قرآنا، أو ينصت لمن يقرأ، وكل ذلك أجر، فإن الإنسان في صلاة مادامت الصلاة تحبسه، والملائكة تستغفر له: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يؤذ أو يحدث.

وثانيا: الاستفادة

ولا شك أن الخطب التي تكون في الجمع والأعياد تشتمل على فوائد وتعليمات وأحكام ومواعظ وإرشادات، فينقلب الذي يحضرها وقد تزود علما، وقد حصل على فوائد لم يكن يعرفها.

ثالثا: التعارف

وهو أن أهل القرية إذا اجتمعوا كل أسبوع، ولقي بعضهم بعضا تبادلوا التحية وتبادلوا النصيحة، وتعارفوا فعرف بعضهم بعضا، وسلم بعضهم على بعض، وتفقد بعضهم حال أخيه، وعرف من في هذا البلد أو هذا الحي من إخوانه المسلمين. لقد شرع الله تعالى الاجتماع للصلوات في كل يوم، فيجتمع أهل الحي في مسجد واحد، وشرع أيضا الاجتماع الأسبوعي، وهو اجتماعهم في المسجد الجامع لأهل القرية كلهم، وشرع الاجتماع السنوي لصلاة العيد لأهل البلد، وشرع الاجتماع العام في المواسم في مكة الذي يعم المسلمين كلهم، وكل هذه الاجتماعات فيها مصالح عظيمة.

ومن خصائص يوم الجمعة أنه:

١- يوم عيد متكرر، فيحرم صومه منفردًا، مخالفة لليهود، وليتقوى على الطاعات الخاصة به من صلاة ودعاء ونحوه، قال ﷺ: «إن يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده» (رواه أحمد في المسند، ١٥/ ١٥٧، ح (٨٠١٢) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٢- موافق ليوم المزيد في الجنة، وهو

اليوم الذي يجمع فيه أهل الجنة في وادٍ أفيح، ويُنصب لهم منابرُ من لؤلؤ، ومنابر من ذهب، ومنابر من زبرجد وياقوت على كثبان المسك، فينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويتجلى لهم، فيرونه عيانًا، ويكون أسرعهم موافاة أعجلهم رواحًا إلى المسجد وأقربهم منه أقربهم من الإمام(٢).

وفي حديث أنس الطويل: «... فليس هم في الجنة بأشوق منهم إلي يوم الجمعة، ليزدادوا نظرًا إلي ربهم- عز وجل- وكرامته، ولذلك دعي يوم المزيد» (رواه ابن أبي شيبة وغيره، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٩١) ح ٦٩٤).

٣ - فيه ساعة الإجابة وهي الساعة التي لا يسأل اللهَ عبد مسلم فيها شيئًا إلا أعطاه، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يُصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إيّاه. وقال بيده يُقللّها» (رواه البخاري ٨٩١، ومسلم ٨٧٩). وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة:

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، لحديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة» (مسلم).

والقول الثاني أنها بعد العصر، وهذا أرجح القولين(٢).

والذي ينبغي لكل مسلم الاجتهاد في الدعاء للدين والدنيا في الوقتين المذكورين رجاء الإجابة، فإنه لا يخيب إن شاء الله.

٤- للأعمال الصالحة فيه مزية عليها في سائر الأيام فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضًا، وشهد جنازة، وصام يومًا، وراح يوم الجمعة، وأعتق رقبة» (رواه ابن حبان في صحيحه (٧١٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٢٣)، وأخرجه أبويعلى بلفظ «...من صام يوم الجمعة، وراح إلي الجمعة، وعاد مريضًا، وشهد جنازة، وأعتق رقبة» (وسنده صحيح كما قال الألباني في الصحيحة ٣/ ٢١).

والمراد أن صيامه وافق يوم الجمعة بدون قصد إلي ذلك كما في بعض ألفاظ الحديث: «من وافق صيامه يوم الجمعة، وعاد مريضًا...» الحديث. وسنده صحيح.

قال ابن القيم في الهدي: «الثالثة والعشرون: أنه اليوم الذي يُستحب أن يُتفرّغ فيه للعبادة، وله علي سائر الأيام مزية بأنواع العبادات واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة، ويتخلّون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلِم، سلمت له سائر جمعته، ومن صح له رمضان وسلم، سَلِمت له سائر سنته، ومن صحت له حجته وسلِمت له، صح له سائر عمره، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر...».

وقال في موضع آخر: «الخامسة والعشرون: أن للصدقة فيه مزية عليها في سائر الأيام، والصدقة فيه بالنسبة إلى سائر أيام الأسبوع، كالصدقة في رمضان بالنسبة إلي سائر الشهور. وشاهدت شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه- إذا خرج إلي الجمعة يأخذ ما وجد في البيت من خبز أو غيره، فيتصدق به سرًّا، وسمعته يقول: إذا كان الله قد أمرنا بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ، فالصدقة بين يدي مناجاته تعالى أفضل وأولى بالفضيلة...»(٤).

وفي المصنف من حديث ابن عباس عن كعب في الجمعة: «والصدقة فيه أعظم من الصدقة في سائر الأيام» (المصنف، ٥٥٥٨) وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات، وإسناده صحيح.

٥ - اليوم الذي تقوم فيه الساعة ويُطوى فيه العالم، وتخرب فيه الدنيا، ويُبعث فيه الناس إلي منازلهم من الجنة والنار، وفيه تفزع الخلائق كلها إلا الإنس والجن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مُصيخة يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة، إلا الجن والإنس...» (رواه أبوداود، ١٠٤٦، والترمذي، ٤٩١، والنسائي، ١٤٣٠) وصححه الأرناؤوط وغيره.

٦ - يوم تُكفر فيه السيئات، فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طُهر، ويَدّهِنُ من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كُتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» (رواه البخاري).

٧ - للماشي إلى الجمعة أجر عظيم

قال ﷺ: «من غسّل يوم الجمعة واغتسل ثم بكّر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يَلْغُ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» (رواه أبوداود).

٨ - الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام، قال ﷺ: «من اغتسل ثم أتى الجمعة، فصلى ما قدِّر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه، غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام» (رواه مسلم).

٩ - الوفاة يوم الجمعة أو ليلتها من علامات حسن الخاتمة، لقوله ﷺ: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقي فتنة القبر» (رواه أحمد وصححه الألباني).

فيأيها الأخ المسلم إنَّ حقًّا على من أحب الخير لنفسه أن يعرف لهذا اليوم فضله، ويعطيه حقه، ويتقرب إلى الله بما يستطيع من العبادات المشروعة، ويؤدي الواجب، رغبة في الخير، وتلمسًا للفضل، مقبلًا على مواطن الطاعات، بالعزائم النشطة، والنفس المتفتحة، والآمال الواسعة، بفضل الله وبرحمته يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (الجمعة: ١١).

الجمعة بين إعداد الخطبة وثقافة الخطيب

عامر أحمد علي عامر

لقد أرسى الإسلام دعائم شتى لخلق مجتمع متناغم لا يبغي فيه أحد على أحد، ولا يطغى فيه فكر على فكر، ولا يستبد فيه ذو رأي برأيه، إلا بالحق والميزان، وعلى رأس تلك الدعائم الدعوة إلى الحوار المجتمعي والانطلاق من نقطة بدء متفق عليها، حتى مع المخالفين في الملة ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران:٦٤)، ومن أجل هذا الحوار المجتمعي- على المستوى الداخلي للأمة هذه المرة- فرض الله الجمعة، وكانت الخطبة والجماعة من أهم أركانها، بل إن الجماعة فرض كفاية في غيرها من الصلوات، وهي فيها فرض عين لا تسقط إلا عن المسافر أو المرأة أو العبد (كما في مذهب الشافعي وغيره).

من نافلة القول أن خطبة الجمعة مؤتمر أسبوعي تطرح فيه قضايا المجتمع، ثم تعرض على ثوابت الشرع وموازينه، لتستنبط الحلول والأدوية الناجعة- فهي بذلك صورة مصغرة لمؤتمر الحج السنوي- بالإضافة إلى شحن الحضور بطاقة إيمانية تسيرهم إلى الجمعة المقبلة، فضلًا عن أنها تسهم في تنظيم حياة المؤمن المقسمة في شرع الله إلى محطات بارزة (الصلاة إلى الصلاة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان)، بدلًا من أن تترك سدى بلا معالم ولا غايات.وثمة عوامل أسهمت في إضعاف الدور المنوط بخطبة الجمعة والذي شرعت من أجله، لتخرجها بذلك عن مسارها الصحيح، وربما كان ذلك بشكل متعمد في كثير من الأحيان، ولعل أهم ما أصاب هذا الدور في مقتل عزلها عن الواقع المعيش، ودورانها في فلك أريد لها ألا تخرج منه، ففي أحلك الأزمات الاقتصادية التي يمر بها العالم لم نر اهتمامًا بتشخيص الخلل وتحديد العلاج، اللهم إلا في حالات فردية نادرة.

والمختارون لأداء هذه المهمة، بشكل إجمالي، ليسوا كلهم من خيرة مفكري الأمة، ولا من عقولها الناضجة، إلا من رحم الله، فكثير منهم أجبرتهم مكاتب التنسيق أو الدرجات المتدنية على دخول الكليات الشرعية جبرًا، وعملوا في الوعظ أو الإمامة موظفين لا دعاة، وثمَّ فارق كبير بين هؤلاء وهؤلاء، ولعل أهم ما يسهم في جذب هذه الكليات إلى القاع والحيلولة دون صعودها إلى القمة الوضع المتردي لخريجيها ماديًا ومعنويًا!.

وحتى المهرة أصحاب الدرجات العليا في المدارس والجامعات ربما كان كثير منهم لا يصلح لأداء هذه الأمانة، إما لعدم استعداد الطبع، أو أنه لم يُعَدَّ ولم يُدَرَّب بشكل كاف، وهذا بالطبع لا ينفي وجود نماذج طيبةً يشار لها بالبنان، غير أنها قليلة.

وكثير من الخطباء لا يقرأ إلا لأنه يريد أن يحضِّر خطبة أو درسًا، أو لا يقرأ سوى ما يعزز موضوعًا أو فكرة معينة، وهذه طامة كبرى، إذ من المفترض أن يخطب لأنه قرأ وامتلأ، لا أن يقرأ من أجل أن يخطب، ولا أن يحفظ خطبًا «معلبة» لأحد مشاهير الخطباء، أو أعدت من قبل غيره، فهو ليس تسجيلًا يوضع فيه شريط ويضغط على زر التشغيل ليفرغ ما سجل عليه في آذان الجمهور ثم يطرح، أي الشريط، ويلقى به في البحر، إذ التحضير الجيد لا يغني وحده عن ثقافة على الداعية أن يلمَّ بها، أو على الأقل يطلع عليها.

وشعور الخطيب بأحادية النتيجة، سواء قصر أو أجاد، ربما يزهده في الاستعداد الجيد للخطبة، وتحسين مستوى الأداء، ورفع المحصلة العلمية والفكرية والإيمانية لدى الجمهور، وهذا ما دفعنا في مقال سابق على صفحات «الوعي الإسلامي» إلى أن ننادي بضرورة مواكبة خطبة الجمعة بحركة نقدية تقوم على أسس علمية مدروسة، وحَسنًا ما تفعله وزارة الأوقاف الكويتية بهذا الشأن من تسجيل خطبة الجمعة ثم عرضها على لجنة علمية تراجع وتقوم الخطبة والخطيب.

وختامًا فإن سلامة اللغة، وترابط العناصر وحسن الانتقال بينها، وتوثيق المادة العلمية والإلقاء المتناسب مع المعنى، حزنًا وفرحًا، شدةً ولينًا، وحياة الموضوع المطروح على أرض الواقع، وخلق روح تفاعلية بين الخطيب والمتلقي، والتنوع والبعد عن الجمود والتقليد، والعناية بآليات العصر الحديث (الإنترنت وغيره).. نقاط لا بد من مراعاتها، سواء في إعداد الخطبة أو تقييمها.

باحث لغوي وشرعي

مقاصد الجمعة وأثرها في توحيد الأمة

د.مسعود صبري

ليوم الجمعة مكانة خاصة في الإسلام، فهو أفضل الأيام كما جاء في الحديث: «سيد الأيام يوم الجمعة وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه إياه، ما لم يسأل حرامًا»، ومن دلائل عظم مكانة يوم الجمعة أن سميت سورة من سور القرآن باسمه، وهي سورة «الجمعة»، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، ذلك بأنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم، ثم كان هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا، وهدانا الله له، والناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد» (الطبراني)، وعن ربعي عن حذيفة قالا قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا إلى يوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة على الخلائق..» (النسائي في السنن الكبرى، وأبويعلى في المسند).

لأن اجتماع المسلمين ووحدتهم من أهم المقاصد التي راعاها الإسلام في طبيعة العلاقة بين المسلمين، فقد أوجد لهم مناسبات عدة، وشرع لهم عبادات جماعية، وكأن الإسلام يدفع المسلمين دفعًا نحو الاجتماع والوحدة، ومن تلك الوسائل يوم الجمعة، فجعله يوم عيد للمسلمين، كما قال ﷺ: «إن هذا يوم عيد، جعله الله للمسلمين» (ابن ماجة).

ومن وسائل الاجتماع والوحدة في الجمعة أن شرعت الصلاة فيها جماعة فريضة دون الصلوات الأخرى، فالجماعة فيها سنة مؤكدة، كما أن من أركانها خطبتين، مع وجوب استماع المصلين إلى الخطيب.

التذكير والنصيحة

ومن مقاصد الجمعة التذكير والنصيحة، وذلك من خلال خطبة الجمعة، حيث يذكر الخطيب المصلين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى الحق والخير، بل من الأولى في خطبة الجمعة أن يتناول الخطيب الأحداث التي تهم المسلمين، حتى يرتبط المصلون بقضايا الأمة، مثل قضايا فلسطين، والهجمة على الإسلام، ووحدة الأمة، كما يشمل ذلك أيضا القضايا العامة للمجتمع الذي يعيش فيه، ومن خلال الجمعة يمكن للإمام أن يساهم في ترشيد الرأي العام تجاه قضايا الأمة، وقضايا المجتمع.

شعائر الجمعة تدفع الأمة إلى التعامل بروح الوحدة والجماعة

التواصل

ويوم الجمعة يوم تواصل للمسلمين، فكثير من الناس لا يرى بعضهم بعضا إلا يوم الجمعة، إذ الذهاب إلى المسجد واجب، فيلتقي المسلمون في المسجد للاستماع وصلاة الجمعة، وبعدها يتلاقون فيما بينهم، ويسلم بعضهم على بعض، مما يشيع روح التواصل فيما بينهم.

وقد حث الشرع على فعل بعض الطاعات الاجتماعية، خاصة في يوم الجمعة، كزيارة المرضى، وشهود الجنازة، وشهود النكاح، وزيارة الإخوان، وصلة الأرحام وغيرها من العبادات التي توثق العلاقة بين المسلمين، وتزيد روابط الألفة والمحبة في المجتمع المسلم.

الذكر

وإذا كان الذكر واجبًا ومشروعًا في الأيام كلها، فإن له خصوصية في ذلك اليوم، فهو يوم تتربى فيه الأمة على ذكر الله بصنوف من الذكر، وقد نص القرآن على مقصد الذكر في سورة الجمعة، كما قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ٩ و١٠).

ويتنوع الذكر في الجمعة، ومنه الصلاة على النبي ﷺ، وللصلاة عليه في هذا اليوم مزية عن غيره، فهو سيد الأنام، والجمعة سيد الأيام، فكان أفضل الصلاة على سيد الأنام أفضلها في أفضل الأيام، ومنه قراءة سورة الكهف

باحث في مركز الوسطية العالمي - الكويت

في ليلته أو يومه، وقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة بعده، وقد ذكر العلماء استحباب عدد من سور القرآن، وكأن المقصود أن تكون الأمة في ذكر في هذا اليوم خاصة.

المسجد

ومن مقاصد يوم الجمعة ارتباط الأمة بالمسجد، فتصح الصلاة في أي وقت في أي مكان، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (الترمذي).

النظام

وذلك أن العبادات التي اشتمل عليها يوم الجمعة تظهر تحقق النظام فيه، وتدرب الأمة على أن تكون أمة منظمة في شؤونها، ومن مظاهر تحقق النظام والتدرب عليه تقديم الخطبة على الصلاة، وذلك حتى يجتمع أكبر عدد ممكن من المصلين، لأن صحة الصلاة تتوقف على الجماعة، بخلاف صلاة العيد مثلًا، فتقدم الصلاة على الخطبة، لأن صلاة العيد سنة.

ومن مظاهر النظام اقتداء المصلين بإمام واحد، واصطفاف المسلمين في صفوف منتظمة، وصعود الإمام على المنبر، ثم الأذان، ثم قيامه للخطبة، على أن تكون خطبتين، وتكون الأولى أطول من الثانية، على أن يراعى في الخطبتين عدم الإطالة، ثم الصلاة بعدهما.

ومن مظاهر النظام في الجمعة أن جعلت قراءة سورة الكهف من الليلة إلى نهاية اليوم، فلا تصح بعد المغرب من يوم الجمعة.

المسارعة في الخيرات

ومن خلال مظاهر تحقق ذلك الحث على فعل الطاعات خاصة في هذا اليوم، وكذلك الحث على الحضور مبكرًا لصلاة الجمعة، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة وراح فكأنما قدم بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» (النسائي في السنن الكبرى).

الطهارة

ومن مقاصد الجمعة أن تتعلم الأمة الطهارة بنوعيها، طهارة القلب، وطهارة البدن، أما طهارة القلب فهي تتدرب عليها من خلال تلك الصنوف من الطاعات المتنوعة التي لا تجتمع - في الغالب- للمسلمين في غير مثل هذا اليوم، فجيء بهذا اليوم ويحث فيه الشرع على صنوف من الطاعات والقربات حتى يتطهر القلب من براثن المعصية والآثام.

وكما اهتم الإسلام بطهارة القلب، وهي المقصود الأعلى، فإنه في ذات الوقت اهتم بطهارة البدن، إذ الظاهر غالبًا ما يكون عنوانًا للباطن، فحث الإسلام على غسل يوم الجمعة، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» (المسند)، كما طالب المسلمين بأن يرتدوا أحسن الثياب عندهم في يوم عيدهم، خاصة الثوب الأبيض، كما حثهم على التعطر والتزين وغيرها من مظاهر النظافة، وذلك لعناية الإسلام بنظافة المجتمع المسلم، فهو يجمع بين نظافة الفرد ونظافة المجتمع، وفي كل أماكن الاجتماع يستحب الإسلام الاهتمام بالنظافة والتعطر والتزين، فإن لذلك تأثيرًا على إشاعة الراحة النفسية، والاستعداد للسماع والإنصات، بخلاف ما لو انتشرت الروائح الكريهة، فهذا مما تنفر منه الطباع السليمة، ولا تكون في حالة تسمح لها بالاستماع والإنصات.

الدعاء

والإكثار من الدعاء مقصد من مقاصد يوم الجمعة، ووسائل تحقيق هذا المقصد أن جعل الله تعالى فيه ساعة إجابة، حثًا للمسلمين على الإكثار من الدعاء فيه، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه». (الترمذي).

وحتى يكثر المسلمون من الدعاء فيه، فقد أخفيت ساعة الاستجابة فيه، حتى ذهب أهل العلم في تعيينها إلى أزيد من ثلاثين رأيًا.

ولما كان الدعاء من المقاصد ذات الأهمية في يوم الجمعة، فقد تنوع فيه الدعاء، بين الدعاء الفردي الذي يطيل اليوم كله، وبين الدعاء الجماعي، كما هو الحال في الخطبة، حيث يختم الخطيب خطبته بالدعاء، والناس يؤمنون وراءه، مما يحقق صورة من صور الطاعة الجماعية.

إن شعائر الجمعة تدفع الأمة إلى التعامل بروح الوحدة والجماعة، لا روح الفرد والأنانية، وتذكر المسلمين بأنهم كما خاطبهم ربهم سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)، وتعينهم على مقصد الجماعة والاعتصام، كما قال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، إننا اليوم بأمس الحاجة إلى إحياء مقاصد الجمعة، وأن تعاد إليها روحها، لا أن تكون مجرد صلاة ينتظر المصلون الانتهاء منها وهم لا يزالون في المسجد، وأن يدرك الخطباء أهمية هذه الصلاة وهذا اليوم، فيعدوا له العدة طوال الأسبوع، وليفكروا فيما يجذب الناس إليهم، من حسن إعداد الخطبة، واختيار الموضوعات التي تشغل هموم الناس وتعالج مشاكلهم، وترسم لهم الطريق، وتربطهم بإخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها، فتتحقق- فعلًا- معاني الجمعة من الاجتماع والوحدة في هذه الأمة.

ماذا عن سيِّد الأيام؟

د.حسن أبوغدة

يوم الجمعة أحد أيام الأسبوع، سُمِّي بذلك لأن آدم ﷺ جُمع خلقه فيه، أي كان خلقه في يوم الجمعة كما سيأتي، وقيل: لأن قريشًا كانت تجتمع فيه إلى قصي في دار الندوة، وقيل: لأن أهل الإسلام يجتمعون فيه للصلاة، وكان يقال له في الجاهلية: يوم العَروبة.

ليوم الجمعة منزلة عالية في الإسلام، فهو سيد أيام الأسبوع، وأفضلها عند الله تعالى، وبه اختصَّ أمة الإسلام دون غيرها، روى مسلم وبعض أصحاب السنن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خَلقَ الله آدم، وفيه أدخل الجنة...».

وروى مسلم وابن ماجة والبزار أن رسول الله ﷺ قال: «أضل الله تبارك وتعالى عن الجمعة من كان قبلنا، كان لليهود يوم السبت، والأحد للنصارى، وهدانا الله ليوم الجمعة، فهم لنا تبع إلى يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضيُّ لهم قبل الخلائق».

إجابة الدعاء يوم الجمعة

خص الله تعالى يوم الجمعة بساعة مباركة يُستجاب فيها الدعاء، روى الشيخان أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، وأشار بيده يقلِّلُها».

وقد اجتهد العلماء في تحديد وقت هذه الساعة المباركة، فقال بعضهم: هي من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقال قوم: هي عند زوال الشمس وقت خطبة وصلاة الجمعة. وقال آخرون: هي من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس.. وقيل غير ذلك.

من فضائل يوم الجمعة أن خصّه الله بساعة يستجاب فيها الدعاء

والذي يبدو أن الله تعالى أبهم وقتها، وجعلها شائعة في كل يوم الجمعة، غير معروفة الوقت بالتحديد؛ ليزيد الناس من إقبالهم على تحرِّيها وطلبها في عموم اليوم، فتزداد أعمالهم صلاحًا، وتوثق صلتهم بالله تعالى، ويقوِّي إيمانهم به سبحانه، وتسعد حياتهم.

تراتيب هادفة في يوم الجمعة

إذا كانت هذه منزلة يوم الجمعة عند الله تعالى، فجدير بالمسلم أن يتحرَّى ما شرعه الله تعالى في هذه المناسبة الأسبوعية من أحكام وآداب وتراتيب هي أشبه بجدول أعمال، يُقصد به تحقيق قدر أعلى من السموِّ الروحي والتواصل الاجتماعي بين المسلمين.. ومن هذه التراتيب والآداب ما يلي:

أولًا: عدم إفراد الجمعة بالصوم

من صفات يوم الجمعة أنه يوم التقاء المسلمين وتواصلهم، فيه يجتمعون ويتزاورون، ويكرِّم بعضهم بعضًا وهو بهذا الوصف لا يصلح أن يُفرد بالصوم، لما قد يسببه من وحشة في نفوس المضيفين، وفي هذا روى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «إن يوم الجمعة يوم عيد وذكر، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيام، ولكن اجعلوه يوم فطر وذكر، إلا أن تخلطوه بأيام» أي قبله أو بعده.

ثانيًا: فضل ليلة وفجر الجمعة

فضَّل اللهُ الأوقات بعضها على بعض، وخصَّ كلًّا منها بمزية وثواب، من ذلك ليلة وصباح الجمعة، ففي ليلته تعرض الأعمال على الله تعالى، وفي فجره يغفر للمصلين، روى البخاري في تاريخه وأحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «إن أعمال بني آدم تعرض على الله تعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم». وروى الطبراني والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة، وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفورًا له».

فأين من هذه المغفرة، وأين من ذاك الثواب.. أولئك الذين يُطيلون السهر ليلة الجمعة في اللهو والغفلة ثم ينامون عن صلاة الفجر التي تشهدها ملائكة الرحمن؟!

أستاذ الفقه - كلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض

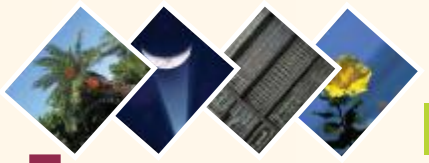

ثالثًا: سلوك صحي ومظهر اجتماعي

شرع الله تعالى ليوم الجمعة مجموعة آداب وفضائل يتجلى فيها سلوك صحيٌّ ومظهر اجتماعي في حياة كل مسلم، ومن ذلك أنه دعا إلى الاغتسال في يوم الجمعة، ورغَّب في النظافة والتطيُّب والظهور للناس بهيئة حسنة ومظهر جميل، روى ابن خزيمة في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل وغسل رأسه، ثم تطيب من أطيب طيبه، ولبس من صالح ثيابه، ثم خرج إلى الصلاة، ولم يفرِّق بين اثنين، ثم استمع إلى الإمام، غفر له من الجمعة إلى الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام».

وبهذا فتح الإسلام للمسلمين مبدأ الحرص على الصحة العامة والسعي في تحسين المظهر في كل وقت وحين، وبخاصة عند التقائهم ببعضهم بعضًا واجتماعهم في المحافل والمنتديات.

رابعًا: قراءة سورة من القرآن

من السلوك الإسلامي المرغوب فيه يوم الجمعة قراءة بعض السور من القرآن، والتدبر في مضامينها والاعتبار بما فيها، ومن هذه السور: سورة هود، والكهف، ويس، والدخان.

روى البيهقي أن النبي ﷺ قال: «اقرأوا سورة هود يوم الجمعة»، وفي رواية أخرى له: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين».

وقد ورد في الأثر أنه: «من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غُفر له».

وورد أيضًا أن: «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بها بيتًا في الجنة».

ومما يجدر ذكره هنا أن هذه السور الأربع مكية، وهي تُعنى بالبناء العقدي للمسلم، وتمنحه مزيدًا من المشاعر الإيمانية، ومعرفة بحياة النبيين ودعاة الخير في الأمم السابقة وما عانوه من ابتلاء وشدة، بسبب تمسكهم بتعاليم الله وشرائعه حتى كتب الله تعالى لهم ولدعواتهم التأييد والنصر.

وجدير بالمسلم أن يستلهم هذه العبر من تلك السور، ليتقوى بها على مصابرة

الحياة ومجالدة أهل الباطل في كل زمان ومكان.

خامسًا: الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

وردت أحاديث فيها دعوة المسلم إلى الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ في ليلة ويوم الجمعة، ومن ذلك حديث البيهقي: «أكثروا من الصلاة عليَّ في ليلة الجمعة ويوم الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة».

ولا شك أن للنبي ﷺ حقًّا على عموم المسلمين؛ لأنه الهادي إلى الخير والمخلِّص من النار، فكان الواجب على كل مسلم أن يثني على هذا النبي الكريم، وبخاصة في هذه المناسبة الأسبوعية التي يتصاعد فيها السلوك الإسلامي وترتقي فيها الأحاسيس والمشاعر الدينية، لتتوافق مع دعوات القرآن: ﴿يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا﴾ (الأحزاب: ٦٥).

فضلًا عما في الإكثار من الصلاة عليه من وجوه الدلالة على شدة محبته والرغبة في القرب منه والتأسي بسلوكه ﷺ.

ومن المقولات الشائعة ذات الدلالات المسلمة: «من أحب أمرًا أكثر من ذكره».

فهلَّا حرص المسلمون على الالتزام بذلك في كل حال ووقت، وبخاصة في ليلة ويوم الجمعة اللذين سمَّاهما النبي ﷺ الليلة الزهراء، واليوم الأزهر.

سادسًا: التبكير إلى المساجد وتجنب تخطي الرقاب

التبكير إلى المساجد، مما يدل على محبة القرب من الله تعالى والالتجاء إليه سبحانه في بيوته التي أذن الله أن يرفع شأنها على غيرها، حيث تتوارد عليها الملائكة، وتحفُّها السكينة، ويستحب فيها الخشوع، ويزيد فيها الإيمان. روى أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم الجمعة خرجت الشياطين يؤخرون الناس في أسواقهم، وتقعد الملائكة على أبواب المساجد يكتبون الناس على قدر منازلهم: السابق والمصلي والذي يليه، حتى يخرج الإمام».

وفي رواية أخرى له: «تقعد الملائكة يوم الجمعة على أبواب المساجد معهم الصحف يكتبون الناس، فإذا خرج الإمام طويت الصحف».

أما تخطي الرقاب وإيذاء الناس وهم جلوس في المساجد مندمجون في العبادة

بصفاء ونقاء وطهر نفس، فذلك من أبْغَض الأعمال عند الله تعالى، لما يتضمنه من إضاعة لوقار المسجد، وتعدّ على مقامات الناس فيه، حيث تتساوى الأرجل والمناكب ويُؤذى الناس في مشاعرهم ونفوسهم.

روى الترمذي وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال: «من تخطّى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرًا إلى جهنم».

وروى أحمد وبعض أهل السنن أن رجلًا جاء يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب فقال له: «اجلس، فقد آذيت وآنيت»، ومعنى آنيت: تأخرت في المجيء، ثم آذيت الناس بهذا الفعل.

سابعًا: الإنصات لخطبة الجمعة

شرع الله تعالى خطبة الجمعة نقطة انطلاق لدراسة ومعالجة المشكلات الأسبوعية في المجتمع، وتوعية الناس وتبصيرهم بأمور الدين، وتحديد موقف الإسلام مما يَجِدُّ في الحياة من أحداث ووقائع، ودعا المسلمين إلى الإنصات لخطيب الجمعة ومتابعة كلامه والاستفادة منه، وذلك لتحقيق أعلى قدر من أهداف خطبة الجمعة وما تتضمنه من توعية وتوجيه ومعالجة لقضايا الأمة، فضلًا عمَّا في الاستماع والإنصات من دلالة على قوة الاستقبال عند المستمع وتطلعه للاستفادة من كل ما يلقى عليه من توجيه وموعظة.

وقد حذَّر النبي ﷺ جماعة المسلمين من الإعراض عن خطيب الجمعة أو التشاغل عن سماع كلامه، وأنَّ ذلك قد يحبط العمل ويضيع الثواب، ففي حديث للشيخين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة

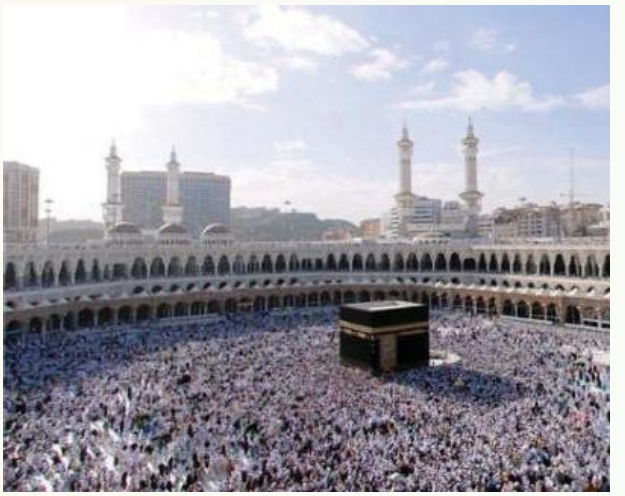

تتجلى الوحدة الإنسانية بين الجميع في يوم الجمعة فالكل سواسية

أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»، أي: لم تنل ثواب صلاة الجمعة.

وروى أحمد والبزار والطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا، والذي يقول له: أنصت، ليس له جمعة»، وذلك لأن كليهما انشغلا عن متابعة خطبة الجمعة والاستفادة مما فيها، فضلًا عما في توسع الحديث بين الحاضرين- حال خطبة الإمام- من انتشار للضوضاء والفوضى، وتعطيل لأهداف خطبة الجمعة وإخلال بمكانة المسجد ووقار المناسبة.

ومن مثل ما تقدم في السلبية وقلة الثواب التأخر عمدًا عن حضور بدء خطبة الجمعة، والغفلة أو النوم حال خطبة الإمام أو الانشغال عن سماع الخطبة بأي شاغل أو صارف؛ لأن هذه الأمور ونحوها مما لا يتحقق معها الهدف المنشود من مشروعية خطبة الجمعة.

معالم حضارية أخرى في يوم الجمعة

يشتمل يوم الجمعة على معالم حضارية أخرى ترتقي بالفرد المسلم وبالمجتمع المسلم نحو الكمال والعزة والسمو، ومن ذلك: أن يوم الجمعة يمثل منارة في النظام الاجتماعي الذي يمارسه المسلمون بسمو واحترام، فكل شيء فيه له وقته ومناسبته وترتيبه من نظافة ثم تطيِّب ثم تبكير إلى المسجد، ثم قراءة للقرآن وصلاة على النبي ﷺ ثم إنصات لخطبة الجمعة.

ومن تلك المعالم الحضارية أنه في يوم الجمعة تتجلى الوحدة الإنسانية بين الجميع، لا فرق بين كبير وصغير، وغني وفقير، وقريب وغريب، الكل سواسية، يمارسون عباداتهم بحرية كاملة وصفاء مشهود، دون تعصب أو تفرقة، أكرمهم عند الله أتقاهم.

ومن ذلك أيضًا أن يوم الجمعة مناسبة كريمة لتجديد العلاقات وتوثيق الصلات بين أهل الحي بعضهم ببعض، وبين الأصحاب والمعارف الذين قد لا تمكنهم ظروفهم وأحوالهم من لقاء بعضهم بعضًا إلا في صلاة الجمعة في المسجد الجامع.

خاتمة

وهكذا إذا تأملنا في مجموع ما سبق يتبين لنا أن هناك أهدافًا روحية وتربوية واجتماعية وقيمًا حضارية يقصدها الإسلام في جملة أحكامه وآدابه التي شرعها في يوم الجمعة، ومن هنا كان يوم الجمعة سيد أيام الأسبوع وأفضلها.

حوار الأديان في مطلع الإسلام

أ.د. عبدالحليم عويس

تأكيدًا لأصالة الحوار في الإسلام وحضارته؛ نسوق بعض نماذج الحوار عبر عصور الإسلام المختلفة.. تتصدّرها نماذج الحوار النبويّ والصدر الأول.

وتعدّ حوارات النبيّ محمد ﷺ النموذج الأول للتأصيل الحواري العملي مع أصحاب الأديان الأخرى، فقد حاور الرسول محمد اليهود في المدينة وهو يعلم أنهم لا يريدون الحق؛ بل النيل من الرسالة والرسول، ومع ذلك قبل حوارهم، وعاملهم معاملة حكيمة حسنة.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في طرف المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح، وقال بعضهم لا تسألوه؛ لا يجيء بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه؛ فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت: فقلت إنه يوحى إليه، فقمت فلما انجلى عنه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾(١).

وقد أجابهم الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾، قالوا له: من جاءك بهذا؟، فقال لهم النبي ﷺ: «جاءني به جبريل من عند الله»، فقالوا: والله ما قاله إلا عدو لنا.

وفي قصة أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أتي رسول الله ﷺ بيهودي ويهودية قد أحدثا

تغاضي المسلمين عن صفحات خيانة اليهود ضدهم يؤكد أن المسلمين ينظرون إلى الحرب على أنها أمر استثنائي بغيض

جميعًا (أي زنيا)، فقال لهم: ما تجدون في كتابكم؟ قالوا إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية. قال عبدالله بن سلام: ادعهم يا رسول الله بالتوراة، فأتي بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبلها، وما بعدها، فقال ابن سلام: ارفع يدك، فإذا بآية الرجم تحت يده، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما» (٢).

وبعيدًا عن المشاعر الشخصية الأليمة التي عانى منها المسلمون في المدينة من اليهود؛ بعد أن عقد محمد رسول الله ﷺ معهم معاهدة المواطنة الكاملة (صحيفة الدستور)؛ فإذا ببعضهم (وهم بنوقينقاع) يحاولون مرة الاعتداء على عرض امرأة مسلمة في أسواقهم (سنة ٢هـ)، ومرة أخرى نرى بعضهم (وهم بنوالنضير) يتآمرون على قتل الرسول نفسه (سنة٤هـ)، ومرة ثالثة يقدمون على خيانة جماعية عظمى لمواطنيهم المسلمين، وهم في محنة حرب الخندق (بنوقريظة سنة ٥هـ).

بعيدًا عن كل هذه الخيانات، وعن الحرب التآمرية الباردة الدائمة المتآزرة مع مشركي الجزيرة، ومخالفتها للدستور.

بعيدًا عن كل ذلك؛ يفتح الرسول والمسلمون لليهود صفحة الحوار دائمًا؛ حتى لا يظل المستقبل يدفع ثمن أخطاء الماضي.

فمن المعروف أنه بمجرد أن أقام المسلمون إمبراطوريتهم العالمية الخاصة، وطوروا نظامًا متقدمًا في شريعتهم؛ أسسوا نظام تسامح؛ ظل يسود الأجزاء المتمدينة في الشرق العربي لمدة طويلة؛ حيث تعايشت مجموعات دينية في ظله جنبًا إلى جنب. إن المعاداة للسامية خطيئة مسيحية غربية، وليست خطيئة إسلامية، ويجب أن يكون ذلك حاضرًا في أذهاننا؛ كي لا نخضع لإجراء التعميمات.

ففي ظل الإمبراطورية الإسلامية

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - رئيس تحرير مجلة التبيان

تمتع اليهود مثلهم مثل المسيحيين بحرية دينية كاملة، وعاش اليهود في المنطقة في سلام؛ حتى إقامة دولة الكيان الصهيوني في سنة ١٩٤٧م.

ولم يعان اليهود في ظل الإسلام قط ما عانوه في ظل المسيحية!!

أما الأساطير الأوروبية المعادية للسامية؛ فقد قدمت إلى الشرق العربي؛ في نهاية القرن الماضي؛ على يد البعثات التبشيرية المسيحية، وكانت الجماهير عادة ما تقابلها بالازدراء (٣).

ومن الجدير بالذكر هنا أن نقول: إن تغاضي المسلمين عن إساءات اليهود البالغة لهم عبر التاريخ، وتغاضيهم عن خيانتهم للدستور الذي وضعه رسول الإسلام، وأعطاهم فيه حق المواطنة الكاملة في المدينة المنورة (وطنهم)، ومع ذلك خانوا الدستور والوطن؛ في محنة شديدة؛ كاد المسلمون لولا رعاية الله يبادون فيها.

إن هذا التغاضي من المسلمين عن صفحات خيانة اليهود الكثيرة ضدهم يؤكد أن المسلمين ينظرون إلى الحرب على أنها أمر استثنائي بغيض، وأنه لا ينبغي على المسلمين أن يبدأوا بالعداوات؛ لأن الحرب العادلة هي التي تشن للدفاع عن النفس فقط؛ ومع ذلك فمتى دخلوا الحرب وجب عليهم أن يقاتلوا بالتزام أخلاقي مطلق، لكي ينتهي القتال في أسرع وقت ممكن.

- كما تقول أرمسترونج كاترين وإذا اقترح العدو هدنة أو أبدى استعدادًا للسلم؛ فإن القرآن يأمر المسلمين ألا تكون شروط السلام غير أخلاقية أو

مخزية؛ لكن القرآن يؤكد أيضًا على أن إنهاء الصراع الحربي أمر مقدس؛ على أن تتم مواجهة العدو بحزم، وأنه يجب تحاشي أي تردد؛ لأن ذلك يعني أن يستمر الصراع لأجل غير مسمى.

إن هدف أي حرب في الإسلام هو إحلال السلام والوفاق في أسرع وقت (٤).

وباستثناء الحوارات التي تمت بالتأكيد بين المسلمين والنصارى في الحبشة أثناء لجوء المسلمين إلى حاكمها (النجاشيّ) الذي لا يُظلم أحد عنده، كما وصفه الرسول ﷺ.. وهي حوارات لم يصلنا منها إلا النذر اليسير، وأبرز ما وصلنا منها حوار النجاشيّ نفسه، مع جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه عندما أرسلت قريش وفدًا برئاسة عمرو بن العاص ليردّ النجاشيّ اللاجئين المسلمين إليها؛ حتى تفتنهم عن دينهم بممارسات التعذيب والتنكيل التي كانت تمارسها معهم.

وكانت سورة مريم وما ورد فيها عن نبيّ الله عيسى عليه السلام هي السبيل لرضا النجاشيّ عن الإسلام، وطرده للوفد القرشي، وتمسكه بحماية المسلمين.

باستثناء هذه الحوارات التي نأمل أن يكشف التاريخ بعضًا من صفحاتها الخافتة؛ فإن أبرز حدث احتل مكانة تاريخية ودينية بارزة في مجال الحوار بين الإسلام والنصرانية تمثل في الحوار بين الرسول عليه السلام ووفد نجران النصراني؛ الذي ضم أكثر من ستين شخصًا؛ منهم أربعة عشر من أشرافهم، وثلاثة من كبار رجال دينهم (الأسقف، والسيد، والعاقب)؛ فاجتمعوا بالنبي عليه الصلاة والسلام في المدينة سنة (٨هـ/٦٣٠م)، واستقبلهم الرسول في مسجده، وعليهم الحبرات (الشارات النصرانية)، ثم جرت بينه وبينهم مناظرة؛ كان من بين موضوعاتها، معجزة ولادة عيسى عليه السلام، وموقف الرؤيتين النّصرانية والإسلامية منها، وصلة عيسى بالله، هل هي صلة الابن بأبيه، أو صلة النبي الإنسان بالله؟

وقد ناقشوا الرسول ﷺ مستشهدين بما جاء في القرآن الكريم من أن عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه.. ناسين أن القرآن الكريم ورد فيه أيضا توضيح معنى ذلك؛ متمثلًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (٥).

فهل آدم ابن الله؟ مع أنه بالمقياس العقلي والتاريخي أحق بالبنوّة من عيسى؛ لأنه ولد من غير أب وأم؛ ولأنه أول الناس خلقًا.. وقد أقامه الله في الجنة فترة!!

لكن أحدًا لم يقل ببنوّة آدم لله.. لأن الله لا ولد له؛ وكل الناس عبيده، وكلهم خلق من جملة مخلوقاته التي لا تعدّ ولا تُحصى.

فلماذا عيسى وحده ابن الله إذن؟

كما أن النصارى جادلوا النبي محمدًا في معنى قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (٦)؛ قائلين: إنهم لم يتخذوا الأحبار والرهبان أربابًا.. فبين لهم الرسول أنهم نظروا إلى أحبارهم ورهبانهم على أنهم معصومون؛ يملكون حق التحريم والإباحة، وهذا الحق لله وحده.. فمن يزعم أنه يملكه يشرك بالله، ويكون مدعيًا للألوهية.. فتلك عبادتهم إياهم.. أليسوا يؤمنون بأن ما يحلونه في الأرض يحله الله في السماء، وما يحرمونه في الأرض يحرمه الله في السماء؟ فكأن الله تابع لهم! وكأنهم يقدسون الأحبار والرهبان أكثر من تقديسهم لله!!

وبعد هذا الحوار عقد الرسول معهم اتفاقًا شهيرًا؛ يمثل نموذجًا للمعاهدات الإنسانية الراقية.

ويقول مارسيل بوازار: لقد عقد النبي محمد عليه السلام اتفاقًا مع نصارى نجران اعتبره فقهاء المسلمين نموذجًا للتنظيمات الصالحة للتطبيق على الأقوام الخاضعة للإسلام.

وقد تعهد الرسول ﷺ بحماية سكان مدينتهم وجوارها، وتأمينهم على نفوسهم وممتلكاتهم، وضمان حريتهم في التمسك بعقيدتهم وعبادتهم. ولقد شملت الحماية الضمان لجميع السكان؛ في حين ظلت مسؤولية

الانتهاكات مسؤولية فردية؛ فلا يؤخذ أي معاهد بجريرة آخر.

ولم يفقد أهل نجران من الوجهة القانونية الصرفة أي حق من حقوقهم، باستثناء ما كان من أمر تحريم الربا.

وكانتْ هناك أحكام خاصة تمنع تدخل النفوذ الإسلامي في الجهاز الحكومي الكهنوتي المسيحي، وتحظر الإساءة إلى أهل الذمة، وكل شكل من أشكال الاضطهاد (٧).

– من حوارات المسلمين في العصر الأموي والعباسيّ

تمثل قصة يوحنا الدمشقي (٦٧٠-٧٥٠م) مع الإسلام نموذجًا للتسامح الإسلامي، وللكرم الكبير الذي أسبغه خلفاء بني أمية عليه وعلى أمثاله من مجادلي أهل الكتاب، وهم يعلمون أنه وأباه من قبله يتعصبون تعصبًا شديدًا للأرثوذكسية.

– لقد عمد يوحنا الدمشقي إلى كتابة كتابين يشير فيهما إلى الإسلام على مستوى التاريخ والعقيدة والقرآن والأخلاق والممارسات.

– ولقد انتهج يوحنّا الدمشقي منهجًا مبتورًا متعسفًا في كتابته عن الإسلام، ولذلك لم يُدخل في نهجه، وهو يدرس الإسلام، مسائل جدلية حول ما إذا كان مجيء محمد قد وَرَدَ في نبوءات أنبياء تقدموا عليه، أو ما إذا كان قد أتى بمعجزات تفوق مثيلاتها لدى عيسى وموسى عددًا وأهمية، أو ما إذا كان الأسلوب البلاغي في القرآن دليلًا على نبوّة الرسول.

بل من المؤسف أن نقول: إن يوحنّا رفض التعرف الموضوعي على الإسلام، وأن المسيحية الأرثوذكسية هي التي استقطبت وحدها جلّ اهتمام يوحنا الدمشقي، فهو يدرس الإسلام ابتداءً لتفضيل الأرثوذكسية عليه، ولتشويهه وتفنيد حقائقه، وهو تحيّز «غير علمي»، ويكفي لبيان عنصريته الأرثوذكسية أن يوحنّا الدمشقي يعدّ الإسلام من جهة، وحركة تحطيم الصور و«الأيقونات» والمعتقدات الشعبية من جهة ثانية من وجهة نظره بدعتين معاصرتين (٨)، وكان جزاؤه على هذا التحيّز من بني دينه أنفسهم، فقد تمت إدانته في مجمع «هاييريا» سنة٧٥٤م، وذكر باعتباره هالكًا لعدم رفضه لتقديس الأيقونات.

ومن أكبر أدلة تعمد يوحنا الدمشقي تشويه الإسلام ما اعترف به دانييل ساهاس من أن يوحنا كان يحاول التشكيك في كون الإسلام دين إبراهيم الحنيف من خلال وصفه المسلمين، على نحو لا يخلو من الخبث.

وأيًا كان أمر المنهج الفاسد الذي استعمله بخبث شديد (كما يقول ساهاس) يوحنا الدمشقي، فإنه قام بإيجاد مناخ جدلي صاخب مع

المسلمين.. كما أن عنصر الإثارة والجدّة اللذين استخدمهما الدمشقي في مناقشاته العقدية، ومراسه الفلسفيّ في تطويع مقولات الفلسفة اليونانية والمنطق، شكلت كما يقول ساهاس أمورًا كان من نتيجتها أن استرعت انتباه المسلمين، وشدّت اهتمامهم إلى ما يتجاوز المضامين الفكرية (يقصد الباطلة) موضوع المناقشة (٩).

- كما أن يوحنا الدمشقي، الذي عاش في فترة متقدمة خلال العصر الأموي، كان واحدًا من الذين ألهموا المسلمين ووجهوهم لدراسة الإسلام، لأغراض ذاتية على وجه التحديد، باستخدام نماذج وإنجازات مستقاة من حضارة أخرى، (وهو تفاعل حضاري مقبول).

وفي العصر العباسي ثمة حوار طريف نذكره ونعدّه دليلًا على مستوى راقٍ من الحوار الحضاري في هذا العصر.

فقد قال الخليفة المأمون لمرتد إلى النصرانية: خبّرنا عن الشيء الذي أوْحَشَك من ديننا بعد أُنسك به، واستيحاشك مما كنت عليه؟

قال المَرتدّ: أوحَشني ما رأيتُ من كثرة الاختلاف فيكم، قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما كالاختلاف في الأذان، والتكبير في الجنائز، ووجوه القراءات، ووجوه الفُتيا؛ وهذا ليس باختلاف، إنما هو تخيّر وسعة وتخفيف، فمن أذّنَ مَثْنى وأقام مثْنى لم يُخطّئ من أذّن مَثْنى وأقام فُرادَى، ولا يتعايَرون بذلك ولا يتعايبون.

والاختلاف الآخر: كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عَيْن الخبر.

فإن كان الذي أوْحَشَك هذا حتى

الحروب الصليبية حفزت الفرنجة الهمج على التعلم من المسلمين فاتسعت معرفتهم بما في العالم الإسلامي من جغرافية بشرية

أنكَرْت هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقًا على تأويله، كما يكون متفقًا على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن يُنزّل كتبه، ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسُله لا يحتاج إلى تفسير لفعل.. قال المرتدّ: أشهد ألا إله إلا الله، وأنّ المسيح عبدٌ، وأن محمدًا صادقٌ، وأنك أمير المؤمنين حقًا.

ولم تكن الحروب الصليبية كما هو المتوقع حربًا كلها، على امتداد كل الأيام أو الشهور؛ بل كانت تتخللها فترات سلم كثيرة، تمليها ضرورة الحياة والطبيعة الإنسانية؛ لحرب استمرت قرنين ونصف قرن من الزمان.

وفي ضوء هذا، لا يبدو من المستغرب أن تزدهر العلاقات التجارية والثقافية بين الصليبيين الذين احتلوا الرها، وأنطاكية، وطرابلس، وبيت المقدس، واستوطنوها، وبين المسلمين في هذه الأيام الصليبية التي يتقاتل الناس فيها حينًا، ويتبادلون التجارة والثقافة حينًا آخر؛ في عملية حوارية من أطرف العلاقات الجدلية في التاريخ.

وإذا كان التتار؛ الذين دمروا بغداد، وقضوا على الخلافة العباسية في العراق، قد خرجوا وهم المنتصرون عسكريًا مسلمين دينًا؛ بعد أن عمدوا بفطرة غير مركبة على التعرف الموضوعي على الإسلام.. فإن الأوروبيين الذين يحملون تراثًا مركبًا، وفطرة دنيوية مصلحية بحتة (براجماتزم) قد خرجوا وهم المنتصرون أولًا والمنهزمون أخيرًا بإدراك حقيقة الإسلام؛ مع اتخاذ قرارهم بعدم الاقتراب الموضوعي منه، والعمد إلى تشويهه، والاكتفاء بنقل علومه وثقافته العامة، ونظمه، ونواحي تقدمه؛ وذلك خشية على أوروبا من الإسلام.. وزادوا الطين بلّة فكونوا كتائب من المستشرقين ثم المستغربين للحفاظ على هذا التشويه، ولذلك؛ فقد ظل الجهل والتحيز قرونًا يحيطان بمعرفة بيزنطة والغرب بالإسلام والعالم الإسلامي؛ فالبيزنطيون الذين تصارعوا مع المسلمين لثلاثة قرون؛ كان لديهم أدبهم الشعبي الذي يصور المسلمين يعبدون ثلاثين إلهًا أكبرهم «مهومد»، كما يذكر ذلك «ريتشارد سوذرن»؛ مستغربًا فظاعة الأساطير المنتشرة عن الإسلام في الغرب خلال القرنين التاسع إلى الثاني عشر. وعلى الرغم من التعايش عن قرب مع المسلمين لعدة قرون في إسبانيا، والحروب الصليبية، مما يفترض معرفة أفضل؛ إلا أن واقع الحال يذهب باتجاه مغاير (١٠).

ومن أدلة الجهل المطبق الذي كان عليه الصليبيون قبل أن يتعرفوا على المسلمين في الحروب الصليبية، ما هو معروف من الطبيعة الغوغائية لسلوكيات الحملات الصليبية الأولى؛ ليس ضد المسلمين وحدهم، بل ضد البيزنطيين أيضًا، ويضاف إلى ذلك أنهم عندما احتلوا مدينة

(طرابلس الشام) التي أصبحت إحدى مستعمراتهم لم يترددوا في إتلاف مكتبتها العامرة بمائة ألف كتاب. ومع هذا فالزمن وما يحمله من احتكاك مباشر، وغير مباشر، والرغبة في معرفة العدو.. كل هذه الأمور ستدفع الصليبيين باتجاه التعرف أكثر على معالم المسلمين، والاقتباس من المظاهر المختلفة للحضارة العربية الإسلامية؛ التي ستفرض نفسها كحضارة أرقى على رجال الغرب (١١).

وعندما يتقدم الزمن تنداح بالاحتكاك الحضاري غشاوات الجهل تدريجيًا، ولهذا فليس من المستغرب أن تزدهر التجارة الداخلية في عصر الحروب الصليبية، لحرص كل من المسلمين والصليبيين على المواد التي توفرها لهم عائدات التجارة، ومع هذا التطور الذي أملته الضرورات في النواحي الاقتصادية؛ كان لابد من وجود تطور ولو بدرجة متفاوتة في النواحي الثقافية، وقد وقع هذا التطور فعلًا على النحو المصلحي الذي أشرنا إليه؛ فقد كيّفت أوروبا الثقافة والعلوم تكييفًا مصلحيًا؛ لا علاقة له بالحق ولا بالموضوعية، ولا بإنصاف الآخر، بل حسبها أن تأخذ منه ما يفيدها من جانب وما يحميها من الإسلام والمسلمين (الأعداء الثابتين) من جانب آخر. وكما رأينا الجانب الإيطالي يخضع النواحي العسكرية للنواحي المصلحية والاقتصادية؛ كما تدلنا الوقائع التي أشرنا إليها؛ والتي ذكرها كثيرون مثل ميخائيل زابوروف صاحب كتاب «الصليبيون في الشرق»، وقاسم عبده قاسم في كتابه: «ماهية الحروب الصليبية» وستيفن رنسيمان في تاريخه للحروب الصليبية (الجزء الثالث).

كما فعل الصليبيون هذا، في النظرة التكييفية، على النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية.. وبالتالي الدينية الخاصة بهم، كذلك فعلوا في نقلهم وتعلمهم من المعارف الإسلامية؛ خضوعًا للعنصرية، وحفاظًا على حاجز نفسيّ وفكريّ بينهم وبين المسلمين.

لقد حفزت الحروب الصليبية الفرنجة الهمج على التعلّم من المسلمين، وقد اتسعت معرفتهم بما في العالم العربي من جغرافية بشرية، وتاريخ، وعلوم؛ مما خلق عندهم نهضة في دراسة القانون، والطب، والمنطق، وبدأوا بتكوين نقابات من المدرسين أسسوا عليها فكرة الجامعة. وهكذا نشأت الجامعات من جامعة باريس إلى أكسفورد، وكمبردج بدءًا من القرن الثاني عشر الميلادي.

كما اتسعت خبرة الصليبيين وثروتهم، ووقفوا على فنون الشرق وصناعته، وما فيها من رونق وفن ودقة. والراجح أن المستوى العام للمعيشة في الغرب كما يشير إلى ذلك رنسيمان لم يرتفع إلا بفضل رغبة العساكر والحجاج العائدين في أن يلجأوا في أوطانهم إلى محاكاة ما اشتهر به الشرق من مظاهر الحياة (١٢).

وأيضا كما يعترف رنسيمان سيصبح الأوروبيون بفضل ما يأخذونه من المسلمين في الحروب الصليبية قادرين على أن يميزوا بين السلوك، وأساليب الحياة الحضارية الإسلامية (العلوم، والتقنيات، والذهنيات، والتفلسف العربي والإسلامي ...) وهذه يأخذونها وقد يعترفون أحيانًا بفضلها وقد لا يعترفون في أحيان أخرى كثيرة!! لكنهم كما يؤكد رنسيمان يظلون محافظين على جهلهم وعدائهم للإسلام وعقيدته (عقيدة التوحيد) وهو ما يمثل ظلمًا تاريخيًا وأخلاقيًا كبيرًا.

ومع ذلك كله يؤكد رنسيمان على القيمة الحضارية للحوار أثناء فترة الحروب الصليبية، مشيرًا إلى أن هذه الفترة التي امتدت قرنين ونصف من أهم مراحل التاريخ المؤثرة في المدنية الغربية؛ إذ إن أوروبا لم تكد تخرج من مرحلة غارات المتبربرين الطويلة الأمد؛ التي يطلق عليها العصور المظلمة (العصور الوسطى)؛ حتى كانت بفضل المسلمين براعم ما نطلق عليه النهضة الأوروبية تأخذ في الظهور (١٣).

الهوامش

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، ٤٧، قول الله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٥).
(٢) رواه البخاري.
(٣) أرمسترونج كاترين: محمد، ط٢، ١٩٨٨م، مسطور للنشر، مصر، ص٣٠٩.
(٤) المرجع السابق، ص٣١٠.
(٥) آل عمران: ٥٩.
(٦) الشهيد/ سيد قطب: في ظلال القرآن، انظر تفسير الآية (٣١. التوبة)
(٧) مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام، ص١٩٢.
(٨) مجلة الاجتهاد: بيروت، عدد٢٨، دانييل ساهاس ص١٢٣. ١٢٤ بتصرف.
(٩) مجلة الاجتهاد: مرجع سابق ص١٣٢ - ١٣٣بتصرف.
(١٠) شمس الدين الكيلاني: حقبة الحروب الصليبية، والوضع على طرفي المجابهة التاريخية، مجلة الاجتهاد، عدد ١٨، بيروت.
(١١) شمس الدين الكيلاني: المرجع السابق.
(١٢) شمس الدين الكيلاني: المرجع السابق.
(١٣) شمس الدين الكيلاني: المرجع السابق بتصرف.

المبهم: هو ما يصعُب على الحاسة إدراكه إن كان محسوسًا، وعلى الفهم إن كان معقولاً. والمبهم من الكلام: هو الغامض الذي لا يتحدد المقصود منه. والمبهم من الظروف: هو ما ليس له حدود تحصره، مثل: فوق، وتحت، وأمام، وخلف. والمبهم في كتاب الله: هو كل ما لم يبين في القرآن من اسم، أو عَدد، أو مكان، أو نحو ذلك. ومع أن الله سبحانه أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهُدًى لكل خير، إلا أنه سبحانه أبهم بعض الأمور في القرآن لأسباب، فقد يبهم القرآن شيئاً في موضع، ويبينه في موضع آخر، أو يبهمه للستر عليه، أو لتعظيمه، أو لتحقيره. ولا يجوز البحث في مبهمات استأثر الله بعلمها، فيجب التوقف عندها، وعدم الخوض فيها.

وقد اهتم المفسرون بدراسة المبهمات في القرآن: وقالوا : إنها على نوعين: نوع ضرب الله عن ذكره صَفحاً لعدم تَعلُّق التكليف به، ولخلوِّ معرفته من الفائدة ، ولا طائل في معرفته ، مثل : معرفة أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى -عليه السلام- من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام.. ونوع أبهمه الله لأسباب كثيرة سأذكر بعضها في ثنايا هذا البحث.

وقد اهتم المؤلفون في هذا العلم بإبراز فائدته وأهميته، ولاشك أن له أهميته باعتباره علماً من علوم الكتاب العزيز، كما أن معرفة المبهمات تُعين المُفَسِّر في تفسيره، بل قد تكون وسيلة من وسائل الترجيح بين أقوال المفسرين إذا تَعَدَّدَت، وقد تكون من التدبُّر الذي أمر الله به، وربما تُبَين فَضائل ومناقب المبهَمين أو مَثالبهم .

المبهمات في القرآن الكريم

د. سامي عطا حسن

أ - المبهمات في اللغة:

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): الباء والهاء والميم: أن يبقى الشيء لا يُعرَف المأتى إليه، ومنه: الأمر البهيم، الذي لا تَأتِّي له. ومنه: البُهمة: الصخرة التي لا خروق فيها. وبها شُبِّهَ الرجلُ الشجاع الذي لا يُقدَر عليه من أي ناحية طُلب. أو الفارس الذي لا يُدرَى من أين يؤتى من شدَّة بأسه. والبُهمَة: جماعة الفرسان ، والجيش يقال له: بُهمَة . والبهيم: اللون الذي لا يُخالطه غيره، سواداً كان أو غيره، وأبهمتُ الباب: أغلقته. والبهيمة: ما لا نُطقَ له، وذلك لما في صوته من الإبهام (١) .

وقال محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ): المبهم: اسم مفعول مشتق من الإبهام وهو الخفاء، يُقال: ليل بَهيم، لخفاء ما فيه من الرؤية، وأبْهم الكَلام إبهامًا أي لم يبينه، واستبهم عليه الكلام إذا استغلق، كما يُقال: أمر مُبْهم: إذا كان ملتبسًا لا يُعرف معناه (٢).

ب: المبهمات في الاصطلاح: عرفها السُّهيلي (ت ٥١٨هـ) بقوله: «ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يُسَمِّه الله فيه باسمه العَلَم، من نبي، أو وليّ، أو غيرهما ، آدمي، أو مَلَك، أو بلد ، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان له اسم عَلَم، قد عُرف عند نقلة الأخبار ، وغيرهم من العلماء الأخيار» (٣). وزاد ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) على تعريف السهيلي: «أو عَدَد لم يُحدد، أو زمن لم يُبين، أو مكان لم يُعرف، وغيرها» (٤) وعليه يمكن القول بأن المبهم هو: ما لم يُنصَّ على ذكره باسمه العَلَم، أو عدده، أو زمنه، أو مكانه.

أنواع المبهمات

تنقسم المبهماتُ في القرآن الكريم إلى أنواع، منها :

أ - مبهمات الأشخاص: منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩). والمراد به: سيدنا محمدﷺ (٥) وهي دعوة إبراهيم وإسماعيل لنبينا محمد ﷺ خاصة.

ب- مبهمات الجموع: منها قوله تعالى﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧) روى ابن أبي حاتم بسنده عن عدي بن حاتم قال: قال رسول اللهﷺ: «المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى» (٦) وقال الماوردي «وهو قول جميع المفسرين» (٧). وقد ذكر الاجماع على هذا التفسير: الشوكاني (٨)، وصديق حسن

جامعة آل البيت - الأردن

الزركشي هو أول من بحث في أسباب الإبهام في القرآن وذكر أنها سبعة

خان (٩).

ج- **مبهمات الأماكن**: منها قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٦٣) المراد به الجبل الذي كلم الله-عز وجل-عنده موسى-عليه السلام- وهو طور سيناء، وقد جاء ذكره في القرآن عشر مرات (١٠).

د- **مبهمات الأزمنة**: ومما أبهمه الله-سبحانه- في كتابه من الأزمنة: «الحين»: كما في قوله -جل شأنه- ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: (الروم ١٧) يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس، أي صلوا له حين تمسون، وذلك صلاة المغرب، وحين تصبحون، وذلك صلاة الصبح ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: ١٨) يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة، والأرض من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، ﴿وَعَشِيًّا﴾ وسبحوه أيضا عشياً، وذلك صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يقول: وحين تدخلون في وقت الظهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل (١١).

أسباب ورود الإبهام في القرآن

يُعتبر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أول من بحث في أسباب ورود الإبهام في القرآن في كتابه «البرهان»، فذكر لذلك سبعة أسباب، مع التمثيل لكل سبب منها، وتبعه في ذلك السيوطي (ت ٩١١هـ) . ومن هذه الأسباب ما يلي (١٢) :

١- أن يبهم الأمر في موضع استغناء ببيانه في موضع آخر، مثل قوله تعالى:﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(الفاتحة: ٤) بينه بقوله ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾(الانفطار: ١٨-١٩).

٢- أن يبهم الأمر لاشتهاره ، فهو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥) الزوج هي حواء عليها السلام ، وأبهم اسمها لشهرتها، ومعرفة الكل لها(١٣).

٣- أن يبهم لقصد الستر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه مثال ذلك قوله تعالى ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة: ١٠٨). والمراد: رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد، قالا للنبي ﷺ أنزل علينا يا محمد كتابًا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارًا (١٤).

٤- أن يبهم الأمر حيث لا يكون في تعيينه كبير فائدة، إذ البحث عن اسمه، أو تعيينه غير مفيد، وفيه مضيعة للجهد والوقت. وغالب أمثلة الإبهام ناشئة من هذا السبب، مثال ذلك قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

والمراد بالقرية: بيت المقدس ، واسم الذي مر عليها، اختلفوا في اسمه، قيل: هو عزير، وقيل: غيره، ولا حاجة

المبهمات التي لم يفصح القرآن عنها لا يصح الاشتغال بها

لنا في معرفة اسمه، إذ لا يتوقف عليه المقصود من الآية، ولا فائدة كذلك في تعيين اسم القرية (١٥).

٥- أن يبهم الأمر للتنبيه على عمومه، وأنه غير خاص بمن ورد فيه الإبهام، مثال ذلك قوله تعالى﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٠٠)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ -، وكان من المستضعفين بمكة، وكان شيخاً كبيراً، فمات بالتنعيم(١٦) ، قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، فإبهام الاسم في هذا الموضع، لإفادة عموم الأجر لكل من نوى الهجرة ، فمات دون أن يبلغ ما هاجر إليه.

٦- أن يبهم الأمر لقصد تعظيم المُبهَم بذكر الوصف الكامل له دون اسمه: مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣) والمراد بهذه الآيات هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وإنما أُبهم اسمه تعظيمًا له (١٧).

٧- أن يبهم الأمر لقصد تحقيره بذكر الوصف الناقص له دون اسمه: مثال ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣) والمراد به كما ذكره المفسرون هو العاص بن وائل السهمي (١٨). وأما قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١) فعدل عن الاسم، وكان اسمه: عبدالعزى، إلى الكُنية، للتنبيه على أن مآله للنار ذات اللهب (١٩) .

دراسة تطبيقية لبعض المبهمات في القرآن الكريم

مبهمات القرآن كثيرة، منها قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٢٣). «عن أنس بن مالك قال: غاب عَمِّي أنس بن النضر- وبه سُميتُ أنساً- عن قتال بدر ، فشق عليه لما قدم، وقال: غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالا ليرين ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قُتل. قال أنس: فوجدناه بين القتلى، به بضع وثمانون جراحة، من بين ضربة بالسيف، وطعنة بالرمح، ورمية بالسهم، وقد مثلوا به، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ، ونزلت هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾قال : وكنا نقول : «أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه» (٢٠).

٢- قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١) والتي كانت تجادل رسول الله ﷺ في زوجها أوس بن الصامت، امرأة من الأنصار. واختلف أهل العلم في نسبها واسمها، فقال بعضهم: خولة بنت ثعلبة، وقال بعضهم: اسمها: خُوَيلة بنت ثعلبة. وقال آخرون: هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصامت. وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها، مُراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أنتِ عليّ كظهر أمي. ومحاورتها إياه في ذلك، وبذلك قال أهل التأويل، وتظاهرت به الرواية (٢١). افتتحت آيات أحكام الظهار بذكر سبب نزولها، تنويهًا بالمرأة التي وجَّهت شَكواها إلى الله تعالى، بأنها لم تقصّر في طلب العدل في حقها وحق بَنيها. ولم ترضَ بعُنجهية زوجها وابتداره إلى ما ينثر عقد عائلته دون تبصّر ولا روية، وتعليمًا لنساء الأمة الإسلامية ورجالها واجب الذود عن مصالحها.

٣- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (لقمان: ٦) . والمراد: «النضر بن الحارث»، الذي اشترى قَينَة، وكان لا يسمع أحدًا يريد الدخول في الإسلام ، إلا انطلق به إلى قَينَته، فيقول: أطعميه، واسقيه، وغنِّيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة، والصيام، والقتال بين يديه، فنزلت هذه الآية (٢٢).

٤- قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥). المبهمات في الآية قوله تعالى ﴿وزوجك﴾ وقوله ﴿الشجرة﴾.

أما زوجه فهي حواء-عليها السلام، وأول من سماها بذلك آدم - عليه السلام، حين خلقت من ضلعه، وقيل له: مَن هذه؟ قال : امرأة، قيل: وما اسمها؟ قال: حواء. قيل: ولم؟ قال: لأنها خلقت من حيّ (٢٣).

والقرآن لم يحدثنا عن زوج آدم ، وهي التي عرفت بحواء ، وعن كيفية خلقها، كل الذي أشار إليه القرآن الكريم في هذا المضمار، وفي سياق

غير سياق قصة آدم، إشارات موجزة من مثل قول الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، وأكثر المفسرين يذهبون إلى أن الله خلقها من ضلع آدم ، وهذا ما أشارت إليه التوراة صَراحةً، وربما يستأنسون لذلك بحديث لرسول الله ﷺ «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خُلقنَ من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» (٢٤).

وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قول الله تعالى ﴿وخلق منها زوجها﴾ أي: خلقها من جنسه، حتى لا يكون بينهما تنافر.

وأما الشجرة التي نهي عنها آدم- عليه السلام- وزوجه ، فهي من المبهمات التي لا ينبغي السؤال عن حقيقتها ، لأنه لا تتوقف على معرفة نوعها فائدة تُذكَر. والمنهج السليم في ذلك ما قرره ابن جرير الطبري بقوله: «فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجه عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها، كما وصفهما الله- جل ثناؤه- ولا علم عندنا أيّ شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة... إلى أن يقول: وذلك علمٌ إذا عُلم لم ينفع العالم به علمُه، وإن جهله جاهل لم يضرّه جهله به» (٢٥).

٥- وهناك نوع من المبهمات ضرب الله عن ذكره صَفحًا لعدم تعلق التكليف به، لخُلوِّ معرفته من الفائدة، مثل تعيين البعض المذكور في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة : ٧٣) . أمر الله بني إسرائيل لما قُتِلَ فيهم قتيل، ولم يهتدوا لقاتله أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القتيل ببعض هذه البقرة، ولم تُبين الآية ما هذا البعض؟ لذلك اختلف المفسرون في تعيين هذا البعض على أقوال كثيرة ، وفي الكلام اختصار تقديره: فقلنا: اضربوه ببعضها ليحيا، فضربوه فحيا، فقام فأخبر بقاتله (٢٦) .

وبناء على ذلك، فالمبهمات التي لم يُفصح القرآن عنها، لا يصح الاشتغال بها، كما لا يجوز البحث في مبهمات استأثرَ اللهُ بعلمها، فيجب التوقف عندها، وعدم الخوض فيها. قال الزركشي «فمن تَطَلَّبَ معرفة هذه الأمور، فقد تجرأ على الله تبارك وتعالى، وتعدَّى الحَدَّ الذي يجب الوقوف عنده» (٢٧).

الهوامش

١- انظر: أبوالحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١: ص٣١١، مادة «بهم». والجوهري: الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية» تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ج٥: ص ١٨٧٥. مادة «بهم»، وابن منظور «لسان العرب»، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م. ج١: ص٥٢٣ وما بعدها. مادة «بهم».

٢ - انظر: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي مختار الصحاح، المكتبة الأموية ، دمشق، ص : ٢٧ .

٣ - انظر: السهيلي عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي، التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام: ص٥٠.

٤-ابن جماعة، بدر الدين الكناني الحموي الشافعي، (ت ٧٣٣هـ)، غرر البيان لمبهمات القرآن: ص٣٨.

٥- انظر: السيوطي، تفسير الجلالين، بهامش حاشية الجمل ج١: ص ١٠٧.

٦- انظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند: ج٤: ، ص ٣٨٤. وأحمد بن علي بن محمد بن حجر في فتح الباري ج٨ ، ص ١٥٩.

٧- تفسير الماوردي «النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم» ، ج١: ص٦١.

٨ - انظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج١: ص ٢٥.

٩ - انظر: صديق حسن خان القنوجي الأنصاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج١: ص ٥٣.

١٠- انظر : البقرة : ٦٣ وَ ٩٣، والنساء: ١٥٤، ومريم: ٥٢، وطه: ٨٠ ، والمؤمنون: ٢٠، والقصص: ٢٩ وَ ٤٦، والطور: ١، والتين: ٢، وانظر: المعجم المفهرس: ص ٤٢٩.

١١- انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد ٧، ج٢١، ص ٢٠.

١٢- انظر: الزركشي، البرهان: ج ١: ص١٥٦، والسيوطي : مفحمات الأقران: ص ٢٠ وَ ٢١ .

١٣- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان ، ج١: ص ٢٠٣.

١٤- انظر : السهيلي، التعريف والإعلام، ص: ٦٣. والزركشي، البرهان في علوم القرآن : ج١: ص ٢٠٥.

١٥- انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢١ .

١٦- مكان بينه وبين مكة المكرمة فرسخان، يُحرم منه من أراد العُمرة. انظر: عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م . ج١: ص ٣٢١.

١٧- انظر: د. محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط : ج١٨، ص٤٢.

١٨- انظر: الطبري، جامع البيان، ٣٠: ٣٢٩.

١٩- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان: ج١، ص٢٠٧، ٢٠٩.

٢٠- انظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٢٨-٢٢٩. وصحيح البخاري: ج٣، ص ١٥ .

٢١- انظر : الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد : ١٢ ، ج ٢٨، ص ٢ .

٢٢- انظر : السيوطي: لباب النقول، ص ١٣٥، والآلوسي : روح المعاني ، ج ٢١ ص٦٧. والقينة هي: المُغنية.

٢٣- انظر: السهيلي، الأعلام ، ص ١٩.

٢٤- أخرجه البخاري: حديث رقم: ٣١٥٣. وانظر: د. فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص ١٣٧.

٢٥- أبوجعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان، ج١ : ص ٥٢٠.

٢٦- ابن الجوزي: زاد المسير : ج١، ص ١٠٢. والسيوطي، مفحمات الأقران: ص ١٤.

٢٧- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج١، ص ١٥٥.

تمويل المساكن من أموال الزكاة

أ.د. عبدالفتاح إدريس

تمويل المساكن من أموال الزكاة، إنما يتصور في دفع غير جنس المال المزكى إلى مستحقي الزكاة، والمال المزكى إما أن يكون من قبيل عروض التجارة، وإما أن يكون من غيرها.

المقصد الأول

إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة

اختلف الفقهاء في إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة على مذاهب ثلاثة

المذهب الأول:

يرى أصحابه أن المزكي في عروض التجارة يخرج الزكاة من قيمة العروض دون عينها، وهو قول الشافعي في الأم وهو الأصح عند أصحابه وعليه الفتوى في المذهب، وإليه ذهب الحنابلة، ويرى المالكية أنه إنما يخرج الزكاة من ثمنها عند قبضه بعد بيعها، فإن لم تبع فلا زكاة فيها (١).

المذهب الثاني:

يرى من ذهب إليه أن المزكي في عروض التجارة مخير بين إخراج الزكاة من قيمة العروض أو من عينها، وهو ما ذهب إليه أبوحنيفة، وقول آخر للشافعي (٢).

المذهب الثالث:

يرى أصحابه أن المزكي يجب عليه أن يخرج الزكاة من عين عروض التجارة، وليس من قيمتها، وهو قول أبي يوسف ومحمد وغيرهم من الحنفية، وقول مخرج للشافعي من مذهبه القديم، ووجه لبعض أصحابه (٣).

أدلة هذه المذاهب

- استدل أصحاب المذهب الأول بما يلي:

المعقول:

١- إن النصاب معتبر بالقيمة، فكانت الزكاة منها كالعين في سائر الأموال، ولا يسلم أن الزكاة تجب في المال وإنما وجبت في قيمته (٤).

٢- إن الوجوب إنما يتعلق بما قومت به العروض وليس بعينها (٥).

- استدل أصحاب المذهب الثاني بما يلي:

القياس:

إن عروض التجارة مال تجب فيه الزكاة، فجاز إخراجها من عينه كسائر الأموال (٦).

المعقول:

١- إن الزكاة تتعلق بعين العرض وقيمته، فكان المزكي مخيرا بينهما عند إخراج الزكاة (٧).

٢- إن الواجب في أموال التجارة جزء من النصاب من حيث المعنى لا من حيث الصورة.

- استدل أصحاب المذهب الثالث بما يلي:

١- إن الزكاة إنما وجبت لأجل عين العروض، فوجب إخراجها من عينها (٨).

٢- إن الواجب في عروض التجارة هو إخراج الجزء منه صورة ومعنى، إلا أنه يجوز إقامة غيره مقامه من حيث المعنى ويبطل اعتباره الصورة بإذن صاحب الحق وهو الله تعالى (٩).

المناقشة والترجيح:

والذي أراه راجحا من هذه المذاهب - بعد الوقوف على أدلتها- هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الأول، من أن الزكاة في عروض التجارة تخرج من القيمة دون العين، لما وجهوا به مذهبهم، ولأن الزكاة شرعت لدفع حاجة الفقير والمسكين ونحوهم، وقيمة العروض أكثر نفعا وإشباعا لحاجة الفقراء والمساكين ونحوهم من العين، لما يقتضيه دفع العين عند الحاجة إلى قيمتها من بيعها للحصول على هذه القيمة، وتدني قيمة بيعها يقلل من سد حاجات المستحقين للزكاة، فكان دفع القيمة في العروض محققا الغاية من شرعية الزكاة.

المقصد الثاني

إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال

اختلف الفقهاء في حكم إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة، ولهم فيه مذهبان

المذهب الأول:

يرى أصحابه عدم جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة، وهو ما ذهب إليه جمهور المالكية وهو مذهب الشافعية، وظاهر مذهب الحنابلة، وإليه ذهب الظاهرية (١٠).

المذهب الثاني:

يرى من ذهب إليه جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال إذا كانت بقيمة العين، وهو مذهب الحنفية، وقال أبوحنيفة: من لزمه شاة فأخرج عنها دراهم بقيمتها، أو أخرج عنها ما له قيمة

أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة الخبير بالمجامع الفقهية

عنده جاز، ووفقا لمذهبه أن كل ما جازت الصدقة به جاز إخراجه في الزكاة، سواء كان من الجنس الذي وجبت فيه الزكاة أم من غيره، إلاّ في مسألتين إحداهما: تجب عليه الزكاة فيخرج بقيمتها منفعة عين، بأن يسلم إلى الفقراء دارًا يسكنونها بقيمة الزكاة، والثانية أن يخرج نصف صاع جيد عن نصف صاع وسط لزمه، فإنه لا يجزئه، وهذا المذهب قول عند المالكية، ورواية عن أحمد (١١).

أدلة المذهبين

- استدل أصحاب المذهب الأول بما يلي:

أولا: السنة النبوية المطهرة:

١- روى عطاء عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «خذ الحب من الحب، والشاة من الغنم، والبعير من الإبل، والبقر من البقر» (١٢).

وجه الدلالة منه:

أفاد الحديث الأمر بأخذ الزكاة من جنس ما وجبت فيه، فدل على عدم جواز إخراج القيمة في زكاة المال، لأن الأمر بأخذ الزكاة من عين ما وجبت فيه جاء مجردا عن القرائن، فأفاد فرضية أخذ الجنس.

٢- روي عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «هاتوا ربع العشور من كل أربعين درهما درهم، وليس عليكم شيء حتى تتم مائتي درهم فإذا كانت مائتي درهم ففيها خمسة دراهم... وفي الغنم في كل أربعين شاة شاة» الحديث (١٣).

وجه الدلالة منه:

ورد الحديث بيانا لما أجمله الكتاب الكريم في قول الله تعالى: «وآتوا الزكاة» (١٤)، فتكون الشاة المذكورة في الحديث هي الزكاة المأمور بها، والأمر يقتضي الوجوب، فدل على وجوب إخراج العين في زكاة سائر الأموال.

٣- روي عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه لما استخلف كتب له كتاب الصدقة لما بعثه إلى البحرين، جاء فيه: «هذه الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ وأمر بها أن تؤدى،

وكان فيه: في خمس وعشرين من الإبل بنت مخاض، فإن لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر» (١٥).

وجه الدلالة منه:

أفاد الحديث أن رسول الله ﷺ أراد عين ما تؤدى منه الزكاة، لتسميته إياها، وقوله: «فإن لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر»، ولو أراد المالية أو القيمة لم يجز، لأن خمسا وعشرين لا تخلو من مالية بنت مخاض، وكذلك قوله: «فابن لبون ذكر»، فإنه لو أراد المالية للزمه مالية بنت مخاض دون مالية ابن لبون.

ثانيا: القياس:

١- إن من أخرج القيمة قد عدل عن المنصوص عليه، فلم يجزئه ما أخرجه، كما لو أخرج الرديء من المال مكان الجيد منه في الزكاة (١٦).

٢- إن الحق في الزكاة لله تعالى، وقد علقه على ما نص عليه، فلا يجوز نقل ذلك إلى غيره، كالأضحية لما علقها على الأنعام لم يجز نقلها إلى غيرها (١٧).

ثالثا: المعقول:

١- إن الزكاة وجبت لسد حاجة الفقير وشكرا لنعمة المال، والحاجات متنوعة، فينبغي أن يتنوع الواجب ليصل إلى الفقير من كل نوع ما تندفع به حاجته، ويحصل شكر النعمة بالمواساة من جنس ما أنعم الله به عليه (١٨).

٢- إن الزكاة قربة لله تعالى، وكل ما كان كذلك فسبيله أن يتبع فيه أمر الله تعالى، ولو قال إنسان لوكيله: اشتر ثوبًا وعلم الوكيل أن غرضه التجارة، ووجد سلعة هي أنفع لموكله، لم يكن له مخالفته وإن رآه نفع، فما يجب لله تعالى بأمره أولى بالاتباع (١٩).

استدل أصحاب المذهب الثاني بما يلي

أولا: السنة النبوية المطهرة:

١- روى طاوس أن معاذا لما بعثه النبي ﷺ إلى أهل اليمن، قال لهم: «ائتوني بخميس أو لبيس آخذه منكم، فإنه أيسر عليكم وأنفع للمهاجرين بالمدينة» (٢٠).

٢- وروي عن طاوس قال: «لما قدم معاذ اليمن قال: ائتوني بعرض ثياب آخذه منكم مكان الذرة والشعير، فإنه أهون عليكم وخير للمهاجرين بالمدينة» (٢١).

اعترض على الاستدلال بحديث معاذ:

● قال ابن قدامة: إن حديث معاذ الذي رووه إنما هو في الجزية وليس في زكاة المال، بدليل أن النبي ﷺ أمره بتفريق الصدقة في فقرائهم ولم يأمره بحملها إلى المدينة، وفي حديثه هذا قال: «فإنه أنفع للمهاجرين بالمدينة» (٢٢).

٣- جاء في كتاب أبي بكر الذي كتبه في الصدقات قوله: « هذه الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ وأمر بها أن تؤدى وكان فيه: «في خمس وعشرين من الإبل بنت مخاض، فإن لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر».

وجه الدلالة منه:

أفاد الحديث جواز إخراج القيمة في الزكاة، لأن رسول الله ﷺ أمر بإخراج قيمة بنت المخاض عند عدمها، وهو ابن لبون ذكر.

٤- روي عن أيوب السختياني أن رسول الله ﷺ قال: «خذ الناب والشارف والعواري» (٢٣).

وجه الدلالة منه:

في الحديث أمر بأخذ غير ما وجبت فيه الزكاة من أعيان المال، مما يدل على جواز إخراج القيمة فيها. اعترض على الاستدلال به:

قال ابن حزم: لا حجة فيه لوجهين، أحدهما: أنه مرسل ولا حجة فيه، والثاني: أن في آخره «ولا أعلمه إلا كانت الفرائض بعد»، فلو صح لكان منسوخا بنقل راويه فيه (٢٤).

٥- روي من طريق الحسن وعطاء عن رسول الله ﷺ قال للمصدق: «أعلمه الذي عليه من الحق فإن تطوع بشيء فاقبله منه» (٢٥).

وجه الدلالة منهما:

أفاد الحديث أن رسول الله ﷺ أمر عامله على الصدقة أن يبين للمزكي ما وجب عليه في ماله، واعتبر ما يدفعه من غير أعيان ماله المزكي تطوعا، وأمر عامله أن يقبله منه، وهذا دليل على جواز أخذ القيمة في زكاة أعيان المال.

اعترض على الاستدلال بهما:

قال ابن حزم: هذا مرسل، ثم لو صح لم يكن فيه حجة، لأنه ليس فيه نص الواجب ولا بأخذ قيمة، ونحن لا ننكر أن يعطي أفضل ما عنده من السن الواجبة عليه (٢٦).

ثانيا: آثار الصحابة:

١- روي عن عطاء قال: «كان عمر بن الخطاب يأخذ العروض في الصدقة من الدراهم» (٢٧).

٢- روى عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري أن عمر كتب إلى بعض عماله «ألا يأخذ من رجل لم يجد في إبله السن التي عليه إلا تلك السن من شروى إبله أو قيمة عدل» (٢٨).

وجه الدلالة منهما:

أفاد الأثران أن عمر رضي الله عنه أجاز أخذ القيمة في الزكاة.

اعترض علي الاستدلال به:

قال ابن حزم: هذا في غاية السقوط لوجوه: أحدها: أنه منقطع لأن ابن جريج قال: أخبرت عن عبدالله بن عبدالرحمن، ولم يسم من بينه وبين عبدالله، والثاني: أن عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري مجهول لا يدرى من هو، والثالث: أنه لو صح لما كانت فيه حجة، لأنه ليس عن رسول الله ﷺ، ولا حجة فيما جاء عمن دونه، والرابع: أنه قد يحتمل أن يكون قول عمر لو صح عنه «أو قيمة عدل»، هو ما بينه في مكان آخر من تعويض الشاتين أو الدراهم، فيحمل قوله على الموافقة لا على التضاد (٢٩).

ثالثا: القياس:

١- إن المال الذي يُخرج منه الزكاة مال مزكى، فجاز إخراج قيمته قياسا على إخراج قيمة عروض التجارة.

٢- ولأن القيمة التي تخرج زكاة هي من قبيل المال، فأشبهت المال المنصوص على إخراجه زكاة (٣٠).

رابعا: المعقول:

١- إن المقصود من الزكاة دفع الحاجة، ولا يختلف ذلك بعد اتحاد قدر المالية باختلاف صور الأموال (٣١).

٢- ولأنه لما جاز العدول عن العين إلى الجنس بالإجماع بأن يخرج زكاة غنمه غنم غيرها جاز العدول من جنس إلى جنس (٣٢).

٣- إن المقصود من الزكاة إغناء الفقير، والإغناء يحصل بالقيمة بل أتم وأوفر، لأنها أقرب إلى دفع الحاجة، والنص الوارد بإخراج أجناس معينة في الزكاة معلول بالإغناء، وليس في تجويز إخراج القيمة عدم اعتبار حكم النص (٣٣).

خامساً: المناقشة والترجيح:

والذي تركن النفس إليه من المذهبين- بعد استعراض أدلتهما، وما اعترض به على بعضها- هو ما ذهب إليه أصحاب المذهب الأول، من عدم جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة، لما استدلوا به على مذهبهم، ولأن هذه الأعيان قد تفي بحاجة المستحقين للزكاة، فكان إخراج الزكاة من عينها محققا الغاية من شرعية الزكاة.

المقصد الثالث

تخريج صور تمويل المساكن:

وتخريجا على مذهب من يرون إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة، وهو الأصح عند الشافعية، وإليه ذهب الحنابلة، ويرى المالكية أنه إنما يخرج الزكاة من ثمنها عند قبضه بعد بيعها، فإن لم تبع فلا زكاة فيها، أو على مذهب من يرى أن المزكي فيها مخير بين إخراج الزكاة من قيمة العروض أو من عينها، وهو ما ذهب إليه أبوحنيفة، وقول آخر للشافعي، وتخريجا على مذهب من يرون جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال غير عروض التجارة - وهو مذهب مرجوح مروي عن عمر بن عبدالعزيز، وهو قول الثوري والحسن البصري، ومذهب الحنفية، وقول عند المالكية، ورواية عن أحمد- فإنه يجوز ابتياع مسكن للفقير أو المسكين من أموال الزكاة، فيملك رقبته ومنفعته، أو يملك منفعته فقط، أو تملك له الأجرة التي يغلها المسكن المبتاع بأموال الزكاة، وكما جاز إعطاؤه الزكاة بتمليكه منفعة المسكن الذي ابتيع من أموال الزكاة، فإنه يجوز إعطاؤه الزكاة بتمليكه منفعة الموقوف عليه الذي اشتري من أموال الزكاة، بحسبان أن منفعة السكن والوقف لها قيمة مالية (٣٤)، وأن الإجارة تفيد ملكية منفعة العين المؤجرة للمستأجر وعوض المنفعة للمؤجر (٣٥)، وأن الوقف يفيد ملك منفعة الموقوف للموقوف عليه باتفاق الفقهاء (٣٦).

ومن ثم فإن حكم الصور الأربع التي هي: إخراج الزكاة للفقير في صورة مسكن يُملّك إياه، وإخراج الزكاة للفقير بتمليكه منفعة المسكن، وإخراج الزكاة للفقير بتمليكه ريع المسكن، بأن يشترى مسكنا بأموال زكوية، ثم يؤجر، ويدفع ما يخرج منه من أجرة على أنه زكاة لآخرين، وإخراج الزكاة للفقير بوقف المسكن عليه، هو الجواز في الجميع تخريجا على مذهب

من يرى جواز إخراج القيمة في زكاة عروض التجارة، وعلى مذهب من يرى جواز إخراج القيمة في زكاة سائر الأموال التي تجب فيها الزكاة، باعتبار إجزاء إخراج قيمة الزكاة الواجبة ممثلة في المسكن المشترى من أموال الزكاة الذي يتملكه الفقير أو المسكين، أو الذي يتملك منفعته أو ريعه، أو ممثلة في العين المبتاعة من أموال الزكاة ليسبل ريعها للفقراء والمساكين.

وأما الصورة الخامسة: وهي تمويل المساكن بالأموال الزكوية، عن طريق تسديد الدين الذي لزم الفقير أو المسكين من شراء المسكن أو بنائه، أو الدين الذي لزمه من مسكن استأجره فإن هذه الصورة جائزة أيضا لإيصال الزكاة إلى مستحقيها، بوصفهم من الغارمين، فيستحقون من سهم الغارمين في الزكاة، المدلول عليه بآية الصدقات، وما روي من حديث قبيصة بن المخارق الهلالي رضي الله عنه قال: «تحملت حمالة، فأتيت النبي ﷺ أسأله فيها، فقال: أقم يا قبيصة حتى تأتيني الصدقة فآمر لك بها، ثم قال رسول الله ﷺ: إن الصدقة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادًا من عيش، ورجل أصابته جائحة فاجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو سدادا من عيش، ورجل أصابته فاقة فحلت له الصدقة حتى يصيب قواما من عيش، فما سوى ذلك يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا»(٣٧)، حيث دل الحديث على أن من أصابته الفاقة، وهي الحاجة والفقر(٣٨)، يستحق أن يصرف له من أموال الصدقة ما يدفع عنه حاجته وفقره، وأنه يحل له أن يسأل الصدقة لحاجته تلك، فيجوز وفقا لهذا أن يعطى من أموال الزكاة بمقتضى وصفين، وصف الفقر أو المسكنة، الملازم له قبل بناء المسكن أو تأجيره، ووصف الغرم، باعتبار أنه لزمه دين البناء أو الأجرة الذي يعجز عن الوفاء به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) شرح الزرقاني علي خليل ١٤٨/٢، الفواكه الدواني ٣٣١/١، المهذب ١٦١/١، المجموع ٥٩/٦، الشاشي: حلية العلماء ٩١/٣، المغني ٣٣٥/٢.
(٢) بدائع الصنائع ٢١/٢، المهذب ١٦١/١، المجموع ٥٨/٦، حلية العلماء ٩١/٣.
(٣) بدائع الصنائع ٢١/٢- ٢٢، المجموع ٥٩/٦.
(٤) المغني ٣٣٥/٢.
(٥) المجموع ٥٨/٦.
(٦) المغني ٣٣٥/٢.
(٧) المجموع ٥٨/٦.
(٨) المجموع ٥٨/٦.
(٩) بدائع الصنائع ٢٢/٢.
(١٠) مواهب الجليل ٣٥٦/٢، شرح الزرقاني علي خليل ١٦٠/٢، حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٤٩٩/١، المجموع ٣٨٣/٥- ٣٨٤، المغني ٣٥٧/٢، مرعي: دليل الطالب ٧٢/١، المحلي ٢٥/٦.
(١١) البحر الرائق ١٤٤/٢، بدائع الصنائع ٧٣/٢، حاشية الدسوقي ٤٩٩/١، المجموع ٣٨٤/٥، حلية العلماء ١٢٢/٣، المغني ٣٥٧/٢.
(١٢) أخرجه البيهقي وأبوداود وابن ماجة والدارقطني في سننهم، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (سنن البيهقي ١١٢/٤، سنن أبي داود ١٠٩/٢، سنن ابن ماجة ٥٨٠/١، سنن الدارقطني ٩٩/٢، ابن حجر: تلخيص الحبير ١٧٠/٢).
(١٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وأحمد في مسنده، وأبوداود في سننه وسكت عنه. (صحيح ابن خزيمة ٣٠/٤، مسند أحمد ٣٥/٣، سنن أبي داود ٩٩/٢).
(١٤) من الآية ٤٣ من سورة البقرة.
(١٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، والبزار والشافعي في مسنديهما، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. (صحيح ابن خزيمة ٢٧/٤، مسند الشافعي ٨٨/١، مسند البزار ١٠٢/١، المستدرك ٥٤٨/١).
(١٦) المغني ٢٥٨/٢.
(١٧) المجموع ٣٨٣/٥- ٣٨٤.
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) المصدر السابق /٣٨٦.
(٢٠) الخميس ضرب من برود اليمن، وجاء في البخاري خميص بالصاد، قيل هو مذكر الخميصة، وهي كساء صغير (النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٩/٢)، والحديث ذكره البخاري تعليقا، فقال: وقال طاووس قال معاذ، وذكره أبوعبيد بغير إسناد بلفظ « إيتوني بخميس أو لبيس»، والباقي نحوه، ورواه البيهقي في خلافياته، كما أخرجه في السنن، وقال: قال أبوبكر الإسماعيلي: حديث طاوس عن معاذ إذا كان مرسلا فلا حجة فيه، وقد قال فيه بعضهم من الجزية بدل الصدقة، قال الشيخ هذا هو الأليق بمعاذ والأشبه بما أمره النبي ﷺ به، من أخذ الجنس في الصدقات وأخذ الدينار أو عدله معافر ثياب ظاهرا في الجزية، وأن ترد الصدقات على فقرائهم لا أن ينقلها إلى المهاجرين بالمدينة، الذين أكثرهم أهل فيء لا أهل صدقة. (ابن الملقن: خلاصة البدر المنير ١٦٥/٢، السنن الكبري ١١٣/٤).
(٢١) أخرجه ابن حزم في المحلى، وقال: هذا الخبر لا تقوم به حجة، لأنه مرسل، فإن طاوس لم يدرك معاذا. (المحلى ٢٥/٦).
(٢٢) المغني ٢٥٨/٢.
(٢٣) الناب: أي ذات الناب، الشارف: المسنة من النوق، العواري: جمع عارية، وهي التي يتعاورها الناس للركوب والحمل، والحديث أخرجه ابن حزم في المحلى، وقال: إنه حديث مرسل، ولا حجة فيه. (المحلى ٢٦/٦).
(٢٤) المحلى ٢٦/٦.
(٢٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، وابن حزم في المحلي، وقال فيه: لا يصح لأنه مرسل. (مصنف عبدالرزاق ٤١/٤، المحلى ٢٧/٦).
(٢٦) المحلى ٢٧/٦.
(٢٧) أخرجه ابن حزم في المحلى ٢٧/٦.
(٢٨) أخرجه ابن حزم في المحلى، وقال: خبر منقطع، لأن ابن جريج قال: أخبرت عن عبدالله بن عبدالرحمن، ولم يسم من بينه وبين عبدالله بن عبدالرحمن. (المحلى ٢٥/٦- ٢٦).
(٢٩) المحلى ٢٥/٦- ٢٦.
(٣٠) المجموع ٣٨٤/٥.
(٣١) بدائع الصنائع ٧٣/٢، المغني ٣٥٧/٢.
(٣٢) المجموع ٣٨٤/٥.
(٣٣) بدائع الصنائع ٧٣/٢.
(٣٤) وهو مذهب جمهور الفقهاء: منهم المالكية والشافعية والحنابلة. (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير ٤٤٢/٣، ابن رشد « الحفيد» بداية المجتهد ٢٥١/٢، الشربيني: مغني المحتاج ٢٨٦/٢، قواعد الزركشي (خ) /ق٣٦٦ أ، الشربيني: الإقناع ٦٥٢/٢، زكريا الأنصاري: فتح الوهاب ٣٩٩/١، المغني ١٦٩/٥، ابن قدامة: الكافي ١٤٢/٢، البهوتي: شرح منتهي الإرادات ٢٤٨/٢).
(٣٥) الرافعي: فتح العزيز ١٩٩/١٢، مغني المحتاج ٣٣٤/٢، المغني ١٣/٦.
(٣٦) لا خلاف بين الفقهاء على أن من وقف شيئا وقفا صحيحا، فقد صارت منافعه جميعها للموقوف عليه، وزال عن الواقف ملك منافعه، فلم يجز أن ينتفع بشيء منها، إلا أن يكون قد وقف شيئا للمسلمين، فيدخل في جملتهم، مثل أن يقف مسجدا فيكون له أن يصلي فيه، أو أن يقف مقبرة فيكون له الدفن فيها، أو بئرا أو سقاية للمسلمين، فله أن يستقي منها، أو شيئا يعم المسلمين فيكون كأحدهم، قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا كله خلافا بين أحد من أهل العلم. (المهذب ٤٤٣/١، النووي: منهاج الطالبين ٨١/١، المغني ٤٥٢/٥، ابن مفلح: المبدع ٣٢٩/٥).
(٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه ٧٢٢/٢.
(٣٨) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٨٠/٢، ابن سلام: الغريب ٦١/٢.

أسئلة تعليمية حول الوقف الإسلامي

الوقف تشريع عظيم امتاز به ديننا الحنيف، وتفرد بتوسيعه وتفصيله فقهنا الوافي، فتح الإسلام بالوقف بابًا عريضًا من أبواب الخير، بل ربما كان هذا الباب الأوسع بين أبواب خدمة المجتمع، لأنه جعل من المساهمات الخيرة مؤسسات، ومن العطاءات إدارات، وهذا لاشك سبق في مجال بناء المجتمعات وتطويرها. ولاريب أن الوقف من أفضل الصدقات، فلا يباع ولا يشترى، ولا يوهب ولا يورث، وهو يشكل في الفقه الإسلامي جانبًا من الأحكام الفقهية، التي تشتمل على قواعد وأحكام خاصة متشعبة النواحي.

د. صالح النهام

ولكي يُعطى الموضوع شيئًا من البيان والتوضيح، جعلته في عدة مسائل، بيانها على النحو التالي:

المسألة الأولى: ما المقصود بالوقف؟

يقصد بالوقف لغةً(١): الحبس والمنع، وهو مصدر لقولك: وقَفْتُ الدابة وقفًا، إذا حبستها في سبيل الله، والرجل واقف: إذا منع نفسه من السير، قال سبحانه: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ (الصافات: ٢٤)، أي: احبسوهم عن السير.

وأما الوقف اصطلاحًا: فقد اختلف الفقهاء في تعريفه على أقوال إليك بيانها:

فعرفه الإمام أبوحنيفة بأنه: «حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة كالعارية» (٢).

وعرفه الصاحبان أبويوسف ومحمد بأنه: «حبس العين على حكم ملك الله تعالى على وجه يعود نفعه إلى العباد» (٣).

وعرفه المالكية بأنه: «إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازمًا بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرًا» (٤).

وعرفه الشافعية بأنه: «حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح» (٥).

وعرفه الحنابلة بأنه: «تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه، بقطع تصرفه وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة بر تقربًا إلى الله تعالى» (٦)، وقيل: «تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة أو المنفعة» (٧).

فبعد عرض تعاريف الفقهاء للوقف يتبين أنها متشابهة في بعض صورها وألفاظها، لكنها تشير إلى خلاف جوهري بينهم ينتج عنه نتائج فقهية، إليك بيانها:

أولًا: لقد جاء تعريف الإمام أبي حنيفة للوقف بأنه بمنزلة العارية، أي تنتقل منفعته إلى الموقوف عليهم ولا تخرج عن ملك الواقف، ومن ثم فالواقف له حق التصرف في الموقوف مادام حيًا، وتنتقل إلى ورثته بعد وفاته كملكية الشيء المعار، وقولنا: هو بمنزلة العارية؛ لأن الوقف يختلف عن العارية في بعض الأحكام كاشتراط التسليم إلى شخص آخر، فيصح للواقف أن يتولى صرف منفعته إلى من يشاء.

ويرى الصاحبان أن الواقف متى ما تم الوقف تخرج العين الموقوفة عن ملكه، فليس له أن يتصرف فيها تصرف الملاك بالبيع أو الهبة أو الرهن، وبالتالي إذا توفي الواقف فلا تنتقل إلى ورثته، وتصرف منفعتها وغلتها إلى المستحقين، وقال بذلك الشافعية والحنابلة خلافًا للمالكية؛ لأن الوقف عندهم لا يخرج العين الموقوفة عن ملك الواقف، وهذا ما قال به أبوحنيفة، لكن ليس له أن يتصرف في العين الموقوفة بالتصرفات الناقلة للملكية كالبيع والهبة، وفي نفس الوقف يلزمه التصدق بمنفعتها على الموقوف عليهم كمذهب الجمهور.

ثانيًا: تبين كذلك أن الوقف عند الإمام أبي حنيفة تبرع غير لازم، ومن ثم فللواقف حق الرجوع متى ما أراد، كما هو الحال في العارية؛ لأنه مازال هو المالك، فيمكنه التصرف كيفما شاء، أما جمهور الفقهاء بمن فيهم المالكية فعندهم أنه بمجرد الوقف يكون لازمًا، ومن ثم فلا يحق للواقف الرجوع فيه،

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

وتصرف منفعته إلى الموقوف عليهم.

المسألة الثانية: ما الصورة الفقهية لمعنى الوقف؟

إن الأموال كافة من منقول وغير منقول إنما خلقت للانتفاع بها كما أشار إليه قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ (البقرة: ٢٩).

والانتفاع بالمال يكون على طريقين هما: إما باستهلاك عينه، وإما باستعماله مع بقاء عينه، وقد يكون المال استهلاكيًا كالأغذية، أو استعماليًا كالملبس والمسكن، وما يحتاج الفرد إلى منافعه من الأموال لا يوجد عنده عادة إلا القليل منه، ولا تتم حاجته إلا بما عند غيره، لذلك كانت مبادلات الأموال بين الناس لتبادل منافعها مما تقضي به حاجات الحياة ونظامها.

فالأموال بمقتضى طبيعتها وخلقتها قابلة لورود الملكية عليها، ولتعاقب الأسباب لهذه الملكيات من حوزة إلى حوزة، فليس شيء منها في الأصل محبوسًا عن التداول (٨).

فإذا بدا لأحد ألا يحبس بعض أمواله عند التداول فلا يتملكها أحد؛ بل تبقى محجورة عن ذلك أبدًا لا يمسها أي سبب من الأسباب الناقلة للملك، وإنما ينتفع بها فقط في وجوه معينة دون امتلاك، فهذه حالة استثنائية في المال سميت حبسًا أو وقفًا.

إذن الوقف بمفهومه الإجمالي يفيد معنى حبس المال عن الامتلاك والتداول في سبيل المقاصد العامة.

المسألة الثالثة: ما مشروعية الوقف؟

لاشك أن أهل العلم متفقون على أن الوقف جائز شرعًا (٩)، ومشروعيته ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع، وبيان

الوقف بمفهومه الإجمالي يفيد معنى حبس المال عن الامتلاك والتداول في سبيل المقاصد العامة

ذلك فيما يلي:

- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿لن تَنالوا البرَّ حتى تُنْفِقوا مما تُحبون﴾ (آل عمران: ٩٢).

ووجه الدلالة من تلك الآية: هو إفادتها عموم الإنفاق في وجوه الخير والبر، والوقف لاشك أنه أحد هذه الوجوه.

ثم إن أبا طلحة عندما سمع قوله تعالى: ﴿لن تَنالوا البرَّ حتى تُنْفِقوا مما تُحبون﴾ ذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: «إن أحب أموالي إلي بَيْرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله...» (١٠).

- السنة المطهرة

لقد وردت أحاديث عامة، وأخرى خاصة تقرر مشروعية الوقف، فمن الأحاديث العامة: قول رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (١١).

ومن الأحاديث الخاصة: قول رسول الله ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شعره، وروثه، وبوله، في ميزان حسناته» (١٢).

ووجه الدلالة: أن الصدقة الجارية المستمرة في هذين الحديثين محمولة على الوقف عند العلماء، واستمرار الثواب يجريان الصدقة التي تعتبر عملًا لا يقطعه الموت هو الوقف اللازم المؤبد، ولو جاز أن يكون غير لازم لكان صدقة مقطوعة لا جارية، والغرض أنها مستمرة كما دل عليه حديث: «... صدقة جارية».

- الإجماع:

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «ما أعلم أحدًا كان له مال من المهاجرين والأنصار، وإلا حبس من ماله، صدقة مؤبدة، لا تشترى أبدًا، ولا توهب، ولا تورث» (١٣)، وقال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافًا في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك» (١٤).

المسألة الرابعة: ما الحكمة من مشروعية الوقف؟

الحكمة من الوقف هي إيجاد وتوفير أموال للإنفاق منها على أوجه البر والخير، مما ينفع المسلمين المنتفعين بها، وبما يُقرِّبُ الواقف إلى الله تعالى، ويزيد له في حسناته ويجزيه خير الجزاء: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (الشعراء: ٨٨- ٨٩).

ولا يخفى أن الوقف يعمل على تأكيد التكافل الاجتماعي بأحسن صوره، مما يدعونا إلى المزيد من المساهمة في دعم مشروع الوقف الخيري الإسلامي لمساعدة المسلمين، ونشر دعوة الله المباركة في أصقاع المعمورة.

المسألة الخامسة: ما أول وقف في الإسلام؟

لاشك أن أول وقف عرفه العرب قبل الإسلام: الكعبة المشرفة، وهي البيت العتيق الذي بناه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ ليكون مثابة

للناس وأمنًا، فأصبح للعرب مصلى عام على اختلاف قبائلهم، يحجون إليه كل عام ويطوفون به، ويصلون عنده، ثم جعلوه مقرًا للأصنام بعدما أدخلت على العرب عبادة الأصنام، حتى جاء الإسلام وفتحت مكة، فأمر النبي صلوات الله وسلامه عليه بهدم الأصنام من الكعبة، وطهرها منها، وأخلصها لعبادة الله جل وعلا، وفي السنة الثانية من الهجرة جعلت الكعبة المشرفة قبلة المسلمين يصلون إليها، بعد أن كانت إلى بيت المقدس.

وأما أول وقف ديني في الإسلام فهو مسجد قباء، الذي أسسه رسول الله ﷺ حين قدومه مهاجرًا إلى المدينة قبل أن يدخلها وهو في ضيافة كلثوم بن الهدم بن عمرو بن عوف، شيخ الأنصار، ثم بعد مسجد قباء المسجد النبوي في المدينة دار الهجرة، بناه رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة عند مبرك ناقته؛ لما قدم مهاجرًا من مكة إلى المدينة.

كذلك أول وقف من المستغلات الخيرية عرف في الإسلام وقف النبي ﷺ وهو سبعة حوائط (١٥) بالمدينة، كانت لرجل يهودي اسمه مخيريق، وكان محبًا ودودًا لرسول الله ﷺ، وقاتل مع المسلمين في غزوة أحد، وأوصى: إن أصبت أي: قتلت، فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله تعالى، وقد قتل يوم أحد وهو على يهوديته، فقال النبي ﷺ: «مخيريق خير يهود»، وقبض النبي ﷺ تلك الحوائط السبعة فتصدق بها، أي: وقفها (١٦).

ولقد ثبت أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «أصاب عمر أرضًا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت مالًا بخيبر لم أصب قط مالًا أنفس عندي

الأوقاف في بلاد المغرب تسمى أحباساً

منه، فما تأمرني فيه؟ قال رسول الله ﷺ: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، غير أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث»، قال: فتصدق بها عمر في الفقراء وذي القربى، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقًا غير متمول فيه، وفي لفظ: غير متأثل فيه» (١٧).

وقد تتابعت أوقاف الصحابة رضوان الله عليهم بعد وقف عمر رضي الله عنه، فتصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه من أمواله الخاصة ببئر رومة، ولم يكن في المدينة ماء يستعذب غير بئر رومة، وتصدق علي رضي الله عنه بأرضه بينبع حبسًا على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد، في السلم والحرب، وبلغ جذاذها في زمن علي رضي الله عنه ألف وسق.

وكان الوقف أول عهده يسمى: صدقة، وحبسًا، وحبيسًا، ثم حدث اسم الوقف، ولا تزال الأوقاف إلى اليوم في بلاد المغرب تسمى أحباسًا.

وللعلم فإن معظم أوقاف الصحابة الكرام كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ، ما عدا وقف عمر بن الخطاب، وأبي طلحة رضي الله عنهما.

فيتضح مما سلف أن الوقف في الإسلام لم يكن مقصورًا على أماكن العبادة فقط كما كان عليه في الأمم السابقة قبله، بل تعداه إلى مقاصد الخير العامة في المجتمع منذ عصر رسول الله ﷺ، كالمستغلات العقارية التي تفيض بالثمرات، والأراضي الزراعية، ثم دور السكن.

المسألة السادسة: ما أقسام الوقف؟

أقسام الوقف خمسة، أسوقها على النحو التالي:

١- الوقف الخيري: وهو الوقف الذي وقف على جهات الخير من حين إنشائه، كالوقف على الجوامع ودور العلم والمستشفيات أو الفقراء أو الملاجئ ودور العجزة (١٨).

٢- الوقف الذُّري أو الأهلي: وهو الوقف الذي يكون مشروطًا للواقف، ومن ثم إلى ذريته، وبالنهاية إلى جهة خير لا تنقطع، وقد كان في أول عهده منصرفًا إلى وجوه البر والإحسان، يشترك فيه الواقف وأهله وأقاربه، وسائر الناس، ثم بدأت الناس توقف الأموال على أولادها صيانة لأموالهم من التبديد، ولدوام انتفاع ذرية الواقف منه، وقد كان هذا التصرف من الواقفين بداية لنشأة الوقف الذُّري (١٩).

٣-الوقف المضبوط: وهو الوقف الذي ضبطته قبلًا وأدارته وزارة الأوقاف العثمانية، وهي أوقاف وقفها السلاطين على جهة الخير، ثم عهدوا إلى نظارة الأوقاف العثمانية بإدارتها، ومنها الأوقاف التي انقرضت ذرية الواقف فيها فاستلمتها إدارة الأوقاف أيضًا، وانتقل اليوم بزوال الدولة العثمانية إلى إدارة الأوقاف الإسلامية العامة، وهذا النوع لا يحجر عليه، لأنه يدار من مؤسسة ذات نفع عام.

٤- الوقف الملحق: وهو الذي يقوم بإدارته متولٍ بإشراف دائرة الأوقاف العامة، ويقع ذلك إذا كان المتولي صغيرًا، وقد شرطت له التولية فيلحق بإدارة الأوقاف العامة إلى أن يبلغ رشده أو إذا وقع خلاف على التولية،

فتستلم إدارة الأوقاف العامة الوقف مؤقتًا حتى انتهاء النزاع عليها (٢٠).

٥- الوقف الصحيح وغير الصحيح:

فأما الوقف الصحيح، فيكون في كل ما يدوم الانتفاع به كالعقار، والمساجد والآبار، والدور، والبساتين، والمنقول من الحيوان والسلاح، والعتاد، والسيارات والبرادات، والأثاث، والمصاحف، والكتب.

أما الوقف غير الصحيح، فهو ما لا يدوم الانتفاع به كالطعام والشراب غير الماء، وكل ما يحرم استعماله أو تملكه، وكذا ما لا فائدة ولا طائل منه، كالكلب والمسكرات والخنزير (٢١).

المسألة السابعة: ما أركان الوقف؟

الوقف التزام كسائر الالتزامات العقدية التي يبرمها الإنسان، له أركان مادية، وركن شرعي.

فأما أركانه المادية فثلاثة: الشخص الواقف، المال الموقوف، الجهة المراد وقفها.

وأما الركن الشرعي: فالعقد، وهو الإيجاب فقط من الواقف بصيغته المعتبرة، فلا يحتاج إلى قبول الموقوف عليه، فقد يكون جهة بر وإحسان كالمسجد والمدرسة، وقد يكون أشخاصًا غير معينين كالفقراء وأبناء السبيل (٢٢).

المسألة الثامنة: كيف ينعقد الوقف؟

ينعقد الوقف ويصح بأحد أمرين:

الأمر الأول: ينعقد الوقف بالقول، وله حالتان:

الحالة الأولى: القول الصريح: كأن يقول: وقفت، سبلت، حبست، أبّدت، فهذه الألفاظ الأربعة صريحة لإدارة الوقف لعدم احتمال غيره.

الحالة الثانية: القول الدال على الوقف بالكناية: كقول قائل: تصدقت،

ينعقد الوقف بقول: وقفت أو سبلت أو حبست أو أبّدت

فهذا اللفظ يحتمل الوقف وغيره؛ لأن لفظ الصدقة يطلق على صدقة الوقف، وصدقة الفرض، وصدقة التطوع.

ولا تفيد هذه الألفاظ وما شابهها الوقف إلا إذا انضم إليها واحد من أمور ثلاثة:

١- النية؛ لقوله رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...» (٢٣).

٢- الاقتران بأحد ألفاظ الوقف الأخرى، كتصدقت بكذا صدقة موقوفة.

٣- الاقتران بحكم الوقف مثل: تصدقت بكذا صدقة لا تُباع ولا تورث.

الأمر الثاني: ينعقد الوقف بالفعل، فإذا حصل فعل مع دليل يدل عليه، كأن يبني بنيانًا على هيئة المسجد ويأذن إذنًا عامًا بالصلاة فيه، أو يجعل أرضه مقبرة ويأذن إذنًا عامًا بالدفن فيها، أو سقاية ويشرعها لهم- أي: يعدها ويهيئها لهم- ويأذن في دخولها، لأن العرف جار بذلك، وفيه دلالة على الوقف فجاز أن يثبت به كالقول وجرى مجرى من قدّم طعامًا لضيفانه، أو نثر نثارًا (٢٤).

المسألة التاسعة: ما شروط صحة الوقف؟

شروط صحة الوقف بيانها في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: شروط الواقف: صحة عبارته- أهلية التبرع- الاختيار.

الأمر الثاني: شروط الموقوف (٢٥): أن يكون عينًا معينة- أن يكون مملوكًا للواقف- دوام الانتفاع بالموقوف- أن تكون منفعة الموقوف مباحة لا حرمة فيها.

الأمر الثالث: شروط الموقوف عليه: والموقوف عليه قسمان:

القسم الأول: معين واحد فأكثر، وشرط في الموقوف عليه المعين إمكان تمليكه عند الوقف عليه، وذلك بأن يكون موجودًا في واقع الحال، فلا يصح الوقف على ولد له، والواقع أنه ليس له ولد، وكذلك لو وقف على الفقراء من أولاد فلان ولا فقير فيهم عند الوقف، فإن هذا الوقف غير صحيح ولا يصح الوقف أيضًا على جنين ولا على ميت ولا على دار.

القسم الثاني: غير معين، كالوقف على الجهات، كالفقراء مثلًا، يشترط في الموقوف عليه غير المعين (كالفقراء، والمساجد، والمدارس وغيرها)، حتى يكون الوقف صحيحًا شرطًا واحدًا هو: ألا يكون الوقف على معصية من المعاصي (٢٦).

المسألة العاشرة: ما الحالات التي ينتهي فيها الوقف الشرعي؟

١- إذا اشترط إنسان عقارًا، ووقفه، ثم ظهر شفيع للعقار وقضى له بحق الشفعة، فإن الوقف ينقضي، ولا يجب على الواقف أن يشتري بالثمن الذي يأخذه من الشفيع عقارًا آخر ليقفه بدلًا من الأول.

٢- إذا وقف إنسان عقارًا على أنه ملكه، ثم ظهر له مستحق وقضى بملكيته، ينقضي الوقف، ولا يجبر الواقف على وقف مال آخر سواه.

٣- إذا وقف إنسان مالًا ثم ظهر عليه دين سابق، لا وفاء له إلا ببيع الموقوف، ينقضي الوقف، ويوفى

الدين.

٤- إذا قضى القاضي بإبطال الوقف.

٥- إذا تلف العقار الموقوف بزلزال، أو طغى عليه الماء، أو أصبح عديم النفع، أو احترق، فإن الوقف يبطل ويعود إلى ملك الواقف أو ورثته.

٦- إذا استبدل الموقوف بعقار آخر، بناء على أحد المسوغات الشرعية، فإذا استبدل به عقار آخر، حل العقار الثاني محل الأول، وإذا بيع بالنقود يُشترى بالثمن عقار يحل محله في الوقفية.

٧- إذا غصب غاصب عقار الوقف، وليس بيد المتولي ما يثبت أنه وقف، وتصالح المتولي مع الغاصب على ثمن فإنه يشتري بالثمن عقارًا آخر يحل محل الأول الذي لا يعتبر وقفًا(٢٧).

وفي الختام إليك بعض المسائل المتعلقة بالوقف، أجملها على النحو التالي:

١- يجوز نقل الوقف إذا تعطلت منافعه إلى نظيره مما فيه مصلحة للوقف، وغبطة لجهته سواء كان ذلك عن طريق البيع أو غيره حسبما يقتضيه النظر الشرعي (٢٨).

٢-لا يشترط أن يكون البدل في مكان الوقف الأول، بل يجب مراعاة ما هو مصلحة أصل الوقف؛ لأن الأصل في هذا الباب مراعاة مصلحة الوقف (٢٩).

٣- يجوز استبدال الوقف الأول بوقف أنفع منه، كأن يقف بستانًا ثماره قليلة، فيبدلها بما هو أنفع للوقف (٣٠).

٤- الأولى أن تصرف نفقة من غلته؛ لأن القصد الانتفاع به مع بقاء عينه، ولا يمكن إلا بالإنفاق عليه، فكان بقاؤه يتضمن الإنفاق عليه (٣١).

٥- يصح الوقف إذا لم ينصب له قيِّمًا معينًا، لقول عمر رضي الله عنه: «لا جناح على من وليها أن يأكل منها»، فهذا عمر رضي الله عنه لم يعين لوقفه قيّمًا (٣٢).

٦ -يجوز للواقف أن يشترط لنفسه، أو لورثته جزءًا من ريع الموقوف (٣٣)، لقول رسول الله ﷺ: «من يشتري بئر رومة، فيجعل فيها دوله على دلاء المسلمين»، فاشتراها عثمان رضي الله عنه، ولقوله ﷺ للذي ساق البدنة «اركبها»، ولقول عمر رضي الله عنه: «... أن يأكل منه بالمعروف».

٧- إن ثواب الوقف يصل إلى الميت، وينفعه حتى إذا أوقف عنه.

٨- الأصل عدم وقف المرهون حتى يسدد ما عليه خروجًا من خلاف العلماء وعملًا بالحديث الصحيح: «المسلمون على شروطهم» (٣٤).

٩- يصح الوقف بالقول دون القبض على الراجح من أقوال أهل العلم؛ لأن الوقف شبيه بالعتق، وهما مشتركان في أنهما تمليك لله تعالى، فينفذ بالقول المجرد المحض عن القبض.

١٠- يصح الوقف إذا لم يُعيِّن الواقف جهة معينة؛ لأنه أراد بوقفه هذا البر والتقوى.

الهوامش

(١) انظر: مادة: (و ق ف) في كل من: لسان العرب لابن منظور، تاج العروس للزبيدي.
(٢) انظر: ملتقى الأبحر لإبراهيم الحلبي: (٣٩٩/٢).
(٣) انظر: اللباب في شرح الكتاب للغنيمي:(١٨٠/١).
(٤) انظر: الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك لأحمد الدردير: (٢٩٦/٢-٢٩٧).
(٥) انظر: حاشية قليوبي على منهاج الطالبين للنووي: (٩٧/٣).
(٦) انظر: منتهى الإرادات للفتوحي: (٣٣٠/٣).
(٧) انظر: المبدع في شرح المقنع لابن مفلح: (٣١٣/٥).
(٨) انظر: أحكام الوقف وأثره الحضاري والإنساني للأستاذ محمد عاكف: (١٠/١).
(٩) انظر: المبسوط للسرخسي:(٢٩/١٢)، مواهب الجليل للحطاب:(١٨/٦)، نهاية المحتاج للرملي:(٣٥٨/٥-٣٥٩)، المغني لابن قدامة:(٥٩٧/٥-٦٠٠)، المحلى لابن حزم:(١٧٥/٩).
(١٠) أخرجه البخاري، برقم: (١٤٦١)، ومسلم، برقم: (٩١٨).
(١١) أخرجه البخاري، برقم: (٦٥١٤)، ومسلم، برقم: (٢٩٦٠).
(١٢)أخرجه البخاري، برقم: (٢٨٥٣).
(١٣) انظر: المغني: (١٨٩/٦)، البحر الزخار: (١٤٨/٥).
(١٤) انظر: جامع الترمذي: (٦٦٠/٣).
(١٥) ويقصد بالحائط: البستان، وقد كانت معظم حوائط المدينة من النخيل.
(١٦) انظر: مقدمة كتاب أحكام الأوقاف للخصاف.
(١٧) أخرجه البخاري، برقم:(٢٥٨٦).
(١٨) انظر: كشاف القناع للبهوتي: (٢٤١/٤).
(١٩) انظر: أحكام الوقف وأثره الحضاري والإنساني: (٣٥/١- ٤٠).
(٢٠) انظر: المرجع السابق.
(٢١) انظر: فقه السنة للسيد سابق: (٣٨١/٢).
(٢٢) انظر: أحكام الوقف: (٥١/١).
(٢٣) أخرجه البخاري، برقم: (٦٦٨٩)، أبوداود، برقم: (٢٢٠١).
(٢٤) انظر: منار السبيل شرح الدليل لابن ضويان: (٤/٢).
(٢٥)انظر: فتح القدير لابن الهمام: (٣٥/٥)، حاشية الدسوقي: (٧٥/٤)، مغني المحتاج للشربيني: (٣٧٧/٢)، كشاف القناع: (٢٤٣/٤).
(٢٦) انظر: عجائب الصدقات: (٣٨٣/١-٣٨٤)، مغني المحتاج: (٣٨٤/٢)، حاشية الدسوقي: (٨٥/٤)، رد المحتار لابن عابدين: (٣٦٥/٣)، المغني: (٦٣٢/٥).
(٢٧) انظر: نصوص هذه المسائل في رد المحتار، والإسعاف، والفتاوى الخيرية، والفتاوى الخانية.
(٢٨) انظر: سبل السلام للصنعاني: (٦٢/٢-٦٣).
(٢٩) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢٦٥/٣١).
(٣٠) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٥٣/٣١).
(٣١) انظر: المرجع السابق: (٢١٤/٣١).
(٣٢) انظر: شرح السنة: (٢٨٨/٨)، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأسرار للشوكاني: (٢٨٧/٣).
(٣٣) انظر:المرجع السابق.
(٣٤) علقه البخاري: (٥٢٧/٤)، ووصله أحمد:(٣٦٦/٢).

لغة وأدب

سلاح الأدب

من جملة الركائز التي تساعدنا على إنشاء أدب حي ملتزم بقضايا الأمة ورافد مهم في عملية التنمية المجتمعية الاستفادة من تجارب الآخرين الأدبية الحية، وهذا ليس عيبًا، فالحكمة ضالة المؤمن، وهو أحق بها إن وجدها، واستفادتنا من تجارب الآخرين لا تعني أبدًا تخلينا عن مرتكزاتنا وثوابتنا وهويتنا، فهذه خطوط حمراء لا يجوز لأحد أن يتجاوزها تحت أي مسمى أو تحت أي لافتة أخرى.

ومن جهة أخرى، فإن استمرارية الأدب الحي الملتزم مرتبطة بوجود نخبة أدبية شبابية تتسلم الزمام ممن يسبقها، وهذه النخبة يجب أن تلقى الرعاية والاهتمام من قبل الأوساط الأدبية، وذلك عن طريق إقامة المسابقات الأدبية والندوات والحلقات النقاشية، مع تقديم الجوائز التشجيعية لدفع الموهوبين والمتميزين نحو كتابة أدبية راقية تنمي مشاعر الأمة وأحاسيسها، فالأدب سلاح ينبغي ألا نستهين به، وقد استخدمه الأدباء والشعراء في عصور ما قبل الإسلام وبعده حين كانوا في مقدمة الصفوف للدفاع عن قضايا الأمة أمثال طرفة وحسان بن ثابت، وأبو تمام، ونحن في أمس الحاجة اليوم إلى أدب يخدم قضايا الشعوب المسلمة.

التحرير

أدباء ونقاد وأكاديميون يؤكدون:

حرية الإبداع كلمة حق يُراد بها باطل!

تحقيق: محمد عبدالشافي القوصي

شهدت الحقبة الأخيرة كثيرًا من التنظيرات والتأويلات التي تناولت إشكالية الحرية وبخاصة فيما يتعلق بحرية الفكر، وحرية الإبداع، وحرية الرأي.. فما هو المقصود بالحرية في هذه المجالات؟ وهل حقًا يعاني الكُتّاب والمفكرون والأدباء والمبدعون من غياب تلك الحريات؟ وما هي أبعاد الحرية التي ينادي بها هؤلاء؟ وهل للحرية ضوابط؟ أم أنها بلا ضوابط وبلا رقيب؟ وهل العقيدة الإسلامية تقف حجر عثرة في وجه الإبداع؟ وهل هناك حرية مطلقة؟ وهل الإساءات الموجهة للعقائد والمقدسات تدخل تحت مفهوم الحرية؟ وهل.. وهل؟!

كل هذه التساؤلات وغيرها طرحناها على نخبة من الأدباء والمبدعين والمفكرين لاستلهام رأيهم فيها.. فإلى التفاصيل.

التاريخ الإسلامي مَحجَّة

في البداية، يقول- أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية- د.محمد كمال إمام: إنه من أسف، أن تصبح العقيدة الإسلامية متهمة عند المغرضين والمشككين بأنها لا تشجع الأدب؛ لأنه يعتمد على الخيال، والخيال في فهم القاصرين نوع من الكذب لا يرضاه الدين، ولاشك أن هذه الاستنتاجات خطأ من ألفها إلى يائها، فالعقيدة الإسلامية تهيئ أرضًا خصبة للتجارب الأدبية، وتذكي المشاعر وتكرم الأديب، ولست في مجال الاحتجاج لهذه المقولة؛ لأن التاريخ الإسلامي محجة وشاهد لها، ويكفي أن أشير إلى قول رسول الله ﷺ «إن من البيان لسحرًا»، «وإنَّ من الشِّعر لحكمة»، وأن أشير إلى استماعه للشعر، بل واستشهاده ببعضه، وتشجيعه لحسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره من الشعراء، لذلك عندما تكون للمسلمين نظرية صريحة تعلن على الملأ موقف الإسلام من الأدب، وتبين مدى احتضانه له، فإنها تقطع دابر الشبهات، وتثير الدروب أمام الذين لا يعلمون.

إذ لا يمكن أن يكون ربط الأدب الذي

العقيدة الإسلامية تهيئ أرضًا خصبة للتجارب الأدبية

ينتجه الأدباء المسلمون بالعقيدة أمرًا يشكل خروجًا عن طبيعة الأدب- كما يزعم دعاة الخروج- بل إنه يصحح مسار العلاقة بين الأدب والعقيدة، فيربطه بأصدق عقيدة، ويهيئ له أوسع مجال للتصور، وأدقه وأكثره تلاؤمًا مع الفطرة البشرية.

إن الأدب لابد أن يستند إلى معتقد، وأن يصدر عن تصور يكون خلف التعبير، وقد أدى الارتباط الخطأ وفساد التصور إلى زيادة قلق الإنسان وزيادة آلامه المضنية، فإذا أحسنا ووثقنا رابطته بالعقيدة الإسلامية صححنا مساره، وهيأنا له فرص إبداع عظيمة للغاية.

مفهوم الحرية في الإسلام

ومن جانبه، يقول- عميد كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية- د.عبدالغفار هلال: لابد أن نعرف وأن نفهم أن الحرية في الإسلام ليست نقيضًا للالتزام، فالحرية معدن الوجود وجمال الكون، وهي صفة الفطرة السوية، ولكن الحرية التي نقصدها ليست الحرية التي تحدثت عنها الثورة الفرنسية، ولا التي تحدث عنها سارتر، ولا التي دعتْ إليها الليبرالية وزيفتها الدكتاتورية.. فالحرية هي التي تمنح الأدب جمال الصدق والعزة في حسن البيان، إن هذه الدعوة إلى الحرية أعلى وأطهر وأنقى من دعوات فلسفة أوروبا كلها، وقد خرجت دعوتهم من أحضان الراقصات، وزوايا المخدرات وقصص الجنس الفاضح المدمر، فهذا بودلير الفرنسي يدفع شعره وفكره ومبادئه من بين أقدام الراقصات والمخدرات وغيبوبته بفتاته وزولا في قصته الأرض، حيث يعرض لنا واقعًا وقحًا.

ولا يقصر الأدب الاشتراكي في محاولته عرض جرائم الفراش وفضائح البيوت، وتظل الحرية تفلتا من كل شيء، ومن كل القيم!

وحري بنا أن نعلم أيضًا أن جوانب الانحراف ليست إلاَّ صورًا ضئيلة في حياة المجتمع، وأعتقد أن رسم هذه الصور على النحو المكشوف الصارخ فيه تجاوز للحق والصدق، وهو يعطي صورة توحي بغير الواقع نفسه، ولذلك فهي تنزع عن الكاتب أولى صفات الحرية وهي الأمانة والموضوعية والإخلاص.

ومن المعلوم أن كُتَّاب الجنس هم في

الأغلب منحرفون، وهم بكتاباتهم لا يمثلون المجتمع، إنما يمثلون الأهواء النفسية التي تتضارب في أعماقهم، وربما صحبها عدوان وانحراف يدفع إلى إثارة هذا الفن وإذاعته على أنه صورة واقعية للحياة.

البدع الفكرية

ويؤكد- الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة- د.أبو همام أن مذهب «الفن للفن» قد سقط في البيئات التي ظهر فيها، ولم يتحقق له الاستمرار أو البقاء، فقد كان الأدب له الغلبة دائمًا في هدفه وهو التسامي بالنفس الإنسانية ودفعها إلى الأمام، وإفساح الطريق أمامها للقوة والايجابية والكمال والسعادة، وقد واجه القارئ العربي هذا اللون الأدبي المكشوف بازدراء كبير، وهاجمه كثير من الكتاب والأدباء.

إنَّ حرية الفكر- كما يعلمها العقلاء- ليست مجرد شعارات ترفع، أو كلمات جوفاء يتشدق بها الناس، إنما لابد أن تكون واقعًا حيًّا ملموسًا، وسلوكًا عمليًّا يراه الناس ويمارسونه، وأن الحريات ليست مجرد نصوص في دساتير ومواثيق، إنما لابد أن تكون تطبيقًا مؤثرًا، ودافعًا قويًّا للإبداع والخلق.. أمَّا عن مزاعم دعاة التمرد أوْ دعاة الخروج وأدعياء الحرية فكل ذلك بمنزلة بدعة يتشبث بها الضائعون والتائهون، تارة يسمونها فلسفة، وتارة أخرى يسمونها موقفًا وتعبيرًا عن الذات، بل ويحاولون أن يضعوا لها القواعد والأصول، وقد تكون لهذه البدع الفكرية في الغرب ما يبررها، لكن في الشرق المستعبد الممزق التائه، يلتقطونها ويروجون لها، ويتخذونها دينًا جديدًا، فيسقطون في خطر داهم، وفناء محتم.. وهو الخراب الفكري والعقائدي.

الالتزام غير الإلزام

فيما يرى- الأستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر- د.عبده زايد أنه لابد أن

الحرية ليست نقيضًا للالتزام.. بل هي تمنح الأدب صدق البيان

نعلم أن الالتزام غير الإلزام، فالإسلام لمْ يلزم شاعرًا بأن يكون كذلك، ولم يحمله عليه ولم يكرهه، ولكنه دعا إلى ذلك وحث عليه، واستحسن واستقبح، ورضي وكره، وتركهم أحرارًا فيما يقولون، إلا أن يخوضوا في الأعراض ويستبيحوا الحرمات ويشيعوا الفواحش، ويهزءوا بالدين ويسخروا من الأنبياء، فحينذاك يكونون قد تجاوزا حدود المباح، وقد يلقون من اللوم والعقاب ما يكافئ خروجهم هذا، شأنهم شأن غيرهم من الناس، ولا يشفع لهم حينذاك إبداعهم ولا تجويدهم في فنهم، وإذا كان الإسلام لم يكره شاعرًا على أن يكون ملتزمًا بالحق أو بالخير فما ينبغي أن نصادر حق الإسلام في أن يقبل ويرفض ويستحسن ويستقبح، والإسلام دين ونظام حياة يعنيه أن يتحقق الانسجام بين كل مناحي النشاط الإنساني- ومنه الإبداع- فلا يلام إذا حث الشعراء على الالتزام ودعاهم إليه، واستهجن منهم ما لا يحقق هذا الانسجام، وليس في هذا مصادرة لحرية الشاعر والأديب كما يبدو وكما يشاع، فالإسلام لا يقول للشاعر: اكتب في موضوع كذا، وقل فيه كذا وكذا، ولا تكتب في موضوع كذا.

إن للمبدع مطلق الحرية في أن يتناول ما يشاء من الجزئيات في النفس والحياة والكون والطبيعة، ثم بعد ذلك قد يُستقبح كلامه وقد يستحسن، دون أن يكون هناك حساب أو عقاب.

نعم؛ إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن الحطيئة، وأن عمر بن عبدالعزيز نفى الأحوص من المدينة، وأن الرشيد سجن أبا نواس...، ولكن هذا لم يكن عقوبة على الشِّعْر، وإنما كان حماية لأعراض المسلمين وحرماتهم، وإذا لم يحم الخلفاء وولاة الأمور أعراض المسلمينَ وقيم الإسلام فمن الذي يحميها؟! المهم أن الالتزام الذي هو الالتزام الإسلامي، وأن الحرية التي نعنيها هي الحرية في المفهوم الإسلامي.

لا توجد حرية مطلقة

ترى الشاعرة والأديبة الإسلامية نوال مهنى أن حرية الإبداع ضرورة للمبدع حتى لا يقيد خياله أو تكبل أفكاره، ولكن ما مدى استخدام هذه الحرية؟ وهل هي مطلقة أم لها ضوابط؟

في تقديري أن حرية الإبداع عند هؤلاء الحداثيين ودعاة التحرر كلمة حق يراد بها باطل، ففي اعتقادي أنه لا يمكن أن توجد حرية مطلقة؛ لأنها بذلك ستصبح فوضى مطلقة، فكل مجتمع له قوانين وأعراف تحكمه، ولا يجوز تخطيها أو تجاوزها بحال من الأحوال.

وتضيف الشاعرة نوال مهنى أنه ينبغي على الأديب أو المبدع أن يعلم أنه صاحب قضية، وصاحب رسالة تجاه نفسه ومجتمعه، فلابد أن يكون قدوة لأمته بما وهبه الله من موهبة، وحباه من قدرة على التعبير والابتكار، لكي يقود مجتمعه إلى الأفضل والأقوم، لا أن يجرهم إلى مواطن الفساد وبؤر الرذيلة، أو يلقي بهم في التهلكة.

إننا لا نطلب من الكاتب أو الأديب أو المبدع أن يكتب لنا رغمًا عنه، ولا نطلب أن يكتب لنا في موضوعات بعينها، فإن له مطلق الحرية فيما يختار من أفكار ورؤى وموضوعات.. لكننا نريد منه أن يصلح ولا يفسد، أن يبني ولا يهدم، أن يرشد إلى الفضائل ويكف عن الرذائل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وإذا ما غضبوا هم يغفرون

محمد السعيد مصطفى

بكامل تأنقه الظاهري، مختالًا فخورًا، يجلس «عاصم عثمان» في بهو مسكنه أو على ناصيته متحسسًا شاربه الطويل المشذّب، يتفرس في ملامح العابرين والمارة هامزًا لامزًا، متسمعًا أخبار صهره اللدود الذي يساكنه نفس الشارع، عسى أن يعلم عنه ما يسيء فيفضح مثالبه ويكشف عوراته ومعايبه، هوايته التراشق بالسباب، وحرفته افتعال الاختلاف وبلا أسباب، ومعروف أن الهواية أشد غواية من الاحتراف.

كانت علاقته بصهره متوترة للغاية، يتلمس الأسباب للوقيعة بينه وبين جيرانه بشخصيته «السيكوباتية»، التي تختلط لديها الحدود بين الخطأ والصواب بشكل مرضي، تلهث نفسه حقدًا أسود، لقد لاحظ عليه عبدالقادر - الجار اللصيق لصهره- أمورًا استعصى عليه فهمها، واستشكل تفسيرها، إنه كالفراشة تحوم حول اللهب، ساعية وراء حتفها، حاول تجسير الفجوة بينه وبين صهره دون جدوى، إنه يفتعل المشاكل، مثل ذبابة تفسد عليك لذة طعامك لحظة الجوع، اشتهر بين معارفه أنه إن لم يجد أحدًا يناطحه ناطح هو نفسُه الأشباح التي تحوم حول رأسه، تجاهله عبدالقادر حتى استفزه إعراضه وصمته معتبرًا إياه تعاليًا وتكبرًا، ويشهد الله أنه منها براء، كلما فجر ألغام ظلمه عليه، يعزف له أنغام حلمه، مقابلًا السيئة بالحسنة، فهو ممن «هدوا إلى الطيب من القول»، يعرف كيف يستفرغ بلطفه ما تضطرب به النفوس، حيث نداوة العبارة وطيب الكلمة التي تظل بلسمًا يطبب جراح الأرواح، تعمقت معنى الخيرية في ذاته حتى أضحت ملكة فطرية في سلوكاته، فلكل كلمة يقولها حقلها الدلالي الرصين، فصار لمن حوله مشيرًا صالحًا ووزيرًا ناصحًا.

تنبت في كفه ورود الود، وتتفجر من قلبه ينابيع الحب، يجلّ الكل قدره ويحترمه.

من لم ينقذ نفساً استغاثت به فقد قتلها

وإذا كان الغرور هو المخدر الذي يخفف آلام المغفلين، فعاصم عثمان هو الأسبق لتعاطيه، فقد وصل معه إلى حد الغباء المطبق والعماء المطلق، وأضحت النميمة فتنة لا تقاومها حواسه، ذات لسان نهم يلتهم كل من يحادثه.

يسمع عبدالقادر وهو عائد من المسجد عاصمًا يصيح بأبنائه الذين يلعبون مع أبناء صهره، حيث شبت بين الأطفال تراشقات صبيانية عادية، اسكتوا يا أولاد عبدالقادر حتى لا تسببوا لأبيكم الضرب والسب والإهانة- يقصد من صهره! ينظر إليه عبدالقادر، وعلى وجهه ابتسامة هازئة، فمعدن الحليم يظهر عند الغضب.

يستزيد عاصم في إشعال الفتنة، يتجاهله عبدالقادر، فهو أعقل وأنبل من أن يكون طرفًا في خصومه، يوقن أن الفراغ لعبة الأحمق الجاهل، ولعنة المثقف العاقل، وليس لديه الوقت لمثل تلك الترهات، يتمتم متصبرًا «ولمن صبر وغفر..» تسمع زوجته إهانات عاصم، وبفطرتها السمحة تنحاز إلى الائتلاف وتمقت الاختلاف، فتخرج منادية على أولادها درءًا للشر، لكنها سمعت ما استثارها فتعاتبه: كيف تدافع عن أولاد أعدائك، وأنت اللدود المتعطش للشماتة؟! لقد أطمعك حلم زوجي أيها المنافق، زوجي ليس لديه وقت للرد على نباحك!

يهب «عاصم» متوقدًا بكلمات ترمي بالشرر: إن حذائي أحسن من زوجك! عبارة صادمة دوت في أذنه تكاد أن تعصف بحلمه، لولا أن اعتصم بالله فألهمه الصبر «وإذا ما غضبوا هم يغفرون»، ويجذب زوجته معاتبًا إياها على الرد، مناديا أبناءه، مسترضيًا أبناء جاره، مبادرًا «عصامًا» برد المؤمن الواثق: شكرًا أخي عصام ليته حسن الجوهر لا حسن المظهر «فلا تزكوا أنفسكم» أقصد أحذيتكم... آسف! ليس لدي من وقت أضيعه معك:

وإن كل كلب عوى ألقمته حجرًا
لأصبح الصخر مثقالًا بدينار

يستثير زوجته هدوء أعصابه، وهي المتصفة بالحمية، لا تتساهل بأي إخلال ولو غير مقصود، وتعاتب زوجها على حلمه المتزيد الذي شجع عاصمًا على التزيد في وقاحته!

يهدئ زوجها من ثورتها قائلًا بحماسة وروية:

- إذا لم يكن الحلم أسلوبًا للتعامل مع أمثال عاصم، فمع من يكون ؟!

- حلمك هو الذي أطمع فينا هذا الجبان

ناقد أدبي

الجاهل.

- «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، فالحقد نار يا رفيقة عمري، «والنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله»!

يربي «عاصم» ابنه على العنف الذي رضع لبانته حتى أضحى كالوشم محفورًا في كيانه، وجر عليه ويلات لا تطاق، بما اختمر في قلبه من بغضاء تجاه الحياة والأحياء، حيث كانت حياته مزيجًا عشوائيًا من الإخفاق والأسقام، مفعمة بكدر الغرائز ووضر الشهوات، فقد حكم عليه والده بالإعدام رميًا بالآلام.

لقد أعمته لذة انتصار مؤقت- وليته كان على نفسه الأمارة - ولكن وأسفاه! بتطليق زوجته إثر نزوة غضب عابرة، رغم حنوها وقلبها الرؤوم الدفاق الخفاق..ما أدى إلى معاناة ابنه، فقد كانت هديته له حرمانه من قدس أقداس الحنان، ما أصابه بالتوتر الذي هو سرطان الروح، والفشل الدراسي والاجتماعي.

وما كاد يشب عن الطوق حتى حاول استغلاله في أعمال لا تناسب قواه ولا مداركه، بيد أن السكين الذي زرعها بداخله قد أينع نصالها فبادله عقوقًا بعقوق، يختلف معه في أمر زيارة أحد أقاربه، فيمنعه مرددًا مثلًا مقيتًا «الأقارب كالعقارب» فيصر ابنه على موقفه، فينتفخ وجهه ويتجهم ويهجم عليه، يسبه بأقذع الألفاظ: «أصلك ابن حرام» .. يرد عليه ابنه بهجوم شديد الوطيس وبآلة حادة صائحًا: إذن أنت «ديوث» ويشوه وجهه ببعض الكدمات.

عقب هذه المشادة يخر والده مشلولًا فاقد الوعي، يعجز عن الحركة، إلا بضع خطوات بجانب مسكنه يتخللها سقوط متكرر، وأثناء عودة عبدالقادر بصحبة زوجته في ساعة متأخرة من الليل يفاجأ بمنظر عاصم ملقى على الأرض وعليه تصطرخ عوامل المسكنة والهوان، فيهب لحمله بمساعدة زوجته لإدخاله إلى مسكنه وقد انخلع حذاؤه فيبحث عنه ناظرًا إلى زوجته نظرة ذات مغزى، كم هو منظر مأساوي يفجر في الخطوات أنهار دموع، نظرة توحي أن دنيانا هذه يحكمها دقيق الميزان وقسطاس ملؤه الحكمة، لقد تمتم بكلمات تكاد تصل إلى حد الرموز والأحاجي، مستغفرًا الله في عقبها.

يذهب عبدالقادر الى الطبيب المختص، فيشخص الحالة بجلطة في الشق الأيسر مع إجهاد في الشق الأيمن، يقف إلى جانبه بمروءته المعهودة - ماديًا ومعنويًا إلا أن حالته كانت تشي باليأس من الشفاء، اللهم إلا مسكنات للآلام.. كثيرًا ما كان يستنجد به فيهب إلى نجدته، ما أثار مكامن الحيرة في خواطر زوجته:

- كيف تساعد هذا الذي آذانا وأساء إلينا؟

﴿... والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾.

ويردد في يقين... ﴿والله يحب المحسنين﴾.

يأتيه ابنه مستنجدًا في جوف الليل فيهب من نومه، وردًا على تململ زوجته واستيائها، يبادرها بعميق مودته: إنه من لم ينقذ نفسًا استغاثت به فقد قتلها:

فقاتل الجسم مأخوذ بفعلته

وقاتل النفس لا يدري به أحد

إنه حق الجار يا زوجتي العزيزة، ويهب إلى نجدته كعادته فيجده في النزع الأخير، يضمه في حنو إلى صدره، ويشاء الله أن يقضي نحبه بين يديه.

ثمرات المطابع

■ «كشكول ابن عقيل» كتاب صدر في مجلد فاخر حوى ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط، وهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب وهو من جمع وتأليف عبدالله عبدالعزيز بن عقيل ويجمع فوائد ونوادر وإحالات إلى كتب تجمع كثيرًا من الفوائد الفقهية واللغوية والشعرية.

■ «قراءة في دفتر قديم»: في حوالي ٣٦٦ صفحة من القطع المتوسط صدر كتاب «قراءة في دفتر قديم» للدكتور يعقوب يوسف الغنيم، وهذا الكتاب يتضمن تدوينا لجلسات ذات قيمة علمية وأدبية استمع خلالها المؤلف مع مجموعة من أصدقائه للعلامة الشيخ محمود محمد شاكر (يرحمه الله)، ووفاء من المؤلف لشيخه قام بجمع خلاصة هذه الجلسات لتستفيد منها الأجيال اللاحقة.

■ «أطايب الكلام» كتاب من تأليف حمد عيسى الكندري يضم بين طياته بعض آي الذكر الحكيم وأحاديث سيد المرسلين وآثار العلماء الصالحين والعلماء العاملين وسير وتراجم الحكماء والتابعين وأشعار الأقدمين والمحدثين وبيان الفصحاء وأهل الرأي الجميل والقول المبين، يقع الكتاب في حوالي (٢٨٠) صفحة من القطع المتوسط.

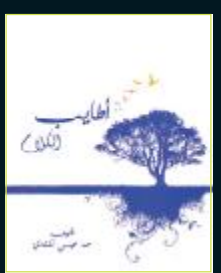

ماذا نقصد بالأدب القرآني الجديد؟!

محمود رداوي

نقصد به الأدب الشعري والنثري، وخاصة القصص التي تمر في القرآن وتسكن فيه، وتستروح بظلاله، وتستمد منه كل مقوماته الفنية والتعبيرية والموضوعية .. حيث إن الفن والإبداع، عبر التصوير الشعري وخلق شخوص القصص وأحداثها وتأزمها وصراعها، يقدمان خدمات دينية تفوق ما تقدمه أقلام المصلحين وألسنة الدعاة، لأن النفس البشرية تميل إلى الإيحاء أكثر من المباشرة.. والتعجب الفني- في الدين- أقرب للنفس من الإكراه.

يمكن للمبدعين أن يلبسوا الحقائق ومبادئ السماء ثوبًا جديدًا من الفن، وعندها تتخذ الكتابة في هذا الاتجاه، الدعوة إلى الذكاء والفن والتيسير لا التعقيد، والروح المحببة لا النفرة، والهدوء والانفتاح لا التشنج والتزمت.

إذن هو أدب يترك للمبدع الحرية والجولان في أجواء القرآن الكريم كي يستوحي ما يستوحي، ولا بأس إن جاء في عالم الرسول ﷺ وصحابته وغيرهم.. ولكن عبر مدرسة السماء الكبرى، شريطة أن يكون المبدع مؤمنًا متشربًا من القرآن الكريم، ناهلًا معانيه وقيمه وروحه، مدركًا سبب نزوله، فاهمًا أسراره، متأثرًا متجاوبًا بصوت الحق فيه، عندئذ سيكون مجال القرآن وايحاءاته كبيرة واسعة، وفي كل مرة من التلاوة أو القراءة يجد المبدع والقارئ أمورًا ومعاني ودلالات جديدة، وكلما أمعنا في التلاوة تكشفت لهما- المبدع والقارئ- آفاقًا رحبة من المشاعر والأفكار، وقد يقف المبدع عند الآية أو الآيتين كثيرًا يستمد منها مادة رائعة في الكتابة الأدبية، وما أكثر تلك الآيات التي ندعو

هو أدب يترك للمبدع الحرية والجولان في أجواء القرآن الكريم كي يستوحي ما يستوحي

المبدع كي يجول في عالم السماء وعالم الأرض، ليخرج منها عملًا جديدًا فذًا متميزًا.

فمعاني الآية وإيحاءاتها الدالة تلاحق المرء أو تواكبه أينما كان.. مع نفسه، أو أسرته، ومجتمعه، ووطنه، وأمته، ومع

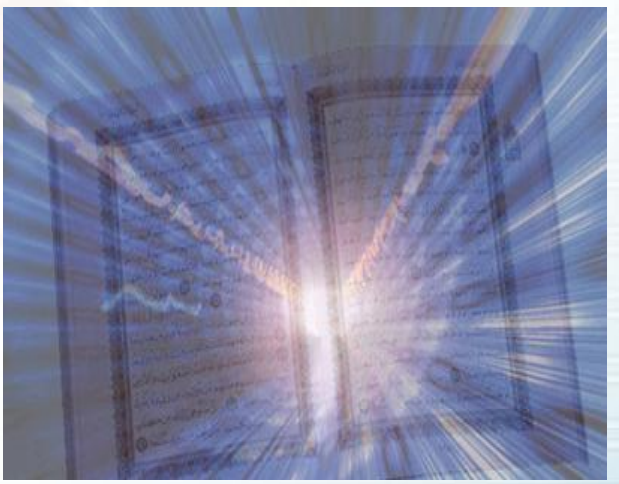

الأحباب والأعداء والأشرار، سواء أكانوا فردًا أو جماعة، قيادة أو دولة، ويجب ألا يفهم من هذه الدعوة أننا نحول مجالات الأدب القرآني الجديد إلى مجال علم التفسير، ولكن هذا لا يمنع أن يجول المبدع أيضا في تراثنا التفسيري القديم والحديث يستمد منه أجواء تسعفه في ارتياد آفاق عريضة لمعاني القرآن الكريم والحديث، يستمد منه أجواء تسعفه في ارتياد آفاق عريضة لمعاني القرآن الكريم التي ستكون له سند لمادته الأدبية، وهكذا سيكون الفن قد ساهم في نشر تعاليم الإسلام بالشكل الذي عجز فيه الدعاة عن توصيلها للسامع والقارئ المعاصر، وإن كان دعاة التعاليم المسيحية قد نجحوا في كثير من طرائقهم الدعائية والتبشيرية، ولكن ليس الطريق الدعائي المباشر الموجه، وإنما عن طريق تقديم خدمات نفسية وإنسانية واجتماعية وصحية وعلمية وغيرها، وبذلك كسبوا مبدعيهم الذين أصبحوا دعاة دين يرتدون ثوب الفن ويتقنعون بوجه الإبداع، وما أكبر التعاليم المسيحية في الآداب الغربية.

باحث لغوي

في ذكرى الإسراء والمعراج

عبد الغني أحمد ناجي

مِن بعد ضِيق النفس كالليل البَهيمْ
وتَلَبُّدَ الأجْـوَاء تكْسُوها الغُيومْ
يأتي انفراجُ الضيق دونَ حسَابه
والصُّبحُ يُسْفرُ لابسًا حُلَلَ النسيمْ
فمحمدٌ في عام حُـزْنٍ عَاصرٍ
قَلْبًا به ذِكْـرُ الإلَـه هو المقيمْ
فَقَدَ النصير بزوجه، وبعمه
فقد المدافع والمُسري والنديمْ
فتقوضَ الحصنُ الذي يأوي له
عند اشتداد الكُفر كالريح العقيمْ
فقَدَ الحنان بفقْده ينبوعه
فَقَدَ الحنانَ بفقده الأمَّ الرَّؤومْ
لكنّ ربّ العرش كانَ يُعدهُ
لرسالة عُظْمىَ على الدنيا تدومْ
هو رحمةٌ وهدايةٌ، هو خاتَمٌ
فهو الرؤوفُ بأمة، وهو الرَّحيم
ناداهُ ربُّ العرش وهْو حَبيبُه
في ليلة الإسراء في عطفٍ عَميمْ
ناداه يدْنو من قداسة عَرشه
ليُسريَ البلوَى عن القلب الكظيمْ
في ليلةٍ فرُضَتْ بها تلك الصلا
ةُ دعامة للدين من رب عظيمْ
فنجا الأُلى قد صدَّقُوا خَبرَ السما
ءِ بلا مراء، أو جدالٍ لا يقومْ

وتأصَّلتْ في ليلة تلك الأخوة
بيننا عَبْر الزمان المُستديمْ
فالأنبياءُ جميعُهمْ صَلّى بهمْ
رَمْزَ التَّوحُّد، والسَّلام المُستقيم
حتى الأماكنُ في قداسة شرْعنا
هي وَحْدةٌ كبْرى، وفي حِفظٍ حَميمْ
فالمسْجدُ الأقصَى له مثل العتي
قِ مَحبَّةٌ تَدْعو إلى حِفظٍ سليمْ
إنَّ الدعائم للسَّلام مضيئةٌ
في ذلك الإسراء ذي المغزَى العظيمْ
فلِقاءُ خير الأنبياء بإخوة
من أنبياء الله بَيْنهمُ الكليمْ
هذا اللقاءُ مُعبرٌ، وكأنَّهُ
من خَلْف أسْتار الزمان لنا يَرومْ
فيروم نَبْذَ عَداوة بينَ الورَى
حتى يَعُمَّ السِّلْمُ كالظلّ المُقيمْ
كيْ تُورقَ الأغصانُ أمْنًا يانعًا
يمتدُّ فوق الأرض يصحبُه النسيمْ
كيْ يعْمر الحُبُّ الوريفُ قلوبنا
فالحُبُّ في الدُّنيا سلام لا يريمْ
ندعو الإلهَ بعونه، وبنصْره
كشْفَ الغُيوم، وقشْعَ أسراب الهمومْ
صلى عليك اللهُ يا خيرَ الورَى
إنَّ الصلاة عليك مفتاحُ النَّعيمْ

شاعر مصري

الفصحى في مقدمة عوامل الوحدة.. وأهم مقومات الشخصية العربية

العلماء والأدباء الإسلاميون يرسمون مستقبل لغة القرآن

تحقيق أحمد محمد عبدالعظيم

أكد علماء اللغة وخبراؤها أن اللغة العربية واجهت- ومازالت تواجه- معارك شرسة مع اللغات الأجنبية الوافدة، إلى الحد الذي جعل الكلمات والمصطلحات الأجنبية تنتشر حتى على ألسنة العوام بشكل واسع! وأرجعوا ذلك إلى مخطط بعيد، بذل الغرب في سبيله كل ممكن، حتى بالوسائل العسكرية والاحتلال للبلاد العربية من أجل فرض لغته بالقوة، هذا ما يؤكده الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة د.عبدالحليم عبداللطيف (أبو همام)، مشيرًا إلى أن من أهم أهداف النفوذ الأجنبي في العالم العربي كان هو القضاء على مقومات الشخصية العربية للسيطرة على مقدرات البلاد، وكانت اللغة العربية في مقدمة عوامل الوحدة والتجمع والالتقاء بين العرب، ولذلك ركز غزوه الثقافي عليها في محاولة للقضاء عليها.. مؤكدًا في الوقت ذاته أن اللغة العربية محفوظة بإذن الله، فقد استطاعت أن تحتفظ بفصاحتها ووحدتها وكيانها رغم اختلاطها بلغات أخرى، بل إنها استطاعت أن تزيح هذه اللغات وأن تملي سيطرتها على ثقافات الأمم.

السياسة والثقافة تحملان اللغة

من جانبه، يرى نائب رئيس المجمع اللغوي بالقاهرة د.كمال بشر أن انتشار استعمال الألفاظ الأجنبية في بلادنا مرجعه إلى الضعف الذي وصلت إليه هويتنا، والتبعية التي نعيش في ظلها، مشددًا على أن نشر اللغة العربية في العالم سيتم وحده إذا كان لنا ثقل ووزن سياسي واقتصادي وثقافي، وحينئذ تنشر العربية «أوتوماتيكيا»، لأن السياسة والثقافة تحملان اللغة على يديهما، فأينما ذهبتا أخذتا اللغة على يديهما، وهكذا كان انتشار اللغة الإنجليزية والفرنسية، فإذا أصبحنا أقوياء سياسيًا واقتصاديًا فسوف يحس العالم بالحاجة إلى الاتصال بنا، وسوف يكون ذلك من خلال اللغة، وبذلك يتعلمون العربية ليكونوا قادرين على التفاهم معنا، وعلى ذلك تكون مسؤولية نشر اللغة العربية في العالم مسؤولية رجال السياسة والاقتصاد والمثقفين بشكل عام.

نشر العربية في العالم سيتم عندما يصبح لنا ثقل سياسي واقتصادي

لابد من المواجهة الحازمة

هذا، ويرى عميد كلية اللغة العربية السابق بالجامعة الأزهرية د.طه أبوكريشة أن اللغات الأجنبية في العقود الأخيرة من هذا القرن زاحمت لغتنا العربية بقوة، ولا سبيل في الخلاص لإنقاذ شخصيتنا وهويتنا العربية إلا بالتكاتف واستخدام كل الوسائل لمساندة لغتنا والحفاظ عليها، بحيث لا تطغى الأسماء الأجنبية والمصطلحات الغربية، وإنما يكون للفصحى المقام الأول في كل ما تقع عليه العين، أو تلتقطه الأذن، من أسماء وعناوين ولافتات.. وحسبنا أن نتذكر ما فرضته فرنسا- مؤخرًا- من وجوب قصر الاستعمال اللغوي المحرر من الفرنسيين على الفرنسية، وفرض غرامة مالية على من يترخص في ذلك ويستخدم ألفاظًا من لغة أجنبية.

د. طه أبو كريشة

ويضيف د.أبوكريشة أنه لا يمكن رد الاعتبار إلى لغتنا القومية إلا بالمواجهة الحازمة لتلك الموجة الساخرة التي تتهكم على العربية، وتسيء إليها بالسخرية من المتحدثين بها، والعاملين في ميدانها، فكثيرًا ما نجد مظاهر مؤسفة من هذه الموجة الكريهة فيما تقدمه بعض الأفلام

والمسرحيات والمسلسلات، فبمواجهة هذه الموجة الساخرة نوفر للغتنا ما تستحقه من توقير، باعتبارها أهم مقوم من مقومات قوميتنا، وأبرز معلم من معالم شخصيتنا، إننا لا نعرف في أي بلد متحضر سخرية من لغته القومية، أو تهكمًا ممن يعملون على تعليمها، أو يهتمون بأمرها، وإنما ذلك فقط في بلادنا كبقية من رواسب الاستعمار الذي سدد سهامه إلى مقوماتنا الأساسية.

سمات المجتمع المغرّب!

أمَّا الأديب الإسلامي د.صابر عبدالدايم فيؤكد أن بكثرة استخدام الكلمات والمصطلحات الأجنبية مكان العربية يكون الغرب قد نجح بامتياز

صابر عبالدايم

في صناعة عمالة ثقافية تخدم أطماعه وتحقق أهدافه، فيما فشل في تحقيقه عن طريق الحروب والمواجهات العسكرية عبر مئات السنين، وذلك بفضل «الطابور الخامس» الذي صار ولاؤه للغرب أكثر من ولائه لوطنه ومجتمعه، والذي لم يألُ جهدًا في تعليمه أملًا في الإصلاح والنهضة!

فواقعنا يعكس صورًا ومشاهد حية عن «المجتمع المغرب» في ميادين الفكر والثقافة والأدب، فمثلًا نراهم يطالبون بإزاحة اللغة العربية من الوجود طلبًا للنهضة التي ينشدونها، وهناك من يدعو إلى التخلص من تراثنا لتحقيق الحداثة والتنوير، وهناك من يتجرأ على

لابد من المواجهة الحازمة للموجة التي تتهكم من لغة الضاد

المقدسات من أجل تحقيق عالمية الأدب، وغير ذلك من الوقائع المخزية والمشاهد الفاضحة التي يمارسها عبيد الحضارة الغربية!

الحرب على لغة القرآن

ومن جانبه يتساءل د.ياسر محمد غريب قائلًا: هل إعلان الحرب على لغة القرآن، والسخرية منها وعزلها، بل ومحاولة التخلص منها ومن كل ما يتعلق بها.. هل يعتبر هذا من فنون «الحداثة» ووسائل «التنوير» التي يتغنّى بها القوم ويدعون الناس إلى اعتناقها؟! ولماذا لم يتوقف الهجوم على اللغة العربية يومًا واحدًا منذ أن وطئ الاحتلال الأجنبي الوطن العربي، وحتى بعد رحيله؟

ويضيف د.ياسر غريب: إن أوروبا ودول الغرب بصفة عامة أدركت منذ الحروب الصليبية قوة الإسلام حضارة وتاريخًا وفكرًا وثقافة، وأيقنوا أن المسلمين إذا أحسنوا صلتهم بلغة قرآنهم ودينهم الإسلامي فلن تكون في

د. كمال بشر

الأرض قوة تضارع قوتهم، وذلك لما حوته الحضارة والثقافة الإسلامية من القوى الروحية والمعنوية الربانية.

مسلسل محاربة العربية

ومن هنا قرر الغرب الصليبي القضاء على الإسلام كلية إن أمكن، وعزل الإسلام عن المسلمين إذا لم يمكن القضاء عليه، واستخدم الغرب وسائل متعددة لتحقيق هذا الهدف خلال قرنين من الزمان أهمها: محاربة اللغة العربية وإحلال اللغات الأجنبية مكانها، والتمرد على الأصالة والتراث بما أسموه بالحداثة وغيرها، واختراق الوسط الثقافي والفني وهدم القيم الصحيحة، وتجنيد تلامذة

د. عبده زايد

ومريدين لهم من أبناء جلدتنا لمحاربتنا من الداخل عبر وسائل الإعلام والقنوات الثقافية التي يعملون من خلالها.

هذا، ويرى د.عبده زايد أنه لم تكن الحرب على لغتنا الفصحى من حيث هي لغة عربية، وإنما لأنها لغة تقوم بدور التوحيد الآن، توحيد اللسان والفكر والثقافة كما قامت بدور التوحيد في الماضي، وهم لا يريدون لهذه الأمة أن تتوحد، ولأنها أيضًا لغة تستوعب تراث الحضارة الإسلامية، وبقاء هذه اللغة يصل هذه الأمة بماضيها، وهم لا يريدون لهذه الأمة أن تتواصل، ولا يريدون لهذا التراث أن يبقى حيًا وفاعلًا ومؤثرًا.

تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك..

على منهج العدل والإنصاف في شرح مسائل الخلاف»
تأليف الشيخ أبي الحجاج يوسف بن دوناس بن عيسى الفِنْدَلاوي

التحرير

الفن: الفقه المقارن.
سنة النشر: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
رقم الطبعة: الأولى
عدد المجلدات: (٥ مجلدات)
تحقيق: د.أحمد بن محمد البوشيخي. في ٥ أجزاء.
إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

التعريف بالمصنِّف:

هو أبوالحجاج يوسف بن دوناس، بن عيسى الفِنْدَلاوي المغربي المالكي، الجامع بين العلوم النقلية والعقلية، المتمسك بمذهب أهل السنة والجماعة، المجاهد، المتوفى شهيدًا بالشام سنة (تـ٥٤٣هـ)، يرجع نسبه إلى فِنْدَلاوة، قبيلة بربرية كانت توجد بين صفرو وقرية رباط الخير. أهرمومو. على نحو ٦٠ كلم من مدينة فاس، ارتحل إلى الحج في أوائل العشر الثانية من القرن السادس الهجري وطلب العلم هناك، وأثناء عودته اختار المقام بالشام ولقي بها عناية وتكريمًا، واختير شيخا للمالكية بدمشق، وتبوأ منصب تدريس المذهب بالزاوية المالكية بالجامع الأموي، وبالمدرسة الصلاحية، وحدّث هناك بالموطأ، والتلخيص للقابسي، وعقدَ مجالس الذكر، والوعظ، والدعوة إلى الله في بيته وخارجه، وقد كان يحضر مجالس تدريسه أكابر العلماء، أمثال الحافظ أبوالقاسم بن عساكر، ومفتي الشام أبوالحسن علي بن مسلم الشافعي، وغيرهما، وكان في دروسه- كما قال اليافعي- حَسنَ المفاكهة، لذيذ المجالسة، حُلو المحاضرة، طويل المناظرة، شديد التعصب لأهل السنة، كريمَ النفس، مُطّرحًا للتكلف، قوي القلب.

أهمية الكتاب:

تميزت حركة التأليف في التراث الفقهي الإسلامي خلال مراحلها الأولى بالتنوع والثراء الناتجين عن الإبداع المطلق المتحرّر، وقد احتلّ التأليف في الخلاف الفقهي مرتبة عليا من بين الأصناف التي اشتهرت آنذاك، ويُعدّ كتاب «تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك» من أهم الكتب المؤلّفة في نصرة مذهب إمام أهل المدينة، وإيراد الخلاف في المسائل الفقهية بطريقة تسلك بالمخالفين منهج التوافق والإنصاف.

أهمية متن الكتاب

أولا: نص في الفقه الذي لا تقوم الأمة الإسلامية حق القيام إلا به، ولا تتأسس حضارتها، وعمرانها إلا عليه وفي ظله، ولا يصح لأي فرد منها أن يقدم على تصرف حتى يعلم حكم الله فيه منه، لأنه وحده القانون المنظم لحياة المسلم وتصرفاته، والمتكفل الأجدر بإيجاد التشريع المناسب، والحل الملائم، لكل ما يستجد من تطورات وأحداث في حياته.

ثانيا: نص في الخلاف العالي الذي لا تتقرر الأحكام فيه في الغالب مجردة عن أدلتها، ولا مفصولة عن عللها، ولا منظورًا إليها من زاوية نظر واحدة، وإنما تتقرر في سياق الأدلة، ومقاصد التشريع، ومن خلال أنظار، ومناهج تشريعية، يمنح تنوعها وتعددها من القدرة على الفهم السليم، والاستنباط الصحيح، ما يجعل الناظر فيها أقرب إلى ولوج باب الاجتهاد.

ثالثًا: نص يتناول بالتحليل الفقهي المقارن ٣٤٧ مسألة خلافية في أحكام العبادات والمعاملات، التي الناس في أمس الحاجة إلى معرفتها اليوم.

رابعا: نص ينصر المذهب المالكي بالأدلة والاستدلال، فليس فيه منتهى الحجة أن يقال هذا الذي استظهره، أو شهره، أو نصه فلان، وإنما ما ثبت وصح من ذلك بالحجة والبرهان، ومعلوم أن العلم عند أهله، هو معرفة الحق بدليله، وكل ما لم يثبت بدليل، فليس من العلم بسبيل.

خامسا: نص يشتمل على مئات القواعد الفقهية والأصولية التي قد يعز وجودها في أمهات الكتب غيره، ولا غرابة في هذا، فإن للشريعة كما قال الإمام القرافي: «قواعد كثيرة جدًّا عند أئمة الفتوى، والفقهاء، لا توجد في كتب أصول الفقه أصلًا» (الفروق: ١١٠/٢) ومعلوم أنه بمعرفة هذه القواعد، يعرف قدر الفقيه ويشرف، ويظهر رونق الفقه ويعرف وتتضح مناهج الفتوى وتكشف.

سادسًا: نص مالكي تراثي قديم نادر فذ، لا يعرف من نسخه إلا نسخة واحدة محفوظة في الخزانة الحمزية بناحية الرشيدية، جنوب المغرب، ولا يعرف لمالكية المغرب غيره في موضوعه ومنهجه ومستواه فيما انتهى إلى علمه،

والله وأعلم.

سبب تأليف الكتاب: يعود سبب تأليف الإمام الفندلاوي- رحمه الله- لكتابه: لما رأى من تطاول بعض مَن لا أهلية لهم على المناظَرة في زمانه، وانحرافهم بها عن هدفها إلى التعصب والعناد، والحرص على مغالبة المخالف، وميل مصنفات الخلاف إلى التطويل المُمِلّ الذي ينسي أوله آخره، فرغب- رحمه الله- في وضع كتاب موجز، يعول في بابه عليه، ويُرجع عند الملمّات إليه.

منهج الفندلاوي في كتابه

سلك الإمام في كتابه منهجًا متفردًا في العرض والتحليل، ومناقشة مسائل الخلاف، مع جودة الطرح، وبراعة الاستدلال والنقاش، وهو في كلّ ذلك يناقش مسائل فروع الفقه الاجتهادية المختلف فيها بين الإمام مالك، وفقهاء الأمصار عامة، وبين الإمامين أبي حنيفة، والشافعي خاصة، وجعل ترتيب الكتاب على ٣٤٧ مسألة خلافية، مندرجة تحت ٥٥ كتابًا في فقه العبادات والمعاملات، يندرج تحت كل كتاب مسائل خلافية بين المذاهب المذكورة، وتتفرّع بعض هذه الكتب إلى أبواب، وأحيانا إلى فصول، وقد يطول تحليل بعض المسائل فيستغرق صفحات، وقد يقصر حتى يكون صفحة أو بعض صفحة أو أقل، وقد استعمل المؤلف- رحمه الله- في الاستدلال للمسائل المذكورة آيات قرآنية، وأحاديث وآثارًا نبوية، وقواعد فقهية، وأصولية، ولغوية، كما أورد في تحليلها انتصارًا لمذهبه، أو ردًا على مخالفه، أقوال الصحابة، والتابعين، وفقهاء الأمصار، وأئمة الحديث واللغة، في أقدم القرون والأعصار.

ولم يصرح المؤلف بمصادره في جل الكتاب، إلا أنّ نقوله تنبئ عن تبحّر كبير لا نظير له؛ فاستدلالاته الواسعة بالأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين تبرز إحاطته بكتب السنة، كما نجده يصرح بأسماء مجموعة كبيرة من المصنفين من مختلف المذاهب كابن حبيب، والقاضي إسماعيل، وسحنون، وابنه محمد، وابن جرير الطبري، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر الأبهري، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم من فقهاء الأمصار، ونجده يورد من أقوال أئمة اللغة أقوال أبي زكريا الفراء، وأبي العباس ثعلب، وأبي إسحاق الزجاج، وسيبويه، وابن قتيبة، وغيرهم كثير، وقد استطاع الفندلاوي- رحمه الله- توظيف هذه الثروة المعرفية الهائلة، بحنكة متجاوزة النظير.

أهمية منهج تأليفه: تتجلى هذه الأهمية في:

أ- دقة وصرامة تنظيمه في عرض المسائل، وسوق الأدلة، ومحاجة المخالفين، بحيث يسلك مؤلفه في ذلك كله منهجًا محددًا واضحًا مطردًا، لا يكاد يحيد عنه من أول الكتاب إلى آخره.

ب- إنصاف المخالفين بعرض أقوالهم، وأدلتهم، كما هي مقررة عندهم كاملة واضحة مفصلة، مع بيان الاستدلال بها، ومحل الشاهد منها، والإقرار بصحتها إن لزم الأمر، ومناقشتهم مناقشة علمية نزيهة، لا تكاد تحس فيها أثر تعصب أو حب غلاب.

ج- ربطه أحكام المسائل بأدلتها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من الأدلة المعتبرة.

د- اختصاره في القول مع الوفاء بالمراد، فلا يطيل إطالة القاضي ابن القصار في: «عيون الأدلة»، ولا يوجز إيجاز القاضي عبدالوهاب في: «الإشراف»، وإنما هو وسط بين ذلك، مع اشتماله على خير ما هنالك.

هـ - يسر عبارته، ودقة تعبيره، ووضوح استدلالاته، واعتراضاته، ونقوضه في الغالب الأعم.

وفي الختام: إنّ من تعرّض لهذا الصنف من التأليف قليل جدًا، والسبب في ذلك حاجة المؤلف فيه إلى التضلع في مختلف العلوم والمعارف مما لا نجده إلا عند المتقدمين، وممن انبرى لمثل ذلك الإمام الجليل ابن أبي زيد القيرواني (تـ٣٨٦هـ) في كتاب «الذّبّ عن مذهب مالك»، والإمام ابن الفخار القرطبي (تـ٤١٦هـ) في كتاب «الانتصار لمذهب أهل المدينة»، وما ضمّنه بعض الفقهاء في مصنفاتهم الواسعة، كابن عبدالبر، وابن رشد، وغيرهما.

وقد حظي الكتاب بعناية خاصة من محققه الدكتور أحمد بن محمد البوشيخي، الذي امتد عمله فيه طيلة مرحلة الماجستير والدكتوراه على نسخة خطية وحيدة تحتفظ بها مكتبة الزاوية الحمزية بناحية الرشيدية، ثم صدر ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب في خمسة أجزاء، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ثم أعيد طبعه أخيرًا عن دار الغرب الإسلامي.

لا يزال الاستشراق أحد الملفات الساخنة التي تطرح نفسها على الواقع الإسلامي وتؤثر فيه، بالرغم من أنه كمنهج علمي ورافد معرفي حمل كثيرًا من الشبهات والافتراءات التي نسبها المستشرقون للإسلام والمسلمين منذ أن بدأت علاقتهم بالعالم العربي الإسلامي، وعلى الرغم من التطور التاريخي للاستشراق والعلاقة بين الشرق والغرب ودور المستشرقين كطلائع للاستعمار منذ نشأة الوعي الغربي بالإسلام والعالم الإسلامي، فقد استمرت قضية الاستشراق كواقع علمي ومعرفي ضمن القضايا المركزية للعلاقة الملتبسة بين الشرق والغرب، وهي العلاقة التي تحولت إلى صراع مسلح منذ بدايات الحملات الصليبية على الشرق، وحتى طلائع الاستعمار الأوروبي الحديث للبلاد الإسلامية.

«الاستغراب».. المعادل الموضوعي للاستشراق (٤/٣)

القاهرة - دار الإعلام العربية

بالرغم من الدائرة الواسعة من أسماء العلماء والتخصصات المرتبطة بالاستشراق، وتطور ما يمكن وصفه بـ«حالة الاستشراق» منذ بدايته وارتباطه بالكنيسة والاستعمار، فإن ذلك لم يمنع من أن تضم هذه الحلقة أسماء لبعض العلماء المنصفين الذين قدموا إنتاجًا معرفيًّا أنصف العرب والمسلمين، وهؤلاء نسبتهم ضئيلة مقارنة بالكم الهائل من المستشرقين الذين تعمدوا الإساءة للإسلام والعروبة وإلصاق التهم الباطلة بهما.

استهداف العقيدة والفكر

وبين اتفاق واختلاف حول طبيعة ودوافع الحركة الاستشراقية التي يصفها البعض بأنها لا تقل ضراوة عن الحملات العسكرية؛ لأنها تستهدف ما هو أخطر من الأرض، حيث تستهدف العقيدة والفكر، فإن هناك اتفاقا بين كثير من المفكرين الإسلاميين على أن الحركة المعرفية والعلمية الاستشراقية كان لها بعض الجهود في الجانب المعرفي عجز الجهد الفكري والعلمي العربي حتى الآن عن مواجهتها، وذلك على ما اختلط بتلك الجهود الاستشراقية في معظم الأحوال من شبهات وتهم

باطلة، حاول رواد هذه الحركة إلصاقها بالدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية بالدرجة الأولى، فضلًا عن الثقافة واللغة العربية، بل إن العرب المسلمين لم يستطيعوا حتى الآن الاستفادة بالشكل المطلوب مما يمكن اعتباره نتاجًا فكريًّا محايدًا لحركة الاستشراق، والبقاء على هذا الإنتاج بما يخدم قضية المعرفة في العالم العربي والإسلامي، ويصب في النهاية لصالح هدف عبور الفجوة التي تفصل بين العالمين حضاريًّا ومعرفيًّا، خاصة أن الفترة الأخيرة شهدت إعادة فكرة الصراع بين العالمين الإسلامي والغربي في صورة مزعومة عن صراع الحضارات، وهو الصراع الذي اتخذه بعض المهووسين بالحرب ذريعة لإعادة إنتاج العلاقات الاستعمارية السابقة نفسها تحت شعارات مثل نشر الديموقراطية أو محاربة الإرهاب.

الاستغراب حركة مضادة

وفي كل هذه المقاربات فإن كثيرًا من الأصوات المخلصة التي تنشد للإسلام أن يستعيد مجده مرة أخرى كثقافة قادرة على المراجعة والصمود، أفادت بضرورة أن يواجه العرب والمسلمون حركة الاستشراق الشرس والتي لا تتراجع ضراوتها بحركة مضادة لها تستهدف وضع الغرب بثقافته ونتاجه الحضاري والمعرفي تحت مجهر الفحص من خلال علم يؤسس لدراسة الغرب، ويستهدف هذا العلم إعادة الاعتبار للأدوات والمناهج التحتية المشددة من الثقافة العربية والإسلامية في مواجهة الأدوات الغربية، وعلى فرضية أنه إذا كان الهدف الأساسي من الهجمة الاستشراقية على العالم العربي والإسلامي منذ العصور الوسطى أو حتى قبلها هو التوسع والهيمنة والسيطرة، وذلك على خلفية العداء المزعوم والصراع الحضاري الذي يروج له البعض.. فإن هدف علم

«الاستغراب» كما أطلق عليه كثير من المعنيين بمواجهة الاستشراق، سيكون إعادة اكتشاف الغرب ووضع الإطار العلمي الصحيح لدراسة بداية ونهايات الوعي العربي من الأوروبي، وهو وعي يرتكز على ثقافة مسيحية ويهودية بالأساس، بهدف إعادة التوازن إلى العلاقات الحضارية بين الشعوب، بما يحقق تكامل الحضارة الإنسانية بصفة عامة، وتأسيس حوار حضاري يستهدف التعاون لا الصراع، والبناء لا الهدم.

السيطرة على الوعي الأوروبي

وفي محاولة منه لتقديم إنجاز فكري ومعرفي يواجه به ما أفرزته قرون من الجهد الاستشراقي المنظم والمكثف، حاول أحد أساتذة الفلسفة بالجامعات المصرية، وضع ما يسمى بأسس علم الاستغراب.. معترفًا بأنه لم يستطع إنجاز ما يمكن تعريفه بعلم «الاستغراب» بالكامل، لكنه على الأقل حاول أن يؤسس له وأن يضع يده على مصادر الوعي الأوروبي، وكان الهدف من تأسيس علم «الاستغراب» كمقابل موضوعي لعلم الاستشراق هو القضاء على المركزية الأوروبية، وإسقاط الفكرة السائدة بأن الغرب هو مصدر المعرفة والإطار المرجعي الذي تحال إليه كل القضايا المعرفية وأن كل ما يأتي من الغرب قابل للفهم، وتصحيح مثل هذه

الاستشراق لا يقل ضراوة عن الحملات العسكرية لأنه يستهدف العقيدة والفكر

المفاهيم المستقرة، وإعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادية وعدلا، ليوضح في هذا التاريخ الجديد الذي ينشد إعادة كتابته وإعادة التوازن للثقافة الإنسانية، وإعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادية وعدلاً، وإنهاء الأسطورة التي تعتبر الغرب ممثلًا للإنسانية، وأن أوروبا هي مركز الثقل في المعرفة والحضارة البشرية.

و إذا تم تأسيس علم «الاستغراب» وقدم فيه الباحثون إسهامات حقيقية على هوة أجيال فإن هذا العلم سيسهم في السيطرة على الوعي الأوروبي، ودراسة هذا الوعي على أنه تاريخ وليس خارجًا عليه، ورد الغرب إلى حدوده الطبيعية، وإنهاء الغزو الثقافي، والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، واكتشاف خصوصيات الشعوب، وإفساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب غير الأوروبية، واكتشاف الدوائر الحضارية غير الأوروبية.. وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى القضاء على داء العنصرية الدفين الذي يُكوّن الوعي الأوروبي، ومن ثم إسقاط جميع أشكال العدوان على الشعوب غير الأوروبية، بما فيها العدوان الإسرائيلي على الشعوب العربية.

جوانب أخرى

بدوره، يؤكد الباحث محمد عبدالله الأمين، الذي يعد من أكثر الباحثين الذين تناولوا الاستشراق وعلاقته بالسيرة النبوية المطهرة، أن الاستشراق

منذ نشأته يهدف إلى خدمة الكنيسة، ثم بعد ذلك تحول إلى خدمة الاستعمار والتوسع الأوروبي.

إلا أن د.محمد جلاء إدريس، أستاذ الدراسات العبرية بجامعة طنطا، يرد بأن الاستشراق بالرغم من أنه حاول إثارة العديد من الشبهات حول الدين الإسلامي، إلا أن له جوانب إيجابية؛ لأنه أفاد المسلمين في بعض الجوانب، مشيرًا إلى أن «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» على سبيل المثال هو عمل استشراقي أفاد الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى إسهامات أخرى طوال مئات السنين، حيث سبق المستشرقون المسلمين بمئات السنين في تقديم نتاج فكري ومعرفي كان الغرض منه في أغلب الأحيان محاربة الإسلام وإثارة الشبهات من حوله، بينما عجز المسلمون عن مجاراة الجهد الفكري والعلمي الذي بذله المستشرقون طوال هذه السنين، لدرجة أن الكيان الصهيوني أصدر معجمًا لألفاظ اللغة العربية ليستخدمه في حرب الإسلام والمسلمين والعالم العربي ولكي يدرس التاريخ العربي، ويتعرف أكثر إلى اللغة العربية والإسلام ليحاربهما بلغتهما، بينما لم يُقدِم العرب والمسلمون على إصدار مثل هذا المعجم.

الهدي النبوي في التنمية

مولاي المصطفى

في الوقت الذي تعالت فيه الأصوات للرفع من قاطرة التنمية في البلدان المتخلفة، سعت المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة إلى إصدار جملة من المؤشرات في أفق الدفع بهذه البلدان إلى بر الأمان- على حد زعمها- لكن هذه المعايير جملة وتفصيلا يعتريها ثغرات وعيوب جمة، وتفتقد إلى المصداقية، كما تفتقد إلى أسس متينة في بعدها الروحي، موغلة في المادية الفانية والمتزحزحة.

ونظرا لما تعيشه بعض بلدان العالم الإسلامي من خلل كبير في اقتصادها وأمنها الاجتماعي والثقافي والصحي والتعليمي، فقد أحببت أن أتقدم بهذه الورقة، لعلها تفيد في إعادة الأمور إلى نصابها، وتفيق الغافلين من غفوتهم ونزواتهم الشهوانية الطاغية!

قبل الدخول في تفاصيل عرض هذا المؤشر النبوي، يكون من الأولى الوقوف عند المحطات التاريخية لهذه المؤشرات.

أ-مقياس مستوى المعيشة: اقترحه درفنوفسكي سنة ١٩٦٦ في دراسة قام بها لصالح معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية، ويرى أن المستوى المعيشي تحكمه معطيات عدة، كما أن الرفاهية و التقدم لا يستندان إلى معط واحد.

ب- مقياس المؤشر المركب للتنمية: مؤشر أصدرته منظمة الأمم المتحدة للتغذية و الزراعة سنة ١٩٧٥، وهو مؤشر يقوم على تصحيح الوضعيات تبعًا لسلم المؤشرات المتعددة.

ج- مقياس المستوى المادي للحياة: اعتمده مجلس التنمية الخارجي الأميركي سنة ١٩٧٧، وهو معدل لثلاثة مؤشرات غير كمية: نسبة غير الأميين، معدل الوفيات، معدل أمل الحياة.

د- مؤشر التنمية البشرية: مؤشر اعتمده برنامج الأمم المتحدة للتنمية سنة ١٩٩٠، ويمزج بين ثلاثة مستويات: مستوى الصحة، ومستوى التعليم، ومستوى الدخل الفردي، و يهدف إلى:

- تصنيف الدول و ترتيبها عالميًا حسب عنايتها بالإنسان.

- تحديد مكامن الضعف الحقيقية قصد التنبيه إلى خطورتها ووضع الفقر البشري ضمن الأولويات، ويضم المؤشر العام بين ٠,٨و١. مرتفع/ بين ٠,٥و٠,٧٩٩ . متوسط/ أقل من ٠,٥ منخفض.

للإسلام نظرته الشمولية للأمن لاستيعابه كل شيء مادي ومعنوي وهو حق للجميع أفرادا وجماعات

على ضوء هذه المؤشرات الاقتصادية يتبين أنها تغيب الجانب الروحي وتركز فقط على الماديات، مما يجعل أغلب هذه المؤشرات تبوء مشاريعها بالفشل، أضف إلى ذلك أنها تغلب الجانب «البراجماتي» على الجانب الإنساني، ليصبح العالم المتلف ماديًا كبش فداء لأغلب استراتيجياتهم الفاشلة!

المؤشرات النبوية للتنمية

لقد سطر حبيبنا المصطفى ﷺ وحيا من ربه أروع المؤشرات والمعايير لتحقيق تنمية متكاملة من خلال حديث نبوي شريف جامع ومانع: «من أصبح آمنًا في سِرْبه، مُعافى في جسده، عنده قوتُ يومه فكأنَما حيزتْ له الدُّنيا بحذَافِيرها»، إذ يشمل ما يلي:

١ - نعمة الأمن: وهو لغة: مصدره أمن، الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنت فأنا أمن، وأمنت غيري من الأمن والأمان ضد الخوف.

واصطلاحًا: هو اطمئنان النفس وزوال الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿وآمنهم من خوف﴾ (قريش: ٤)، ومنه الإيمان والأمانة، وضده الخوف، ووقع من أسمائه الحسنى المؤمن في قوله تعالى ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ (الحشر: ٢٢)، ومعناه أنه هو المعطي الأمان لعباده المؤمنين حين يؤمنهم من العذاب في الدنيا والآخرة، وينقسم الأمن إلى قسمين: أمن في الدنيا، وهو يتحقق على الصعيد الفردي والاجتماعي بمختلف الأشكال الحياتية.. سياسيا، عسكريا، اقتصاديا، تعليميا، اجتماعيا.

وأمن في الآخرة، وهو الاطمئنان بالنجاة من عذاب الله في جهنم، وهو خاص بالمؤمنين الذين عملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام: ٨٢).

كاتب مغربي

إن مفهوم الأمن أوسع مما نتصور، إذ يشمل الأمن العقدي من كل تشويه وتحريف، والأمن الفكري من خلال الحفظ على الهوية الإسلامية التي تحاول التيارات التغريبية الحداثية هدمها، والأمن الاجتماعي من خلال ما حث عليه حبيبنا ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»، والأمن الصحي والأمن في الغذاء والتعليم والتربية.

وخلاصة القول، للإسلام نظرته الشمولية للأمن لاستيعابه كل شيء مادي ومعنوي، كما أنه حق للجميع أفرادا وجماعات، مسلمين وغير مسلمين، ومفهوم الأمن في القرآن الكريم شمولي باحتوائه على مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة، حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض، بل حذرت الشريعة الإسلامية من خطورة الحرمان من الأمن المعنوي الذي يظهر في صورة انعدام الأمن والخوف.

ولله در عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إذ قال لأحد عماله الذي كتب إليه: «إن مدينتنا قد تهدمت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا نرممها به فعل»، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: «إذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه عمارتها».

٢-الأمن الغذائي: عرف البنك الدولي الأمن الغذائي كما يلي: قدرة كل الناس في كل الأوقات على الحصول على الطعام الكافي، والذي يضمن لهم حياة صحية نشطة، لكن ما يعاب على هذا التعريف أنه لم يذكر مصدر الحصول

قدرة الأمة على إنتاج طعامها من خيراتها يحول بينها وبين الابتزاز

على هذا الطعام، إذ يلاحظ أنه قد يأتي من مصادر خارجية- في الغالب- دون التفكير في موارد ذاتية، مما يجعلها عرضة للإملاءات والضغوطات الخارجية.

وفي هذا المضمار يتم التمييز بين:

الأمن الغذائي المطلق: قدرة الدولة على إنتاج الغذاء داخل أرضها بما يعادل أو يفوق حاجتها المحلية أو الطلب الداخلي فيها.

والأمن الغذائي النسبي: فقد عرفوه بأنه قدرة الدولة على توفير السلع والمواد الغذائية كليا أو جزئيا لشعبها ومواطنيها.

وبناء على هذه التعريفات فقد ركز الإسلام على استقلالية الأمة وقدرتها الخاصة على إنتاج طعامها من خيراتها؛ وذلك حفاظا عليها من الوقوع فريسة الابتزاز في طعامها؛ لأنها إن وقعت في الفخ أصبحت ألعوبة بيد من يملك مقومات الإنتاج وعناصره، وقد أكد الإسلام على ضرورة الإنتاج وتوفير الحاجيات من خلال استغلال الثروات والخيرات الموجودة برا وبحرا من خلال بذل الجهد وتعبئة الطاقات والموارد البشرية والمالية، وتبرز أهمية هذا الدور في عالم مادي اختلت فيه الموازين وبلغت درجة من الاحتكار أدت إلى موت البشر من الجوع على مرأى ومسمع من أقطاب الحضارة المتمدنة في القرن العشرين والحادي والعشرين جهارا نهارا.

ومن مظاهر اختلال الموازين بين دول العالم في الانتفاع بثروات الأرض وخيراتها هو ما تشير له الأرقام، إذ ان الأرقام تشير إلى أن ٢٠٪ من سكان العالم يتصرفون في ٨٠٪ من ثرواته، في حين يتقاسم ٨٠٪ من سكان العالم ٢٠٪ فقط من ثرواته، وإن مثل هذا الاختلال يعود إلى أسباب عدة، منها: قصور وتراجع السياسات المتبعة فيما يسمى بالدول النامية أو العالم الثالث، ونقص قدرته على تحقيق نهضة اقتصادية حقيقية، إضافة إلى الهيمنة السياسية الدولية على مقدرات وخيرات الشعوب والتي تسعى جاهدة لإبقاء هذه الدول في حالة من التبعية الاقتصادية لها تمكّنها من الحفاظ على تفوقها وارتباط الآخر بها.

إن أهم مرتكز من مرتكزات الأمن الغذائي هو تحقيق الاكتفاء الذاتي ولو جزئيا على الأقل في المواد الأساسية والضرورية، لكي يستطيع الشعب أن يحافظ على استقلال إرادته وكرامته. وأرضنا العربية والإسلامية تمتلئ بالخيرات والثروات التي تمكننا من

الاستقلال وتحقيق أمننا الغذائي الخاص بنا بعيدا عن الهيمنة والتبعية الأجنبية.

وطبقا للمقولة الرائجة: من لا يملك قوته لا يملك قراره؛ فدول النفوذ السياسي (وهي المانح الرئيس للغذاء في العالم) هي في الغالب تمنح الغذاء من أجل إرغام المحتاجين للطعام على قبول أجندتهم الظالمة، وهذا هو الذي تفعله اليوم الدول الكبرى ذات السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية، بما لها من إنتاج غزير للغذاء في السوق العالمي تستطيع أن تتحكم في مصائر المجموعات الهائلة من الجياع في العالم.

ومما يؤسف له أن السودان التي تعد سلة الغذاء العالم العربي والإسلامي، والتي كان من الأولى بدول العالم الإسلامي دعمها دعما متينا لتغطي النقص الحالي في الغذاء، أصبحت مرتعا للنهب الغربي والنصراني المحلي، وللخطط الماكرة الصهيونية، وبقي المسلمون يتفرجون على تطبيق اتفاقية سايكس-بيكو الجديدة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

العلاقة بين الأمن وتوفير الغذاء

أكد الخالق العزيز على أهمية الطعام واعتبرها من النعم العظيمة من خلال امتنانه على قريش بهذه النعمة، كما ربطها ربطا دقيقا بالأمن من الخوف؛ حيث قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤).

كما تجلى الخيط الرفيع الرابط بين مستوى الأمن وتوفير الغذاء في قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ترك زوجه وابنه عند البيت العتيق فنادى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ١٢٦)، وبناء على ذلك تظهر القيمة الأساسية والجدلية للبعد الأمني مع مسالة الغذاء، كما لا يقتصر الأمن على توفير الغذاء، بل يحرص على توفير مستلزمات الحياة، وإلا كيف نفسر الوضع الاجتماعي في العراق التي تترنح بعض فئاتها تحت عتبة الفقر؟!، بل الأدهى والأمر.. البلد الذي يضرب به المثل في محو الأمية في عهد صدام أصبحت الأمية تنخر جسده!

فالغذاء هو أحد حاجات الإنسان الضرورية التي تتمثل في المأكل والملبس والمسكن، إلا أن الغذاء يعتبر أهمها، فالإنسان لا يستطيع الاستغناء عنه أو الصبر على الجوع، لقد عاش الإنسان الأول عاريًا دون ملبس ودون مأوى، ولا تزال أقوام تعيش اليوم في مجاهل افريقيا تسير عارية أو شبه عارية، لكنها رغم ذلك لا تستطيع الحياة بلا طعام.

فما شهدته مصر في الآونة الأخيرة من إطاحة بالنظام البائد، لدليل قاطع على ما نقول، إذ ان أغلب المصريين يعانون فقرا مدقعا، وتجلى في إضرابات الخبز، التي نشرتها شاشات التلفاز العالمية، ونفس الشيء ينطبق على الدول الإفريقية.

٣- **الأمن الصحي:** جاءت الشريعة الإسلامية- كما ذكر- لحفظ الكليات الخمس.. الدين والنفس والمال والعرض والعقل، ومن حفظ النفس العناية بصحة الأبدان، لأن البدن أمانة من الله عندنا وهو مطيتنا في رحلة هذه الحياة، وما أعطي عبد أفضل من نعمة العافية، ويعد الحفاظ على الصحة واجب ديني، كما في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إن لربك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه»، كما استوعب علماء الإسلام وفقهاؤه المعنى الصحيح لقيمة الصحة في الإسلام، حتى قرر الإمام العز بن عبدالسلام في كتابه قواعد الأحكام: «أن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان»، مثلا شرع رخصة التيمم في الطهارة، بديلًا عن الوضوء والغسل: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ (المائدة: ٦)، وقال تعالى في التخفيف عن الصائم وترخيصه الفطر له إذا كان مريضًا أو على سفر: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: ١٨٥).

وهذا العنصر المتعلق بالأمن الصحي، كتبت فيه كتابات كثيرة من خلال الحرص على توفير شروط الصحة من وسائل التطبيب، والعناية بصحة الإنسان لأداء الشعائر التعبدية على أحسن وجه، لكن استوقفني موقف عجيب للخليفة الفاروق رضي الله عنه تطبيقا لما يسمى في الطب المعاصر بالحجر الصحي- لما أراد رضي الله عنه أن يذهب إلى الشام وقد سمع بظهور الطاعون فيها همَّ بالرجوع، فقال له أبوعبيدة رضي الله عنه: أتفر من قدر الله؟ فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، وعندما أخبره بعض الصحابة بقول النبي ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه» (رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، فرح عمر رضي الله عنه فرحا شديدا حيث وافق رأيه الحق ولم يحد عنه طرفة عين، كيف لا وقد جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه!

وختاما، فالعالم الإسلامي لا يزال يعيش خللا كبيرا على مستوى تحقيق التوازن بين هذه العناصر المشكلة لهذا المؤشر النبوي، وهذا ليس ضربا من الخيال، فبالرجوع إلى الأرقام الإحصائية نستشف ذلك بجلاء، فمثلا أنفقت دول العالم الإسلامي ٧٢ مليار دولار على التسلح عام ١٩٩٧م يستخدم معظمها في الصراعات البينية لهذه الدول، في حين تبلغ نسبة التعليم في العالم الإسلامي ٦٣٪ ومعدل الإنفاق عليه لا يتجاوز ٤٪ من الناتج القومي الإجمالي!

أسرتي

الأسرة البديلة

يقصد بالأسرة البديلة في العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية أسلوب الرعاية للأطفال الذين فقدوا أسرهم بسبب الوفاة أو الطلاق أو الهجر أو الضياع أو الإهمال أو العجز، أو غيرها من الأسباب، ويقوم هذا الأسلوب على أساس وضع الطفل في أسرة بديلة لأسرته التي فقدها، بدلًا من إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية الاجتماعية بهدف توفير الحياة الأسرية الطبيعية التي يشعر فيها بالأمن والطمأنينة مع والدين بديلين لوالديه اللذين فقدهما بفقد أسرته الأصيلة.

وقد أشارت الدراسات إلى أن أسلوب «الأسرة البديلة» أفضل بكثير في رعاية الطفل من أسلوب إيوائه في الملاجئ ودور الرعاية، بل وقد يكون أفضل من رعايته في أسرته الحقيقية إذا كان والداه غير مأمونين، أو غير قادرين على رعايته وحمايته، فيؤذيانه بقسوتهما ويفسدانه بسوء سلوكياتهما وانحراف مزاجهما.

التحرير

الحوار الأسري وسيلة تربوية تعليمية

بشرى شاكر

باتت ثقافة الحوار للأسف تتقلص تدريجيًا في أوساط أسرنا، فنحن نعد الحوار من الأمور الثانوية ونحاول التركيز على أمور قد تبدو لنا أهم بكثير، مثل الربح المادي للقيام بمسؤوليات البيت على أحسن ما يرام، ونظن أن أطفالنا لا يحتاجون منا إلا لكل شيء مادي، والمفارقة أننا ننتظر أن ينشأ أطفالنا على تربية حسنة، وإذا ما ساء الأمر فكل من الأبوين يجد طريقًا لإلقاء اللوم على الآخر، ولكن التربية كما هو معلوم لا تحتاج لشخص واحد من دون الآخر فهي متوقفة على كلا الأبوين.

الحوار بينك وبين أولادك هو قنطرة لعبور قيم الأجداد إلى الأحفاد وتتمة لتاريخ مضى بتمريره لمستقبل آت، ومن هنا ينبغي علينا أن نحاور أبناءنا وكأننا نحاور المستقبل، ففلذات الأكباد هم حاضر اليوم ومستقبل الغد.

إن الهوة التي نشأت بين الآباء والأولاد بسبب انعدام الحوار، غالبًا ما يكون سببها تصغير الأبناء والتقليل من قدرهم، فأحيانًا كثيرة يرى الكبير سنًّا أن محاورة الطفل عبث وربما أكثر من ذلك فقد يعتبرها مضيعة للوقت، وقد يقلل من أمره بذلك فلا يسمح له بالحديث أمام الكبار ولا حتى بمناقشته في أمور تتعلق به شخصيًّا! بحيث يتخذ القرار عنه معتقدًا أنه يملك الحلول الناجعة لكل شيء، وأنه أدرى بمصلحة الطفل منه هو شخصيًا.

التربية دون حوار هي عبارة عن قواعد وقوانين تنفذ ولا يسمح للطفل أو الابن عموما أن يتجاوزها.

هذا الاستخفاف بقدر الطفل هو ما يجعل الآباء يرون ثمارهم تنضج بطريقة سلبية، وهو أيضًا ما يجعلهم يتجهون نحو من يسمعهم من أصدقاء أو زملاء، وقد يستأنسون لمن يرغب بأذيتهم لا لشيء إلا لأنه استدرجهم بما فقدوة أي الحوار.

الإسلام يجعل من الحوار بين الآباء وأولادهم ركيزة أساسية في التربية

وكما هو معروف أن الشواذ الذين يعتدون جنسيًا على الأطفال الصغار، غالبًا ما يمتلكون قدرة فائقة على الاستدراج بالحديث، فتكون أول خطواتهم إنشاء نوع من الحوار بينهم وبين الطفل الذي يجد لديهم ما يفتقده في بيته، فتتكون بينه وبين الجاني ألفة تجعله يتبعه مغمض العينين.

إن الإسلام كان يجعل من الحوار بين الآباء وأولادهم الركيزة الأساسية في التربية، ويتجلى لنا ذلك في موقف النبي إبراهيم ﷺ حينما حاور ابنه إسماعيل في أمر الهي وهو يعرف أنه قاضيه لا محالة، لأنه وحي يوحى وليس أمرًا بشريًا، وإنما أراد بذلك إثبات أهمية الحوار والمناقشة وجعل ابنه إسماعيل عليه السلام يفهم لم عليه أن يقوم بما أمر به؟ فقد قال سبحانه وتعالى عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢).

حاور إبراهيم إسماعيل ابنه عليهما السلام، ففهم الولد ما طلب منه وامتثل لأمر والده وقبله لأنه أمر الله تعالى، فكان أن غير الله الأضحية بكبش بدل إسماعيل عليه السلام، وكان يمكن أن يغير الله وحيه لإبراهيم قبل حتى ان يحاور ابنه، ولكن لله حكمًا في ذلك، أولها أن يرى طاعة نبيه له، وثانيها ان يبرز لنا قيمة الحوار والمناقشة وأن لها ثمارًا أبلغ بكثير من العند والعنف- والله أعلم-، فحتى وهو ينوي ذبح ابنه امتثالاً لوحي الله تعالى كان إبراهيم عليه السلام رحيمًا في شرحه وقد كان بإمكانه أن يفعل دون أن يستشيره في أمر هو فاعله كيفما كان رده.

وهنا نذكر حديث المحللة النفسية فرانسواز دولتو حيث قالت: «ينبغي للأهل أن يحدثوا ولدهم منذ صغره عن الله بكل بساطة ودون أي تصنع، كما يتحدث الإنسان عن أي أمر مهم في حياته، فهكذا يهيئونه كي يكتشف في الوقت المناسب ما يمثله الله بالنسبة إليهم».

صحافية مغربية

وهذا ما يوافقه العقل والحكمة ويبرز قيمته ديننا الحنيف، إذ إنه حتى في المسائل الدينية لا يجب أن نلقنها تلقينا للطفل وإنما أن ندرجها له حوارا يجعله يفهمها قبل أن يعتقدها إيمانًا.

الحوار لا يصغر من قيمة الآباء وإنما بالعكس يجعلهم أقرب إلى أولادهم، فهؤلاء أيضًا ليسوا مجرد شيء يملكه الآباء وإنما كائنات تمتلك عقلًا وحواسًا ومشاعر، وعليه فإن التقليل من شأنهم ليس طريقًا للتربية السليمة، فنرى أن القرآن الكريم مثلًا، أكبر صغارا وجعلهم في مصاف الكبار ومن أمثال ذلك قوله تعالى: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا﴾ (مريم:١٢)، فإذا كان الله يحاور نبيًا وصبيًا، أفنتعالى على ذلك نحن البشر؟

أليست هناك من حكمة في كون الله تعالى يخاطب بلغة الحوار عبدا هو الاحوج إليه والله الغني عنه؟!

الحوار هو ثقافة نتربى عليها ونربي عليها أولادنا، ففي مثل هذا السن الحديثة يتعلم الطفل الصواب من الخطأ بالحوار والمناقشة البعيدة عن العناد وفرض الرأي، وهنا يتبين لنا عسر أن يتعلم الإنسان في كبره ما لم يتعلمه من قيم في صغره، فمن شب على شيء شاب عليه، ولذلك وجب على الآباء أن يصنعوا ثقافة حوار بينهم وبين أولادهم، فيستطيعون بذلك ان يخلقوا جيلًا سويًا ومستقيمًا ويتمكنون من كسب ثقتهم فيستشيرونهم دون اللجوء إلى غيرهم، وهنا أيضًا يمكننا أن نسرد مثل نبي الله يعقوب عليه السلام في حواره مع ابنه يوسف عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس، والقمر رأيتهم

لي ساجدين. قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾، وهنا نرى أن الحوار جعل الابن يستشير في رؤياه وأعقب ذلك نصيحة الأب.

ولا يمكننا أن نرسم معالم الحوار ونجعل له بداية ونهاية، بل يجب أن نكون على استعداد للإجابة عن أسئلة الطفل دائما وإن لم نكن نعرف الجواب فيمكننا اخبار الطفل بأننا نحتاج وقتا للتفكير ولا يمكننا اجابته الآن، لأننا لا نعلم كل شيء، وهذه طريقة تعلم الطفل محدودية الفكر لدى كل شخص ولا تجعله يخجل من نقص درايته بالأمور، وهكذا يحاول أن يسأل أكثر من دون أن يخجل من جهله لأنه يعرف مسبقًا أن كلا منا كبيرنا وصغيرنا له فجوات معرفية كثيرة ويحاول أن يملأها بالسؤال والحوار.

والحوار المفيد هو الحوار الصادق، فالطفل يعرف صحة ما نقوله من عدمه وفي هذا أيضًا قالت الأخصائية فرنسواز دولتو: «يجب أن نتحدث مع الطفل وليس فقط أن نتحدث للطفل، والأهم أن نكلمه بصدق، فلا يمكننا أن نكذب على اللاشعور لأنه يعرف دائمًا الحقيقة».

بالفعل فإن الطفل يتبين نبرة الحقيقة من خلال سماعه الصوت منذ الساعات الأولى! لأنه يميز بين ما ننطق به وما نشعر به لأن ما يصدق من حديثنا والذي يبدو من نبرة صوتنا ومن حركاتنا هو ما يؤسس لذلك الوفاق بين الحيوية البيولوجية والحيوية الاجتماعية.

وهذا ما أبانه الحديث الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين والدة عبدالله بن عامر رضي الله عنهما حينما دعت طفلها قائلة: «ها تعال أعطيك»، فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه؟». قالت: «أعطيه تمرًا»، فقال لها: «أما أنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة».

كما أن الحوار لا يتعلق بأمر معين، فقد يكون حوارًا لمجرد المزح ومشاطرة الطفل لعبه، وقد يكون حوارًا يستدرج فيه الابن لمعرفة أخباره الدراسية، ولكن دون أن يتحول ذلك إلى تحقيق بوليسي، والأهم أن يكون الحوار صادقًا ومبنيًا على الثقة والاحترام وليس على الخوف والتوتر، وهكذا يمكن للابن أن يبدأ بالحوار، ويمكن أن نشير هنا إلى أن أهم الحوارات وأكثرها إفادة هي التي يبدأ بها الطفل وليس الأب أو الأم، لأن الحوار الذي يأتي من فم طفل أو مراهق هو دليل احتياج للمعرفة وبالتالي فإن ما سيسمعه سيرسخ في ذهنه أكثر، كما أنه سيكون دليلًا آخر على رغبة الطفل في التقرب من والديه، وهنا يمكن أن يستغل الآباء الفرصة لخلق حوارات جديدة بينهم وبين أبنائهم دون أن تكون متداخلة بشكل يشتت تركيز الطفل.

وكما أن الحوار مهم لتربية سوية فيجب أن نحترم عدم رغبة الطفل في

الحديث، فهو له كما ذكرنا شخصيته المستقلة وظروفه كأي إنسان، فحينما لا يرغب بإخبارنا عن سبب صمته فلا يجب أن نلح عليه ولكن من الأفضل أن ننتظر إلى أن يرغب هو في الحديث فيسعى إلينا طلبا لذلك، وإن لم يفعل نترك له حيزا من الزمن ونسأله ولكن دون اتباع أسلوب استفزازي أو الإصرار على حوار هو لا يرغب فيه، فاحترام الحالة النفسية للطفل ضرورية في مثل هذه الأحيان.

ابتعاد الأبناء عن مشورة الآباء والحديث إليهم هو رد فعل عادي جدًا أمام عدم اكتراث الوالدين لهم، مما يجعلهم يلجأون كما قلنا سابقا إلى طرف ثالث للحديث معه، وغالبًا ما يتقرب الأطفال من أصدقائهم أكثر وخاصة حينما يبدأ نزوحهم نحو سن العاشرة فما فوق، وليس غريبًا أن يكون هذا السن هو الذي حدد كعتبة نهائية لوجوب صلاة الطفل في الإسلام.

ومما يجهله الكثير من الآباء أن بعض الأطفال هم أكثر ذكاء من أعمارهم ويمكن الاستفادة من محاورتهم، وليس من مثل أبلغ على ذلك مما حصل حينما قام أبويزيد البسطامي لقيام الليل ورأى بجواره ابنه الصغير يرافقه فأشفق عليه من مشقة السهر وبرد الليل فقال له: «ارقد يا بني فأمامك ليل طويل» وأجابه الطفل قائلا: «فما بالك أنت قد قمت؟» فقال: «قد طلب مني أن أقوم»، قال الطفل الصغير، «لقد حفظت فيما انزل الله في كتابه: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾، فمن هؤلاء الذين قاموا مع النبي ﷺ ؟»، فأجابه الأب: «إنهم أصحابه»، فقال الطفل: «فلا تحرمني من شرف صحبتك في طاعة الله»، فقال أبوه في دهشة: «يا بني أنت طفل ولم تبلغ الحلم بعد» فقال الغلام: «يا أبت إني أرى أمي وهي توقد النار تبدأ بصغار قطع الحطب لتشعل كبارها فأخشى أن يبدأ الله بنا يوم القيامة قبل الرجال إن أهملنا في طاعته»، فانتفض أبوه من خشية الله وقال: «قم يا بني فأنت أولى بالله من أبيك».

فلو لم يكن أبويزيد البسطامي حليمًا في حواره مع ابنه لما علم بذكائه وما تعلم منه ما خفي عنه.

أما الحوار المفيد فهو المناقشة البناءة التي لا تتحول إلى صراع أو أوامر، ولا ينقص من قدر الطفل والنظر إليه على أنه لا يفقه شيئًا، بل يجب أن يترك له حيز من المسؤولية في النقاش والحوار واتخاذ القرار بعد هذا كله، حتى وإن كنا من نوجهه، فلنتركه هو يختار ما نريده أن يقوم به ونراه صائبًا، فهكذا سيتقبله أكثر وسيقوم به عن اقتناع، وليس هناك مانع من التودد للطفل بمناداته بأسماء يحبها كما كان يفعل الرسول ﷺ وهو ينادي زينب باسم مصغر، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة وهو يقول: يازوينب، يا زوينب مرارًا».

يجب أن نعلم أن الأطفال ليسوا عبيدًا ولا خدما نملكهم، وإنما هم مستقبل أمة بأكملها، فحينما نحاورهم علينا أن نفهم أننا نحاور حاضرًا سوف ينمو ليصبح مستقبلًا.

الوعي الجمالي عند الأطفال أساس التفوق والإبداع

تحقيق: نجاح منصور

منذ سنين بعيدة؛ انشغل علماء النفس وعلماء التربية بقضية الطفولة، لاسيما الطفولة الناضجة، وتساءلوا: كيف نصنع الأطفال المبدعين في المجتمع؟ أو بمعنى آخر: كيف نخلق حاسة الإبداع عند الأطفال؟

وتوصلوا إلى أنه لابد من الاهتمام بمسألة الوعي الجمالي عند الأطفال، باعتبار أن الوعي الجمالي هو النمو المتزايد نحو الاكتشاف الدائم عن الوحدة في الاختلاف، في المتناقضات، في المتعارضات.. كذلك هو المقترح لمجموعات متنوعة من الحلول أمام العقل الذي يختار في الأغلب أحد الحلول.. فإنه يغرس بذلك احترام الرأي الآخر ومعتقداته، ويبتعد هذا الوعي الجمالي عن التعصب والتشدد، وكذلك يجعل هذا الوعي الجمالي صاحبه يبحث دائمًا عن زوايا جديدة للرؤية فيجتنب الجمود، وأيضًا يحرص العقل على فتح جوانب متعددة من التفكير فيتحرر من أحادية النظر العقلية التي تعوق التقدم، وتغلق طريق التبادل والحوار الإنساني على أرض يملؤها الاحترام والفهم المتبادل.. وأيضًا التسامح والتقدير.

واهتم علماء التربية -على وجه الخصوص- بعمل برامج توعية من شأنها أن تسهم في زرع العقلية الإبداعية، ووضعوا لها التصورات التالية:

- تنمية حب الاستطلاع عند الطفل: إن حب الاستطلاع والثقة بالنفس، والإبداع تتفاعل مع بعضها، ذلك أنه بقدر ما لديهم من حب الاستطلاع يكون لديهم تقدير لأنفسهم وبالتالي يكون لديهم رغبة في الاستمرار بالعمل المبدع وتكوين خبرة فنية بمحيطهم، ويطورون كفاءات مناسبة، ويتفاعلون بشكل جيد مع عالمهم الخارجي مما يزيد من تطوير ثقتهم بأنفسهم أيضًا ويكون تقديرهم لذواتهم عاليًا، الأمر الذي يسهم في تطوير قدراتهم الإبداعية.

مسألة اكتشاف الأطفال المبدعين شغلت علماء التربية والنفس والاجتماع طويلا

- تحرير الأطفال من الخوف والخطأ: لأنه مما يعيق الأصالة، وإن التأكيد على الممارسات التي نتعلم عن طريقها من الأخطاء التي نقع فيها تشجع محاولات القيام باللعب بالإمكانيات التي هي جزء أساسي في عملية الإبداع، لذا فإن الاتجاه الهادئ والمتسامح تجاه الأخطاء الأولية التي تقيّم فيما بعد، وترفض من زاوية ما لكونها غير ملائمة تشجع التجريب بالإمكانات البديلة وهذا الأمر جزء من النتاج الإبداعي.

- تشجيع التخيل بالإضافة إلى النظرة الواقعية للأمور: إن التشديد على أن يكون التفكير مرتبطًا بالواقع يمكن أن يثبط من عملية التجريب للاحتمالات الغريبة التي هي على الأغلب مفيدة، إلا أن تشجيع التحرك الحر من الخيال إلى الحقيقة والمزج بين الآراء الغريبة والتقويم الناقد من الأهمية بمكان العمل على تشجيعها.

- تشجيع اختلاط الطفل بالأشخاص المبدعين: إن المستويات العليا من الإبداع تتطلب أن يتقبل الآخرون الأفكار والأعمال غير المألوفة ولن يقدر ذلك سوى الأشخاص المبدعين وغير التقليديين.. فالطفل قد يسعى إلى تشبيه نفسه بنماذج أكبر منه سنا عند الفشل في بعض محاولاته فالقدوة والجو العام الإيجابي قد يكون سببا في تطوير الإبداع.

- تشجيع الاختلاف والتفرد: إن تشجيع الاختلاف في الرأي والعمل على التجريب، وإعطاء الفرد إحساسا بتفرده أمور مرغوب بها.

- تشجيع المبادرات الفردية: إن توفير أكبر قسط من الفرص للدراسة الفردية والسماح لكل متعلم بأن يتقدم حسب قدراته، وتوفير جو من المرونة في المختبر، والخبرات الميدانية كلها عوامل تشجع على تطوير العوامل الرئيسية للنشاطات الإبداعية.

- تجنب قولبة الشخص ذي القدرة الإبداعية حتى لا تطمر بوادر الإبداع عنده.

أسباب فشل العلاقة بين الرجل والمرأة

إبراهيم علي إبراهيم

عندما يفكر الشاب والفتاة في الإقدام على الخطبة أو الزواج، من الطبيعي أن تكون مشاعر الحب قد جمعت بينهما، ولكن أحيانًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وتضطرب العلاقة وتصل لطريق مسدود ويكون الانفصال هو الحل.

وأحيانًا كثيرة يكون القرار من طرف واحد، ومن هنا تكمن المشكلة ، لاسيما عندما يرفض الطرف الآخر قبول الأمر الواقع فتحدث له صدمة عاطفية. فماذا نفعل عندما نتعرض لصدمة عاطفية؟ وما الأسلوب الأمثل لمعالجتها؟

في البداية ينصح أساتذة الصحة النفسية: عندما تتسم علاقة الإنسان بالحدة واللامعقولية لابد أن يكون وراء ذلك اضطراب نفسي أو فشل في العلاقة العاطفية لا يؤدي وحده للخلل النفسي ولكن تكون هناك مجموعة عوامل مجتمعة مثل عدم التكيف مع الواقع وضغوط الحياة وغيرها من الأشياء، وعندما تفشل العلاقة تعجل بحدوث الاختلال النفسي، أيضا الاستعداد الجيني الوراثي وما قد يترتب بالترسب في مرحلة الطفولة المتأخرة.. كلها عوامل تؤدي الى حدوث الصدمة العاطفية وتترجم لعدة أفعال تكون غير متزنة.

وحول الأسلوب الأمثل لعلاج الصدمة العاطفية، لابد من تقييم الإرادة على مواجهة الواقع وعدم ربط الفشل بالكرامة، ومحاولة معالجة الأخطاء التي أدت للفشل لتجنبها مع أي علاقة جديدة.

إن مسؤولية فشل العلاقة تقع على الطرفين وعدم قدرتهما على اقتراح الحلول البديلة لمعالجة الأخطاء، واستعجال الحلول السهلة بالتخلص من العلاقة وإنهائها بصورة مفاجئة وهذا ما يسبب آثارًا جانبية ويؤدي إلى سلوك عدواني، فالعلاقة الزوجية شراكة متبادلة بين الزوج والزوجة، وقد شرع الله الحقوق والواجبات التي تنظم سير العلاقات، أما إذا تحولت العلاقة لنوع من الاستغلال أو الأنانية تنقلب الموازين، وهنا يسيطر سلوك التسلط والسيطرة والغيرة التي تدفع إلى الجنون في بعض الأحيان فيحدث نوع من الهوة أو الشرخ في القدرة على التعامل، ويؤكد اساتذة الطب النفسي أن تعرض الإنسان للصدمة العاطفية يعود لأنه اعتاد في حياته الاعتماد على أشياء سطحية وبسيطة فأصبح الإشباع العاطفي هو العامل الرئيسي بالنسبة له، ولا توجد أي قيمة أخرى يعطيها أولوياته، وذلك عندما يتعرض للفشل في علاقته العاطفية يرتكب بعض الحماقات لأنه يفقد القدرة على التركيز بعد أن أصيب بالاحباط والفشل، ولاسيما أنه لا يشعر بأمل في المستقبل!

إن من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالحزن والضيق لفترة محدودة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وأنه يمكن التغلب بسهولة على مواجهة الأزمات العاطفية، وذلك بالشعور بالرغبة في الحياة، وزيادة الثقة بالنفس ومع تكرار النجاح يتولد الشعور بالسعادة، كما يمكن عقد صداقات جديدة والانشغال بأشياء اخرى مثل الاشتراك في عمل اجتماعي أو خيري، فهذه الأشياء تشعرنا بالسعادة، وتساعدنا على التغلب على الصدمة العاطفية.

باحث أسري

وصفة ليست سحرية

إيمان القدوسي

يتساءل الشباب أين الحب والوفاء والإخلاص؟

هذه عملات قديمة ألغيت ولم يعد لها في سوق العصر قيمة، ثم ترتسم ابتسامة مشفقة على شفاههم لمن ينادي بتلك المعاني الطيبة لأنه من وجهة نظرهم إما يعيش بعيدًا عن الأرض أو هو ساذج لا يعرف ما وصل إليه حال الناس.

ولكنهم لم يفكروا في إجابة لتساؤل بسيط، إذا كنتم جميعًا تتهمون الآخرين فمن المتهم إذن؟ وهل تؤمن أنت بتلك القيم وتطبقها؟ إذا كنت كذلك فهذه بداية حسنة ومؤشر للتغيير، أما إذا قلت: لا(..) لن أكون العبيط الذي يضحك منه الآخرون.. أنا مثل غيري أيضا أعامل الناس بمعاملتهم وربما أسوأ وأعرف جيدًا كيف أحصل على حقي في تلك الغابة التي نعيش فيها، فأنت من بين المتهمين وقداعترفت وضبطت متلبسًا.

لكي نغير يجب أولًا أن نتغير، هذه قاعدة أساسية.

من هم الناس؟ أنا وأنت ونحن جميعًا ولكي يحدث التغيير للأحسن ابدأ بنفسك، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد:١١) تحتاج تلك الآية الكريمة وقفات طويلة أمامها، إن الله سبحانه وتعالى من يقول للشيء كن فيكون ومن بيده مقاليد السموات والأرض، يقول إن التغيير يجب أن يبدأ من نفسك، ليس ذلك فحسب بل هي مسؤوليتك الشخصية أنت فهو سبحانه وتعالى لم يقل حتى تغير الحكومة ما بنفسك أو يغير والداك ما بنفسك ولكنه قال ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فيحسنوا نواياهم ويصححوا وجهات نظرهم ورؤيتهم للعالم ويبدأ كل منهم بممارسة أفعال الخير ومشاعر الرأفة التي يطالب بها الآخرين دائمًا.

أتوقع السؤال التالي: وهل سيتغير العالم فعلًا بتغيير نيتي ووجهة نظري؟

نعم سيتغير، عالمك أنت سيتغير، أولًا سوف تشعر بالرضا واليقين يغزو نفسك ويجعلك راضيًا بما قسم لك، ويكفيك راحة الضمير وأنك أديت ماعليك تجاه والديك وذوي رحمك وعبادتك واجتهدت وأبدعت في عملك وكنت دائما صادقًا معطاءًا، ثم إنك سوف تكتسب ثقة الناس وحبهم واحترامهم، ثم سوف ييسر الله لك باقي أحلامك ويرزقك من حيث لا تحتسب.

هل يحتمل الأمر وصفات معينة؟ ربما هناك اجتهادات ووصفات كلماتها قليلة وقد تؤتي ثمرتها إذا صادفت قلبًا واعيا ورغبة في الحياة بعمق قبل أن تفر منا وما زلنا فقط نتجول حولها.

بالنسبة للفتيات أفضل وسائل التجميل هي الصدق والبساطة وأن تقومي دائمًا بعملك بغير انتظار النتيجة، ولي وقفة صغيرة، تفهم البنات أحيانًا الصراحة بشكل مزعج يصل لحد البجاحة والتطاول، ليس المطلوب أبدًا أن تكون نظراتك حادة وصوتك عاليًا مزعجًا وألفاظك جارحة، وليس المطلوب أيضا رفع الكلفة وعدم الاحترام، تذكري دائمًا الحياء والخفر والصوت الخفيض فهي زينة البنات.. المطلوب منك الصدق والشفافية وعدم الافتعال وفي أثناء التعامل سوف يظهر ما في نفسك ونيتك وتربيتك، وينعكس رقة وذوقا وشياكة في تصرفاتك تجذب إليك القلوب قبل العيون وتجلب لك الاحترام والتقدير.

قرأت أخيرًا لكاتب أميركي يدعى «بول أوستر» يتحدث عما جذبه للفتاة التي صارت بعد ذلك زوجته وأخلص لها طيلة حياته يقول: «جاءت يومًا لمكتبي في الجريدة في عمل، كان لدي كثير من الأشياء التي يجب أن أفعلها في هذا الصباح، لكنني لم أقو على أن أجبر نفسي على إنهاء خدمتها سريعًا وظللت أؤخرها لمدة خمس عشرة أو عشرين دقيقة، كانت فتاة بسيطة الملابس يخلو وجهها تمامًا من المكياج تبدو جادة واثقة، كان هناك شيء ما مباشر وصريح فيما يتعلق بهذه الفتاة، شديدة الشفافية، التي تفتقر إلى خداع النفس إلى أبعد حد، لدرجة أنه كان من الصعب علي ألا أستغرق في التأثير الكلي لوجودها الجميل، جميل بالتحديد لأنها غير مدركة له، ولأنها تجهل تمامًا التأثير الذي تمارسه على الآخرين، هذه الفتاة التي صارت زوجتي كانت تطبق بفطرتها نصيحة الفلاسفة «كن نفسك» وظلت كذلك دائمًا، وما هو داخل نفسها كان دائمًا الخير».

الكلام نفسه تقريبًا ينطبق على الشباب مع تعديل بسيط وإضافة صغيرة، وهي لا تحاول تقليد «بلطجة الأفلام» فهم يقدمون لك نماذج مغشوشة وهدفهم الوحيد الربح التجاري ولو على أشلاء القيم والمبادئ، ولا تحاول أن تبدو قويًا بإنكار العاطفة وادعاء الغلظة والخشونة، الرجل الحقيقي هو الذي يجمع بين القوة والحنان ويعرف جيدا متى وكيف ومع من يمارس أيا منهما، لو كنت كذلك سوف تجد الحب والتقدير والنجاح، وسوف يوضع لك القبول في الأرض، فالناس في كل مكان تتعطش لمعرفة الإنسان الحقيقي، والبنات تحلم بفتى أحلام رجل بمعنى الكلمة.

اختصاصية تربوية

النضج العاطفي عند الشباب

د.مي علي إبراهيم كشك

العاطفة جزء أساسي من التكوين النفسي للفرد، جنبا إلى جنب مع العقل والإرادة، وتبدأ العاطفة كنبتة صغيرة تنمو تدريجيًا في اتجاه النضج، الأمر الذي يؤثر في حياة الفرد بشكل عام وعلى حياته الزوجية بوجه خاص.

إن الإنسان بدون مشاعر حية يتحول إلى إنسان آلي، وإن كانت مشاعر الحب تدعم كل مراحل عمر الفرد، فإنها تلعب دورًا أهم وأوضح في حياة الشباب، ذلك لأن الشباب يتسم بالحيوية والنشاط الانفعالي المتدفق، ومن ثم فإن عاطفة الشباب متقلبة وغير متوازنة، فكل من الطفل والراشد مستقر عاطفيًا (نسبيًا) أما الشاب والفتاة فهما في محاولة لبلوغ درجة الاستقرار العاطفي، يضاف إلى ذلك أن العاطفة في مرحلة الشباب ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالدافع الجنسي، وكلاهما عند الشباب غير مستقر ويسعى نحو الاكتمال.

توجيه العاطفة نحو النضج

والعاطفة إمكانية إنسانية رائعة ينبغي التعامل معها وتوجيهها إيجابيًا حتى يمكن أن تثري الشخصية وتكسبها حيوية ونضارة، بناء على ذلك فإنه من أجل توجيه العاطفة في خدمة الارتباط الزوجي نقدم بعض النصائح التالية:

تحويل الإعجاب من مجال الإنسانية إلى مجال العطاء، وهو كفيل بأن يدفع بالعاطفة وبالشخص ككل نحو مزيد من النضج.

- تأجيل التعلقات العاطفية حتى تتأكد جدية الارتباط الزوجي.
- محاولة التخلص من أي تعلقات عاطفية سابقة، قبل الدخول في أي ارتباط زوجي جديد.
- التعامل الراقي بين الجنسين، الذي يحدث نوعا من التصالح الداخلي بين الرجل والمرأة، فلا يصبح أي مهما لغزًا بالسنبة للآخر، وبالتالي تخف حدة التوتر بينهما، على أن يتحقق هذا التعامل في إطار اجتماعي مناسب، يتسم بالوقار واحترام القيم الأخلاقية والاجتماعية، فهذا من شأنه أن يساهم في توجيه عواطف الشباب إيجابيًا نحو ارتباط زوجي ناجح.

تحقيق النضج

إذا أردنا أن نجيب عن السؤال «كيف أعرف ما إذا كنت قد حققت نضجًا يؤهلني للارتباط؟» نقول: لا أحد قد حقق كل النضج، وعلينا أن نستعرض مؤشرات النضج ونقيم أنفسنا بالقياس إليها، ثم نسعى كي نحققها في حياتنا قدر الإمكان.

أما كيف يكتسب الفرد مزيدا من النضج؟ فإن مفتاح ذلك تتضمنه كلمة واحدة، أو فعل واحد إنه فعل «الحب» إن حركة الحب الصادق هي فعل إيجابي، فعل خروج من «الأنا» إلى الآخرين بحركة عطاء، حتى لو كان في البداية عطاءً فقيرًا بسيطًا، وحركة الخروج إلى الآخرين ومعايشتهم هي ذاتها حركة النضج، ولو راجعنا مؤشرات النضج لوجدناها كلها على صلة وثيقة بالحب والخروج على الذات، ففي هذا الخروج استقلالية وإحساس بواقع المجتمع (الواقعية)، وفيه تدرب تدريجي على الثقة بالنفس، وتحمل المسؤوليات، والتكيف مع الظروف المتغيرة التي كثيرًا ما تتطلب قدرًا من النفس، وهكذا فإن محاولة الخروج عن الذات إلى الآخرين بحركة إرادية مقصودة مهدفة تدفع بالفرد نحو مزيد من نضج العطاء الحر.

ولا ينبغي أن نغفل حقيقة مهمة وهي أن النضج الأنساني يشمل كل جوانب الحياة، وينبغي أن نسعى إليه في كل اتجاه.

باحثة أكاديمية

ذات الدين

أحمد عبداللطيف النجار

لو سألت أحدًا من شباب هذا الزمن «العجيب»: ما مواصفات عروس وزوجة المستقبل لقال لك: الجمال بالطبع، أي تكون جميلة جدًا وهو هنا يقصد جمال الشكل والمظهر لا جمال الروح والجوهر! ولأضاف وياحبذا لو كانت غنية أيضًا ذات مال وثراء!

هذا هو للأسف منطق وتفكير جيل الإنترنت والدِّش بكسر الدال! وهذا ما عايشته بنفسي في قصة صاحبي عبدالرؤوف، فقد كان طالبًا جامعيًا مستهترًا إلى أبعد حد، حصل على شهادته بطلوع الروح كما يقولون!

ولكن بعد أن أضاع كل ميراثه من والده، بعد حصوله على الشهادة تعرف على فتاة بسيطة من أسرة متوسطة، تلك هي سلمى التي حدث تقارب وإعجاب بينها وبين عبدالرؤوف رغم أن جمالها كان متواضعًا للغاية، ولا أقول دميمة فالإنسان العاقل يقيس جمال المرأة بروحها الطيبة وعقلها الراجح!

يقول عبدالرؤوف انجذبت إلى سلمى وقررت الزواج منها رغم الفارق الشاسع بيننا في التعليم، فهي لم تنل من التعليم غير الشهادة الإعدادية، واعترض إخوة عبدالرؤوف على ذلك الزواج «غير المتكافئ» كثيرًا ورغم ذلك أصر صاحبي على موقفه وقراره الزواج من سلمى، خاصة وقد وفرت له عروسته الشقة التي سيتزوجا فيها، وتم الزواج بالفعل وسافر صاحبي للعمل بالخارج واصطحب معه زوجته سلمى واستمر في العمل أكثر من عشر سنوات كاملة، وتمضي الأيام سريعًا ويرزق المولى عز وجل عبدالرؤوف ولدين يحسن تربيتهما وتنشئتهما منذ الصغر على التدين وتقوى الله جل في علاه، ويزرع فيهما الفضيلة، وتتحسن علاقة زوجة عبدالرؤوف بإخوته بفضل اتزانها وشهامتها وحسن معاملتها للناس.

ذات يوم فاجأني عبدالرؤوف بقوله إن العمر تقدم به وأحواله تحسنت كثيرًا ولكن مايؤرقه حقًا هو «دمامة زوجته» خاصة أنه يرى نفسه وسيمًا ويرى زوجته «عاطلة عن الجمال» على حد قوله!

قلت له استغفر الله يا أخي وأحمده على عطاياه ولا تتبطر على نعمته التي أهداك إياها، فكان رده عجيبًا بأن قال: إني أخجل جدًا من الظهور بها أمام أصدقائي وجيراني، خاصة أنه قد نفر منها الجميع بالفعل لدمامتها!

فقلت له سبحان الله ألا تتذكر قول الحبيب المصطفى اظفر بذات الدين تربت يداك، ألا تتقي الله في زوجتك وهي أمانة في عنقك؟ ألا تتذكر لها وقوفها بجانبك في أيام الضيق والعسر والشدة؟

ألا تشكر لها جميل صنيعها لك عندما ساعدتك بموافقتها على زواجكما في شقتها ومساعدتها لك أيام كنت عاطلًا عن العمل!

والآن يا عبدالرؤوف بعد أن أغناك الله من فضله تجحد نعمته وتكشر عن أنياب الغدر لزوجتك المخلصة الوفية!

عجيب أمر ابن آدم لا يملأ عينه سوى التراب، وتمضي الأيام والسنون بسلمى وزوجها عبدالرؤوف الذي يصر على أن يعوض ما فاته من عمره بالزواج مرة أخرى من امرأة جميلة، بل ويرغبها جميلة جدًا حتى يعوض النقص الذي يشعر به في سلمى!

قلت له والله يا أخي النقص الحقيقي فيك أنت، في تفكيرك القاصر، ومنطقك الأناني! فإن من يعاشر حيوانًا أليفًا قد يعز عليه فقده، فلماذا لا يعز على بني آدم فقد عشيرته من بني الإنسان بمجرد أن ظروفه المادية تحسنت!

ويصر عبدالرؤوف على عناده ويسوق لي تبريراته العجيبة بأنه يشعر دائمًا بنظرات الإشفاق في عيون أصدقائه وجيرانه بسبب «دمامة» زوجته سلمى، فقلت له لماذا يا عبدالرؤوف لم تكتشف هذه النظرات إلا الآن فقط بعد أن استقرت أحوالك المادية!

لماذا لم تر نظرات الإشفاق هذه التي تدعيها في عيون الآخرين وأنت ضائع بلا عمل ومال، وحين وافقت سلمى على الزواج منك وأوتك وكفلتك في بيتها وحين ساندتك في بداية حياتك؟!

فالجمال يا صاحبي مسألة نسبية، الشيء الجميل والباهر بحق في أي امرأة هو جمال روحها، جمال طبعها، جمال إيمانها، جمال جوهرها وباطنها وليس الجمال الظاهر فقط!

تأكد يا صديقي أنه لا تخلو أي امرأة من لمسة جمال مهما كانت دمامتها بل كن على يقين أن من شقوا بجمال زوجاتهم أضعاف أضعاف من شقوا بدمامة زوجاتهم!

تأكد يا صاحبي أنك بإصرارك على الزواج من ثانية ستخسر حتمًا أضعاف ما أخذت وتخسر استقرار حياتك وتعرض أبناءك لمحنة لا داعي لها، وستخسر راحة البال وتتمزق بين أسرتين وحياتين!

وصعب جدًا في هذا الزمن الأصعب أن تعدل بين زوجتين!

وأخيرًا أخيرًا اقتنع صاحبي عبدالرؤوف بكلامي البسيط ورجع إلى عقله، رجع إلى نفسه، رجع إلى ربه، وطرد من تفكيره وساوس شياطين الإنس والجن، بل وقام ذات يوم بزيارة عائلية عزيزة وغالية مع زوجته المؤمنة سلمى وولديه، ونظرت إلى وجهه ورأيت نور الله يشع من عينيه والخشوع واليقين والسكينة تنبعث من وجه زوجته الوفية سلمى، حينها شعرت يا أصحابي أن الدنيا رغم كل ما فيها مازالت بخير وتذكرت قول الحبيب المصطفى ﷺ: «الخير في وفي أمتي إلى يوم الدين».

باحث في القضايا الأسرية

ناقشت إحدى جلسات مؤتمر مستجدات الفكر الإسلامي التاسع في الكويت مؤخراً دور المرأة في الإعلام بعنوان «مدى تلبية الإعلام الفضائي والإلكتروني لحاجة المرأة» وقدمت هذه الورقة مسؤولة العلاقات العامة والإعلام في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية «سمية الميمني» حيث أوضحت أننا نعيش اليوم في زمن كثير التطور وسريع التغير، ويعود ذلك إلى أهم عاملين وهما التكنولوجيا والإعلام، وبفضل الإعلام والوسائل التكنولوجية صار العالم اليوم قريبا من بعضه، سهل الارتباط وسريع التعارف والالتقاء.

الإعلام والمرأة

التحرير

وأشارت الميمني: بما أن حديثنا اليوم يرتكز على أمر هام جدا وهو الإعلام الفضائي والالكتروني، خصوصا في العالم الإسلامي وبنظرة محافظة لمجتمع يهتم ببناء الفرد والأسرة على أسس المبادئ الإسلامية السليمة، فالحديث في هذا المجال قد يطول لما فيه من جوانب عديدة لابد من الاطلاع عليها وذكرها.

وأوضحت الميمني أن الإعلام كما يعلم الجميع سلاح ذو حدين، وأدواته إن استخدمت بالشكل الصحيح وفي الاتجاه السليم لتصحيح أخطاء المجتمع وعلاج أسقامه وضماد جراحه، ولتنمية الفرد وتطوير فكره وزيادة حصيلته الثقافية والمعلوماتية، وزرع القيم النبيلة والأخلاق الحميدة، واطلاعه على العالم الخارجي ولكن بعدسات الجمال ورونق الصورة وإبداع

الإخراج مع الحفاظ على الضوابط الشرعية بعقلية إسلامية متفتحة غير مقيدة، عندها سيكون هذا الإعلام رسالة ناجحة بل ومعلمًا قياديًا من الطراز الأول، أما لو استخدم هذا السلاح ألا وهو الإعلام لتحقيق المصالح المادية والتجارية البحتة، ودعما للجشع البشري في الحصول على أكبر المبالغ بأسوأ السبل، فصار استخدام أدوات الإعلام لنشر الرذائل والفساد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من خلال طرح كل ما يثبط العقل البشري ويعرقله عن أداء واجبه أمام مجتمعه، وتشجيع النفوس على سخافات الأمور وسطحية الأفكار، مع التركيز الخاص بكل الوسائل المغرية على تحريك الشهوات والغرائز في أبهى الصور وأكثر الطرق إغراء.

لذلك فإعلامنا الإسلامي اليوم يحتاج إلى همة المؤمن العالية وصبره المتفاني، وحكمة العقلية المسلمة التي تخطط للبعيد قبل القريب، وللغد المقبل مع إجادة العمل في الحاضر، هذا بالإضافة إلى الحاجة الماسة والأساسية لأموال المنفقين الذين يجاهدون لتكون كلمة الله العليا.

ويهدف الإعلام الإسلامي في القنوات الفضائية إلى إحياء الأمم وتصحيح العقائد، فهو جهاد حقيقي

ومرحلة تاريخية عظيمة تُبذَل فيها الغالي والنفيس، وهي مهمة لا تقل شأنًا وأهمية عن الفتوحات الإسلامية الكبيرة، لذلك لابد أن تتضافر الجهود وعمل الجميع على قلب واحد، ويتعاون المخلصون من أصحاب الإمكانات، سواء أكانت إمكانات مادية أو علمية أو إدارية أو مواهب فنية نافعة.

وعندما نتحدث عن المرأة في الإعلام، ولأن محور الندوة مدى تلبية الإعلام لحاجة المرأة، قد يتبادر إلى ذهن الباحث سؤال آخر وهو مدى حاجة الإعلام للمرأة ومدى حاجة المرأة للإعلام؟ من هذا الباب قد ندخل في أبحاث أخرى ومنافذ متنوعة لأن الشروع في الحديث بهذا الموضوع يحتاج منا مؤتمرات وجلسات عديدة، لنقاش التفاصيل والخوض في الأعماق لاستخراج الكنوز الدفينة التي لاتزال إلى يومنا هذا مدفونة في القيعان.

فلنتساءل أولا ما هي احتياجات المرأة من الإعلام؟ وقمت بتقسيم احتياجات المرأة كالتالي:

- الاحتياجات الجسدية.. وهي عبارة عن برامج تخص:

«الموضة - الأزياء - المكياج - التجميل».

- الاحتياجات النفسية.. برامج تناقش كل من:

«الاستشارات النفسية - الجانب العاطفي - عالم الطبيعة والجمال».

- الاحتياجات الأسرية.. وهي البرامج التي تلبي الجوانب التالية:

«مهارات زوجية - العناية بالطفل وتربية الأبناء - فن الديكور والتصميم والمطبخ».

- الاحتياجات الصحية.. حيث يهتم هذا النوع من البرامج بالأمور الآتية:

الميمني: على المرأة ترسيخ مفهوم أن الإعلام جزء كبير من الدعوة إلى الله

التغذية».

- الاحتياجات الروحانية.. برامج خاصة في كل ما يتعلق بالجانب الديني:

«القرآن والسيرة - المسائل الفقهية - الأمور الدينية الأخرى».

- الاحتياجات الفكرية.. برامج تهتم بالجانب الثقافي:

«حوارات - مسابقات - مناظرات - جلسات نقاشية - دورات».

والآن لنتجول قليلا بين المحطات الفضائية العربية، ولنضغط على أزرار جهاز التحكم (ريموت كنترول) الخاص بتلفازنا، ولنقلب على البرامج المعروضة في أوقات الذروة والأوقات العادية، ولنفحص ماذا تقدم هذه القنوات للمرأة؟ ومدى اهتمامها باحتياجات المرأة؟ وأين يصب اهتمام هذه القنوات في أي نوع من الاحتياجات أكثر؟

كشفت دراسة مغربية نشرت على BBC العربية في ٢٠١٠ أن أغلب السيدات يعتقدن أن وسائل الإعلام والأعمال الدرامية العربية تقدم صورة غير واقعية للمرأة.

وشملت الدراسة ١٥٠٠ امرأة من فئات اجتماعية مختلفة، وتمت بالتعاون بين وزارة الإعلام الكندية وصندوق دعم المساواة بين الجنسين التابع لوكالة التنمية الكندية.

وأوضحت الدراسة أن نسبة ٤٥٪ من السيدات يعتقدن أن المسلسلات والأفلام تظهر السيدات على أن «أخلاقهن منحلة»، وقالت نسبة ٣٧٪ أنها تظهر النساء على أنهن «مضطهدات»، فيما اشتكت نسبة ٣٠٪ من تقديم النساء على أنهن «طائشات».

وهنا يجرنا الحديث للدخول في القسم الثاني لمحور ندوتنا وهو: ماذا يلبي الإعلام الواقعي من احتياجات المرأة ومتطلباتها؟

إن من أخطر وسائل التغيير الثقافي التي لجأ لها المستعمر هي الإعلام بكل أنواعه وجميع مستوياته، هذه السياسات التغريبية الاستيعابية قد نجحت وساعد على نجاحها الانفتاح العالمي والتقدم المذهل في وسائل الاتصال، حيث تساقطت الحدود الجغرافية والسياسية وتسابق أصحاب الأيدلوجيات في ميدان الإعلام مستخدمين أحدث الوسائل للوصول إلى قلوب الجماهير وعقول الناس، لتغيير ثقافاتهم والتأثير على قناعاتهم، وكان استخدام الإعلان للمرأة كونه أداة جذب وطعما للتشجيع على الاستهلاك، حتى تظهر فيه مخلوقا ساذجا لا هم له إلا الأكل والشرب والتجميل، فالمرأة تستخدم للإعلان عن السلع لجذب الرجل والمرأة على السواء، فالإعلان يدعوها إلى أن تجعل نفسها في دور المرأة التي حصلت على أعلى أمنية بشراء السلعة، أما الرجل فيغريه الإعلان بالحصول على المرأة الجميلة التي تعرض السلعة، كجائزة لشراء هذه السلعة.

إن استخدام المرأة على هذا النحو في الإعلانات يقلل من نظرة الاحترام إليها في نفس الرجل وفي نفسها هي، حيث يرسخ الإعلان قيمة المرأة ليس بما تملك وبما تنتج

بل بما تستهلك، وغدت السلعة التي تستهلكها هي مصدر الحب والنجاح والتطور، ظنًا منها أنها بشرائها السلعة تشتري الاحترام الاجتماعي والصحة والجمال وتتمكن بفضلها من تصحيح الأخطاء والنواقص في شخصها، لأن المعلنين باعتمادهم الأساليب النفسية كافة نجحوا في تحويل الفكر النقدي للمستهلك نحو ذاته وليس نحو السلعة.

إذن النظرة الفاحصة لإعلامنا العربي يؤكد على أنه قد يلبي للمرأة احتياجاتها النفسية والجسدية والصحية، بل يبدع فيها ويقدمها بإسهاب وبأروع المناظر والألوان، لكنها بكل تأكيد تفتقر في تلبية حاجياتها الفكرية والثقافية، وكذلك الروحية والأسرية في ظل الضوابط الشرعية الإسلامية.

ولكن السؤال الجوهري.. ما دور المرأة المسلمة والوسائل الإعلامية الإسلامية في سد النقص وتلبية الاحتياجات؟

سأبدأ بالوسائل الإعلامية إما المحافظة أو العامة والتي عليها:

- إعداد وتأهيل العناصر النسائية الإعلامية المحترفة التي تشارك في العمل الإعلامي بقوة وتساهم بتأثير إيجابي.
- الاستفادة من الطاقات الإعلامية المتوفرة في الوطن العربي، والعمل على إبرازها ودعمها وتشجيعها لتقدم ما لديها من المخزون الإبداعي.
- الاهتمام بتقديم البرامج الإعلامية القوية التوعوية والموجهة للنساء بحيث تلبي احتياجاتها وتقدم لها الجديد والمفيد.
- الاهتمام بتطوير عقل المرأة وتثقيفها من مختلف المناحي الحياتية، والتركيز على الجواهر أكثر من المظاهر، مع تقديم المادة الإعلامية بآخر التطورات واللمسات الفنية والجمالية التي تجذب المشاهد.
- تجديد وابتكار في الأفكار لتقديم البرامج الموجهة للنساء بشكل عام، والفتيات الشابات بشكل خاص لأنهن أمهات المستقبل، والابتعاد عن التكرار وإعادة الموجود.
- إشراك المرأة في إعداد وصياغة الاستراتيجيات الإعلامية، وإعطائها المناصب القيادية في العمل الإعلامي، والفرصة الحقيقية لإثبات قدراتها.

جزء كبير من الغبن الواقع على المرأة إعلامياً تساهم فيه المرأة شخصياً بتساهلها في حقها

ما هو دور المرأة المسلمة المحافظة في هذا الوضع الراهن؟

أولا: يجب ترسيخ مفهوم أن الإعلام جزء من الدعوة إلى الله، واستخدام الوسائل الإعلامية الفضائية والالكترونية والمسموعة والمقروءة جميعها ما هي إلا طرق لإيصال كلمة الحق ونشر مبادئ هذا الدين القويم، فمهما اختلفت الوسائل والأدوات إلا أن الهدف واحد والغاية موحدة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ومتى ما أيقنت المرأة، وليست المرأة فقط بل الرجل والمجتمع بأكمله أن ظهور المرأة في الوسائل الإعلامية لهذا الهدف السامي، هنا ستستطيع المرأة مواجهة التحديات والعقبات التي تقف في طريقها لتحقيق أهدافها النبيلة بهذا المجال.

ولهذا على المرأة المسلمة التي تمتلك المهارات الإعلامية المؤثرة، كالقدرة على مخاطبة الجماهير ومجابهة الكاميرات، والكاريزما العامة والقدرة على الإقناع، بالإضافة إلى العقلية الإعلامية والمتفتحة ومهارات التواصل والعلاقات العامة، هذه المرأة عليها أن تعي تماماً وتدرك أنه لابد من الانخراط في هذا المجال الذي تكثر عقباته وتحدياته، وسد ثغرة هامة، لأنه من المؤكد أن مشاركة المرأة في العمل الإعلامي تصطدم بالعديد من المعوقات والعقبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكذلك النفسية.

ولابد من التسليم بأن جزءًا كبيراً من الغبن والظلم الواقع على المرأة إعلاميا تساهم فيه المرأة شخصيا، بتساهلها في حقوقها وتباطئها في رد فعلها واكتفائها بمقعد المتفرج السلبي بدلا من المشاركة الفاعلة.

فمن أجل تعديل صورتها عليها أن تضحي ربما بقليل من وقتها لتدفع بعجلة التنمية والتغيير. وقبل هذا على المرأة أن تؤمن بقدراتها وإمكاناتها وتعتز بخصوصيتها الجميلة كامرأة ولا تتنكر لها كخصوصية منتقصة. فإعلاؤها لقيم الحب والخير والجمال في ثوب العفاف والحشمة، وتحت مظلة الضوابط الشرعية لا ينقص من رجاحة عقلها وتميز فكرها، كما أن على المرأة أن تؤمن بأنها من خلال أي موقع يمكنها أن تساهم في التغيير والتأثير للأفضل.

المكتسبات اللغوية عند الأطفال

محمد مصطفى ناصيف

إن اللغة عمومًا تشمل الكلمة والنغمة الصوتية والإشارة واللهجة وتعبيرات الوجه والجسم، وجميع الرموز التي تستعمل للتعبير، لفظية أو غير لفظية، وهي فضلًا عن ذلك وسيلة الاتصال الأساسية بين الأفراد في المجتمع، ووسيلة من وسائل النمو العقلي والتوافق الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية دراسات وبحوث عن الطفل الوليد (المناغاة)

بالنسبة لعالم الأطفال تشير الدراسات والبحوث المختصة إلى أن الوليد يستخدم الصراخ أولًا، ثم المناغاة ثانيا للتعبير عن انفعالاته وحاجاته، وكذلك سروره وابتهاجه، إذ تعتبر المناغاة طريقًا إلى تعلم اللغة، بحيث إن الطفل الحديث الولادة يستعذب إصدار الأصوات وإدراكها، ويحاول أن يحاكي بها ما يصل إليه من أصوات وكلمات.

دراسات وبحوث عن الطفل الوليد (الكلمة الأولى)

أجمعت البحوث على أن الطفل يكون قادرًا على نطق الكلمة الأولى فيما بين السنة والسنة والنصف بعد الولادة، وأن مفرداته تصل إلى نحو خمسين كلمة خلال السنة الثانية من عمره، ولكن تجدر الإشارة إلى بعض الفروق الفردية، إذ قد يتأخر بعض الأطفال في نطق الكلمة الأولى إلى السنة الثانية، أما بخصوص الكلمات الأولى التي يستخدمها الطفل أثناء التعبير فهي غالبًا ألفاظ تعبر عن اهتماماته المباشرة فيما يتعلق بإشباع حاجاته الأولية كالطعام والشراب واللعب، وكذلك الأشياء الموجودة في

محيط بيئته مثل الأشياء القابلة للحركة، كالقطة والكلب والكرة وقارورة الحليب، وفي السياق نفسه تشير إلى أن الأطفال في بداية تعلمهم للكلام يستخدمون غالبًا كلمة واحدة يعبرون بها عن جملة، ويظهر ذلك في نهاية السنة الأولى من عمر الطفل، فإذا نطق مع الإشارة مثلا بكلمة «محمد» فهو يقصد القول: «أريد أن أذهب مع محمد» أو «محمد مزق لي لعبتي» أو «محمد ضربني» وفي العادة غالبًا ما تتوصل الأم بكل بساطة إلى أن ابنها عندما ينظر إلى حذاء والده على الأرض ويقول «بابا»، فهو يقصد بذلك «هذا حذاء والدي»، كذلك تفهم الأم ما يريده ابنها من خلال نبرات الصوت، فإذا قال مثلا «بابا» بنبرة عالية نسبيًا في حالة غياب والده، فذلك يعني «أين والدي؟»، وهكذا حتى سن الثالثة من عمره يكون معظم الأطفال قد استعمل أنواعًا جديدة من الجمل السهلة التي يصل طولها أحيانا إلى خمس أو سبع كلمات، وفي السنة الرابعة يكون نظام الأصوات الكلامية عند الطفل قد قارب كلام الكبار، وفي السنتين الخامسة والسادسة من عمر الطفل يصبح نضج اللغة عنده في مستوى كامل من حيث الشكل والتركيب والتعبير بجمل صحيحة ومتنوعة، كما يكون استعمال الألفاظ أكثر دقة مما كان عليه في السابق.

نخلص بعد هذا إلى أن معاني الكلمات لا تكتسب إلا بعد أن يكون الطفل قد استطاع أن يكوّن صورًا ذهنية ثابتة للأشياء والأحداث التي ترمز إليها تلك الكلمات، ثم إن مراحل اكتساب معاني الألفاظ متطور بشكل ملحوظ لدى الأطفال، ففي البداية يرتبط معنى الكلمات عند الطفل بشكل أو حدث معين، لا يتم تعميمه على أحداث أو أشياء من الفئة نفسها، فكلمة «الكلب» مثلًا ترتبط بكل واحد، لكن في مرحلة لاحقة يبدأ بملاحظة أوجه الشبه التي تجمع بين الأشياء، فيلاحظ مثلا ما يجمع بين الكلاب من تشابه ويصبح لديه مفهوم عام عن هذا الحيوان.

وإضافة إلى جميع ما سبق نتعرض إلى مسألة الاستكشاف عند الطفل، لأن حب الاطلاع يزداد وينمو ويتطور كلما كانت مشاعر الآباء إيجابية تجاه أبنائهم، وتحذيراتهم السلوكية قليلة، وكلما زاد اهتمامهم بتقديم الجديد له.

ويمكن أن يتم ذلك من خلال إشراك الطفل في الرحلات مع أقرانه في المساجد وأماكن المتنزهات، والمكتبات العامة المخصصة للأطفال، وانضمامه إلى فرق الكشافة، مما يساعده على مزيد استكشاف العناصر الجديدة والفردية والمجهولة في بيئته، إضافة إلى توسيع مداركه وإثراء خبراته.

كاتب صحافي

الداعية الشيخ حازم أبوإسماعيل لـ «الوعي الإسلامي»:

الدعوة عن طريق المساجد ستبقى الأكثر قبولا والأشد تأثيرًا

حوار: بدر محمد بدر

الداعية الشيخ حازم أبوإسماعيل -٥٠ عامًا- واحد من أبرز نجوم الفضائيات الدينية، وهو داعية ابن داعية، وعالم ابن عالم، فوالده الشيخ صلاح أبوإسماعيل -رحمه الله- من علماء الأزهر الشريف ودعاته المشهورين، والشيخ حازم درس في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ويحمل إجازات العلم الشرعي بمختلف فروعه من كبار علماء الأزهر، وحباه الله بسطة في العلم والجسم، فانطلق خطيبًا مفوهًا ومحاضرًا مؤثرًا في المساجد والندوات والمؤتمرات، وظهرت برامجه عبر شاشات الفضائيات، كما برزت خطبه ودروسه على شبكة الإنترنت.. «الوعي الإسلامي» التقته لكي تتعرف على رؤيته وتجربته الدعوية، وعديد من القضايا التي طرحناها عليه.. وإليكم نص الحوار:

في البداية نود أن تحدثنا عن النشأة والتكوين الفكري والديني.

بفضل من اللهسبحانه نشأت في بيت علم وعمل، فوالدي الشيخ صلاح أبوإسماعيل (رحمه الله) كان من علماء الأزهر، وأحد أبرز النواب في البرلمان المصري، في فترة السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين، وكانت قضيته الأساسية هي المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية في مصر، وكذلك كان جدي لوالدتي الشيخ عبدالعزيز نور (رحمه الله) أستاذًا في كلية الشريعة، أما والدتي فقد حصلت على الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة الأزهر.

وشهدت نشأتي التحولات الحادة سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، بدءًا من حرب ١٩٦٧ ومرورًا بحرب ١٩٧٣ وانتهاءً بمعاهدة السلام أواخر السبعينيات من القرن العشرين، هذه الملامح البارزة في فترة النشأة والتكوين، إضافة إلى ملمح آخر مهم، وهو ملمح بروز الصحوة الإسلامية، واحتشاد الملايين من البشر في معظم البلاد العربية والإسلامية تطالب بالعودة لتعاليم الدين وأحكامه، كل ذلك وغيره أوصلني إلى حالة من الشغف العلمي، فلازمت علماء اللغة والفقه والتفسير والحديث والقراءات، بدفع وتوجيه من والدي، رحمه الله، وقضيت مع المجلدات وأمهات الكتب أوقاتًا كبيرة، كما عايشت الندوات والمؤتمرات والمعسكرات التربوية بصورة دؤوبة بفضل الله.

● كيف كانت بدايتكم الدعوية؟

- كان بيتنا في مرحلة النشأة منتدى ثقافياً ودعوياً، وكم سمعت ألوانًا وأنواعًا من أحاديث الفقه والدعوة، وكان طبيعيًا ومناسبًا أن أتشبع بذلك الفكر وتلك الثقافة الدعوية، وكان خليقًا بي أن أتفوق دراسيًا، وأن أتقن اللغة العربية، وأن أتحدث في مجالات الدعوة المختلفة، لكن الدعوة ليست كلامًا وتحدثًا، إنما الدعوة الحقة ممارسة للمبدأ وتطبيقًا له، والتزامًا بالصحبة الصادقة التي تعين على الحق وتعمل لتحقيقه، وقد تلقيت تعليمًا مدنيًا في المراحل الدراسية المختلفة، وتخرجت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وأعمل حاليًا بالمحاماة، وبتوجيه من الوالد، رحمه الله، بدأت في سن مبكرة أتلقى العلوم الشرعية على يد كبار العلماء، كل في تخصصه، لمدة ١٢ سنة.

القنوات الدينية أسهمت في جذب الجماهير.. لكن لم نر في الواقع تأثيرًا مغيرًا للسلوك

الدعاة مطالبون بتجويد ثقافتهم وتعميقها بالأمور الحياتية

قانون تطوير الأزهر

● ولماذا لم يلحقك الوالد، رحمه الله، بالتعليم الديني الأزهري اختصارًا للطريق؟

– كانت الحكومة المصرية في ذلك الحين قد أصدرت قانونًا لتطوير الأزهر، رأى فيه والدي مساسًا بالهدف الذي من أجله أنشئ الأزهر، فأراد أن يتفادى مساوئ هذا التطوير، وأعتقد أنه قد أحسن صنعًا، حيث كنت أستشعر لذة التفوق في التعليم العام، كما كنت أتذوق أيضًا لذة التعمق في العلوم الشرعية، على يد المتخصصين من علماء الأزهر الأجلاء، رحمهم الله رحمة واسعة.

● كيف نحيا بالدعوة ونفعلها في حياتنا؟

– حين نفهم الدعوة على أنها هي الكلام الذي يدعو إلى الالتزام الفردي أو الاجتماعي بأحكام الإسلام، فهذا خطأ فادح، لكن الدعوة هي حراك كتلة الأمة المسلمة، من خطوة إلى خطوة متقدمة، لإيجاد الإسلام في الواقع إيجادًا حاكمًا ومهيمنًا، وهكذا كانت دعوة رسولنا الحبيب محمد ﷺ، فلم نعرف أن أحدًا من المسلمين استمع إلى النبي ﷺ ثم انصرف إلى بيته خاملًا كاسلًا، دون أن يتحول إلى جزء من كتلة المستجيبين للدعوة المنفذين لتبعاتها، أقول ذلك وأؤكده، كي لا ننخدع ونشعر بالرضا في حالة الاستجابة الوقتية للقشور، متوهمين أننا استجبنا للدعوة بينما نحن في خضم الانصراف عن مقتضيات الدعوة.

● الدعاة والثنائيات.. مثل التراث والمعاصرة.. القديم والحديث.. أين ترى موقعهم؟

– الدعاة في تقديري مطالبون ببذل الجهد الكافي لتجويد ثقافتهم وتعميقها بالأمور الحياتية، حتى يكون كلامهم الدعوي مناسبًا لما عليه واقع وحال الجماهير، وحتى لا يشعر الناس بأنهم يعيشون في عصر، والدعاة يعيشون في عصر آخر، والحل هو تمكن الدعاة من مفردات العصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مع الإحاطة بمفاتيح العلوم الشرعية، هذا التوازن رأيناه في فقهاء وعلماء السلف الصالح، وظهر لنا من خلال كتبهم ومؤلفاتهم.

● ما السبيل كي تكون خطب الجمعة زادًا إيمانيًا وحركيًا للمسلمين في كل مكان؟

– السبيل أن يتحصل الداعية – حفظًا وفهما– على زاد وفير من العلم والثقافة، هذا الزاد يستدعيه في أي وقت أراد، لكن مع الأسف يتصور البعض أن التحضير الجيد للخطبة أو الحديث يكفي، أو يمكن أن يقوم مقام الحصيلة العلمية المتنوعة، والخلفية الثقافية التي يجب أن يتلقاها الداعية في فترة التأسيس والتكوين العلمي، وهناك سلبية أخرى أراها متجسدة في الاهتمام والشغف بالجزئيات، مما يصرف الخطباء عن الموضوعات الجادة المصلحة، وتكون النتيجة خطبًا منبرية غير فاعلة وغير مثمرة.

● أيهما أجدى وأكثر تأثيرًا في تقديرك.. الخطاب الوعظي المباشر أم اللجوء للأعمال الدرامية والفنية الهادفة؟

– بالعودة إلى أسلوب القرآن الكريم في الإرشاد والهداية والتبليغ، فإنني أقطع بأن الاعتماد على أحد الأسلوبين دون الآخر خطأ فادح، فالقرآن قد لجأ إلى أسلوب قص القصص، وإلى أسلوب ضرب الأمثال، كما لجأ إلى الوعظ المباشر والأوامر الصارمة، حتى في مجال مطالبة الناس باعتناق العقيدة الصحيحة، وكما كان رسول الله ﷺ يستخدم الأسلوب الهادئ المتمهل في الحديث، فقد كان أيضًا يعلو صوته إذا خطب ويحمر وجهه، كأنه منذر بجيش قادم، وروي كذلك أنه عليه الصلاة والسلام قد استخدم الرسوم التوضيحية، وضرب الأمثال، لتقريب فكرته إلى العقول والأفهام، وهذا ما ينبغي أن نستن به.

الدعوة عبر الإنترنت

● عالم الإنترنت ساحة دعوية جديدة بحاجة إلى دعاة.. كيف ترى ذلك؟

– أعتقد أن الأمور التي تأتي بسهولة تزول بسهولة، لكن الذي يتوضأ في بيته، وينزل قاصدًا المسجد، ثم يظل به حتى يسمع درسًا أو موعظة لا يمكن أن نقارنه من ناحية التحصيل والتأثر بمن يجلس على فراشه الوثير، مادًا يديه مستدعيًا الدرس أو الموعظة من شبكة الإنترنت، لذلك ستظل المساجد مصانع لبناء المسلمين الصالحين، وليس معنى كلامي أن نهمل الوسائل الأخرى، فقد يكون تأثيرها الدعوي شبيهًا بتأثير المساجد في بعض البيئات، وفي بعض الأوقات.

● من واقع تجربتك الدعوية عبر الفضائيات.. أيهما أكثر تجاوبًا وتأثرًا.. المرأة أم الرجل؟

– المرأة بالطبع أكثر تفرغًا ومكثًا في المنزل، لذا تزداد نسبة مشاهدتها ومتابعتها لأي مادة إعلامية، سواء كانت إيجابية أم سلبية، ولا أستطيع أن أدعي أن كثرة المشاهدة هي العبرة والمحك، وإذا سألتني عن التأثير الذي أستهدفه من برامجي بكل ما لهذه الكلمة من أبعاد، فأجيبك بأنني رأيت من كلا النوعين آيات في شدة الاستجابة والتأثر، أشهد بهذا وأبشر به، لكن تبقى الفضائيات– في رأيي– أدنى أثرًا من حلقات البيوت ومن المساجد، لأنها تصل إلى الناس من خلال التأثير والاحتكاك المباشر.

● في رأيك ما الأقرب إلى عالم المدعوين في واقعنا المعاصر.. التلفزيون أم الإنترنت أم المسجد؟

– في تقديري أن الأقرب لعالم المدعوين الآن هو جهاز التلفزيون، ثم مع مرور الوقت سيصير فضاء الإنترنت، أما بالنسبة للصادقين والمخلصين في طلب العلم، فسوف يبقى الكتاب هو الأساس والمرجع الذي لا يستغنى عنه، أما الدعوة عن طريق المساجد، فستبقى الأكثر قبولًا وانتشارًا والأشد تأثيرًا، بشرط رفع القيود الرسمية المفروضة عليها.

المشكلة لا تكمن في دعاة الفضائيات ولكن تكمن فيمن بيدهم سلطة انتقاء الدعاة

● في فضاء الوطن العربي كثير من القنوات الدينية ومئات المواقع الإسلامية على الشبكة العنكبوتية.. فهل استطاعت تغيير السلوكات والأفكار للأحسن أم لا؟

– لا بد أن نستوعب أن الفترة الأولى في أي مشروع أو تجربة تحتاج منا إلى روية وتمهل قبل إصدار الأحكام، وهذا يستدعي منا أن ندع البذور تنمو وتثمر، حتى يشتد عودها وتسر الناظرين، وحينئذ ننقدها متجردين، فما احتاج إلى الشكر شكرناه، وما احتاج إلى التصويب صوبناه، وما احتاج إلى الرفض رفضناه.

وبنظرة إلى القنوات الدينية القائمة حاليًا نجد أن بعضها قد جذب الجماهير جذبًا كبيرًا، ولكن لم نر في الواقع تأثيرًا مغيرًا للسلوكات ولا للأخلاقيات، بل حدث ما يمكن تسميته بـ«التأثير العاطفي» الذي ينشئ مشجعين متعاطفين لا روادًا فاعلين، ونظرة أخرى إلى مئات المواقع الإسلامية الموجودة على شبكة الإنترنت تجعلنا نهيب بالقائمين عليها لمعالجة قضايا العلم والفكر الإسلامي بمفهوم التخصص، بدلا من مظاهر الإحاطة والشمول التي تتسم بها معظم هذه المواقع، مع نتائج لا تخلو من ضعف في المحتوى، أو ضعف في الإفادة والتأثير، نريد مواقع متخصصة، تعكف على فرع من فروع العلم أو ركن من أركان الدين، وتكون مرجعًا للباحثين وهداية للحائرين، وتقدم الحق المبين المبني على البرهان الكافي الأصيل.

الدعاة القصاصون والوعاظ البكّاؤون

● وما أبرز ملاحظاتك على برامج الدعاة الفضائية؟

– المشكلة لا تكمن في الدعاة، وإنما تكمن فيمن بيدهم سلطة انتقاء الدعاة، وهم أصحاب القنوات الفضائية، فبعضهم أو أكثرهم يميل كل الميل إلى من يتحدث عن الغيبيات، والحكايات التي تدغدغ مشاعر وعواطف المشاهدين، وهذا يأتي على حساب قضايا حيوية مهمة يحتاج إليها الناس وتحتاج إليها أوطانهم.

طبيعي أن يوجد الدعاة القصاصون والوعاظ البكاؤون، بل لابد من وجودهم، ولا يمكن أن يستغنى عن تخصصهم، لكن المشكلة أن يطغوا على المشهد العام، ويتم اختيارهم دون غيرهم، وتخلى لهم الساحة الدعوية، أضف إلى ذلك أن الطرح الحقيقي للدعوة الصحيحة فيه قدر من المواجهة مع السلطة أو مع الواقع، وهو ما يسعى ملاك هذه المحطات إلى تجنبه، راضين أو مرغمين، ومع مرور الوقت وتواصل هذا النهج الذي يكتم بعض الكتاب ويظهر بعضه الآخر، تصبح الدعوة مع الأسف الشديد، كالكائن المشوه الذي لا يرجى شفاؤه.

الشيخ محمد بهجة البيطار -يرحمه الله-

التحرير

هو محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار، العالم الفقيه، والمصلح الأديب، والمؤرخ الخطيب، ولد بدمشق في أسرة دمشقية عريقة، جدها الأعلى من الجزائر، كان والده من كبار الشيوخ في دمشق.

نشأ في حجر والده الشيخ محمد بهاء الدين، وتلقى عليه مبادئ علوم الدين واللغة، ثم درس على يد أعلام عصره، مثل:

١- العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي.

٢- العلامة محمد الخضر حسين.

٣- الشيخ محمد بن بدران الحسني.

٤- الشيخ العلامة محمد رشيد رضا.

أعماله

تولى الشيخ البيطار رحمه الله العديد من المناصب العلمية منها:

١- عضو في جمعية العلماء.

٢- عضو في رابطة العلماء في دمشق.

٣- الخطابة والإمامة والتدريس في جامع «القاعة» في الميدان خلفًا لوالده، ثم في جامع «الدقاق» في الميدان أيضًا، واستمر فيه حتى وفاته.

٤- عضو المجمع العلمي العربي ومشرفًا على مجلته.

٥- مدير المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.

٦- مدرس في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

٧- عضو مجلس المعارف في المملكة العربية السعودية.

تنقل الشيخ البيطار رحمه الله في وظائف التدريس في سوريا والحجاز ولبنان، كما أنه درّس التفسير والآداب الإسلامية في الكلية الشرعية بدمشق، ودرّس كذلك في دار المعلمين العليا وفي كلية الآداب في دمشق.

وبعد التقاعد قصر نشاطه على المحاضرات الجامعية والتدريس الديني، وسافر للحجاز وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ، وأبقاه الملك عبدالعزيز حيث ولاه إدارة المعهد العلمي في المدينة المقدسة، ثم ولاه القضاء فيها، فاشتغل به مدة ثم ولاه العديد من الوظائف التعليمية، ثم دعي الشيخ لإنشاء دار التوحيد في الطائف.

وكان خطيبًا بارعًا يخطب ارتجالاً، وقد كان سببًا في هداية عدد كبير من طلبة العلم والمثقفين والأدباء إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومنهم الشيخ الأديب علي الطنطاوي .

مؤلفاته

لقد ترك الشيخ البيطار رحمه الله العديد من المؤلفات القيمة، منها:

١ - مسائل الإمام أحمد: أبوداود «تعليق».

٢ - أسرار العربية لابن الأنباري «تحقيق».

٣ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي «تحقيق وتعليق».

٤ - الإسلام والصحابة الكرام بين السنَّة والشيعة.

٥ - تفسير سورة يوسف.

٦ - حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات ومقالات ودراسات.

٧ - الرحلة النجدية الحجازية: صور من حياة البادية.

٨ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: لجده عبدالرزاق البيطار «تحقيق وتقديم».

٩ - الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، وهو شرح الأربعين العجلونية: تأليف جمال الدين القاسمي «تقديم وتحقيق».

وفاته

توفي الشيخ البيطار في شهر جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ في دمشق، وصُلي عليه ودفن فيها.

رحم الله الشيخ محمد بهجة البيطار رحمة واسعة، فقد كان يحمل لواء الحق في عصر التعصب المذهبي.

جامع ومدرسة السلطان حسن في القاهرة

تركي محمد النصر

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: « القاهرة مدينة بجنب الفسطاط يجمعها سور واحد، وهي اليوم المدينة العظمى، وبها دار الملك ومسكن الجند، وكان أول من أحدثها جوهر غلام المعز أبي تميم...فهي أطيب وأجل مدينة رأيتها، لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها».

تحتضن هذه المدينة العريقة العديد من الآثار والمعالم الدينية التي كان وما زال الكثير منها منارات للعلم والدين، ومن أشهر هذه المنارات جامع ومدرسة السلطان حسن.

موقعه وتأسيسه

قال تقي الدين المقريزي في المواعظ والاعتبار (٤٨/٣):

«وهو تجاه قلعة الجبل- قلعة صلاح الدين- فيما بين القلعة وبركة الفيل... وابتدأ السلطان عمارته في سنة ٧٥٧هـ، وأوسع دوره وعمله في أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل، فلا يُعرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحكي هذا الجامع».

شيَّد هذا الجامع السلطان الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون، ويعتبر ملك مصر التاسع عشر من جنس الترك المماليك، والسابع من أولاد الناصر محمد بن قلاوون، تولَّى السلطنة مرتين، كانت أولاهما في رمضان سنة ٧٤٨هـ، وكان عمره آنذاك ١٣ سنة؛ وثانيها عام ٧٥٥هـ بعد أن سجن لمدة ثلاثة أعوام... وكان السلطان حسن ملكًا حازمًا، مَهيبًا، شجاعًا، صاحب حرمة وكلمة نافذة، لم يشرب الخمر، ولم يأتِ بفاحشة ظاهرة، واختلف عن كثير من ملوك وأمراء المماليك، ويصفه «ابن تغري بردي» في كتابه «النجوم الزاهرة»: بأنه كان مفرط الذكاء، عاقلًا فيه، رفيقًا بالرعية، متدينًا، شهمًا ولو وجد ناصرًا أو معينًا لكان أجلَّ الملوك.

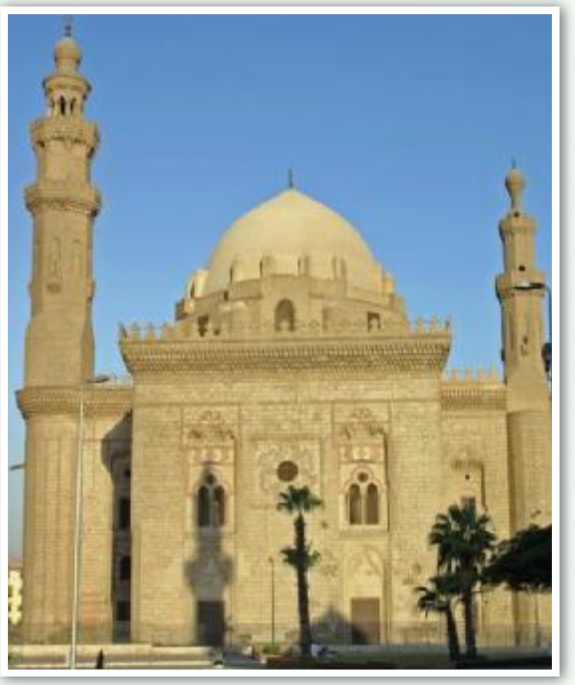

تاريخ عمارة الجامع

بُدِئ في عمارة هذا الجامع سنة ٧٥٧هـ الموافق ١٣٥٦م حيث استمر العمل فيه دون انقطاع لمدة ثلاث سنوات من غير توقف، وأرصد السلطان لمصروفه في كل يوم ٢٠ ألف درهم ونحو ألف مثقال من الذهب، وقد صرف على القالب الذي بُنِيَ عليه عقد إيوان الجامع الرئيسي ١٠٠ ألف درهم، وكان من الطبيعي أن يكون هذا الإنفاق مرهقًا لميزانية الدولة، وهو ما اعترف به السلطان حسن بقوله: «لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع» وقد اجتمع على عمارته من المعماريِّين والصنَّاع الكثير حتى إنه لم يبقَ في القاهرة والفسطاط صانع له تعلُّق بالعمارة إلا واشتغل فيه، ومات السلطان حسن قبل أن يُتمَّ بناءه، فقام الأمير بشير أغا الجمدار أحد أمرائه بإتمام البناء.

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

وصفه

يعتبر هذا المسجد بحق أعظم المساجد المملوكية وأجلها شأنا فقد جمع بين ضخامة البناء وجلال الهندسة، وتوافرت فيه دقة الصناعة وتنوع الزخرف، كما تجمعت فيه شتى الفنون والصناعات، فنرى دقة الحفر في الحجر ممثلة في زخارف المدخل ومقرنصاته العجيبة.

وتتمثل براعة صناعة الرخام في وزرتي القبة وإيوان القبلة ومحرابيهما الرخاميين، والمنبر ودكة المبلغ وكسوة مداخل المدارس الأربعة المشرفة على الصحن، ومزررات أعتاب أبوابها، كما نشاهد دقة صناعة النجارة العربية وتطعيمها مجسمة في الآيات المنحوتة على جدران القبة.

أما باب المسجد النحاسي المركب الآن على باب جامع المؤيد فيعتبر مثلًا رائعًا لأجمل الأبواب المكسوة بالنحاس المشغول على هيئة أشكال هندسية تحصر بينها حشوات محفورة ومفرغة بزخارف دقيقة، وما يقال عن هذا الباب يقال عن باب المنبر.

وقد ازدحمت روائع الفن في هذا المسجد فاشتملت على كل ما فيه، لا فرق في ذلك بين الثريات النحاسية والمشكاوات الزجاجية، وقد احتفظت دار الآثار العربية بالقاهرة بالكثير من هذه التحف النادرة وهي تعتبر من أدق وأجمل ما صنع في هذا العصر.

والجدير بالذكر أن مكان المسجد كان عبارة عن منطقة فيها مجموعة من القصور والإسطبلات، وكانت من سوق الخيل الذي هو حاليًا ميدان صلاح الدين، تبلغ مساحة هذه المنشأة

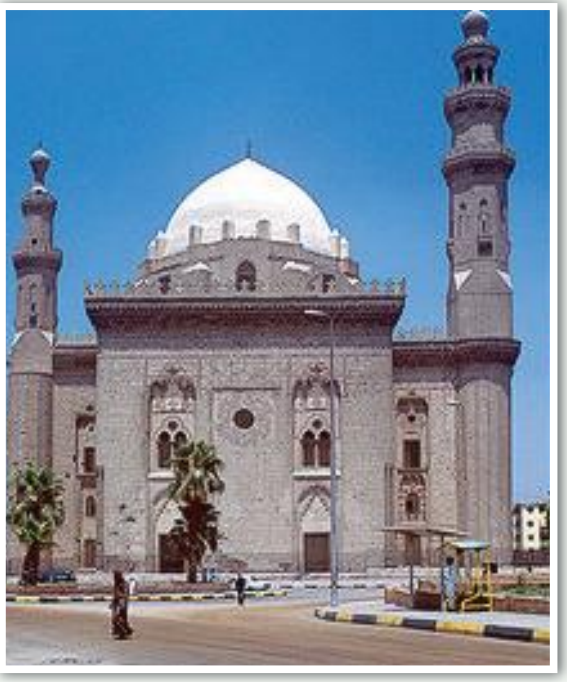

بُدئ في بنائه سنة ٧٥٧هـ واستمر العمل فيه لمدة ثلاث سنوات دون انقطاع

العظيمة ما يقارب ٨ آلاف متر مربع، وكأنه كان مصرًا على أن يكون المكان في أعلى مكان في القاهرة وبجوار قلعة صلاح الدين الأيوبي، وكأنه كان يريد أن يوصل رسالة مفادها أن العلم صار له حصن ما يزال مصدرًا للإبهار لكل من زار القلعة.

وأما المدرسة، فإنك عندما تدخل إليها تجد فيها طراز الظلة أو الأروقة والطراز الإيواني، وهو عبارة عن قاعة مغلقة من ثلاث جهات ومفتوحة بالكامل على الصحن حتى يستطيع الأستاذ أن يتحلق حول طلابه ويراهم كلهم على صعيد واحد.

وتحتوي المدرسة على أربعة إيوانات، أكبرها إيوان القبلة الذي يبلغ عمقه حوالي ٣٢,٥م وفتحة عقده ١٩,٢٠م سقف بقبو تكلف بناء قالبه ١٠٠ ألف درهم، وقد كُسيَتْ جدران الإيوان بوزرات رخامية، فُقد حاليًا معظمها، فيما عدا جدار القبلة مازال محتفظًا برخامه، ويتصدر هذا الإيوان محراب مزخرف بالرخام متعدد الألوان، ويجاور المحراب منبر من الرخام يعتبر تحفة فنية رائعة، إذ إن له بابَين من النحاس المفرغ، كما تضمُّ المدرسة إلى جانب إيوان القبلة ثلاثة إيوانات أخرى مغطاة بأقبية، ويتوسط الإيوانات صحن مكشوف مساحته ٣٤٠٦٠م × ٣٢م يتوسطه فسقية مُثمَّنة من الرخام معدة للوضوء.

ويضم الجامع أربع مدارس فرعية خصصت كل مدرسة لتدريس مذهب من مذاهب الفقه الأربعة، وهي: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وتضمُّ كل مدرسة مجموعة كبيرة من الحجرات التي كانت معدة لسكن الطلاب والمدرسين المغتربين؛ سواءٌ من خارج مصر أو من الأقاليم المصرية.

وكان مخططًا لهذه المدرسة أن تكون بأربع مآذن، وأتمَّ السلطان حسن قبل وفاته بناء المئذنتين الجنوبية والشرقية، وكذلك بُنيتْ المئذنة الثالثة إلا أنها سقطت عام ٧٦٢هـ وأدت إلى كارثة رهيبة؛ حيث قتلت٣٠٠ طفل من أيتام المسلمين الذين كانوا يدرسون في كُتَّاب الجامع، ولم ينجُ منهم إلا ستة فقط، وهذا ما جعل السلطان حسن

يتغاضى عن إكمال هذه المئذنة، وظل الجامع بمئذنتين هما الموجودتان حاليًا، وملحق بالجامع قبة ضريحية يتوصل إليها عن طريق مدخلين عن يمين ويسار المحراب الرئيسي بإيوان القبلة، والقبة مربعة الشكل طول ضلعها ٢١م وارتفاعها إلى قمتها ٤٨م، وقد أعدها السلطان ليدفن فيها، ولكن لما قتل لم يعثر على جثته، ودفن فيها ابنه المعروف بالشهابي أحمد.

ولما سقطت المنارة سابقة الذكر لهجت عامّة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة، فقال الشيخ بهاء الدين أبوحامد السبكيّ في سقوطها:

أبشِرْ فسعدُكَ يا سلطانَ مصرَ أتى
بشيرُهُ بمقالٍ سارَ كالمثل
إن المنارةَ لمْ تَسْقُط لمنقصة
لكن لسر خفيّ قد تبينَ لي
من تحتها قُرِئ القرآن فاستمَعَت
فالوجدُ في الحال أدّاها إلى الميل
لو أنزلَ اللهُ قرآنًا على جبل
تصدعت رأسُهُ من شدّة الوجل
تلكَ الحجارةُ لم تنقض بل هبطَت
من خشية الله لا للضعف والخلل
وغابَ سلطانُها فاستوحشت ورمَت
بنفسها لجوى في القلب مشتعل
فالحمدُ لله حظُّ العين زالَ بما
قد كان قدّرَهُ الرحمنُ في الأزل
لا يعتري البؤسَ بعد اليوم مدرسةً
شيدَت بنيانها بالعلم والعمل
ودمتَ حتى ترى الدنيا بها امتلأت
علمًا فليسَ بمصرَ غيرُ مشتغل

ولكن الغريب أن السلطان حسن قُتل بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يومًا، ومات قبل أن يتم بناء الجامع، فأتمه من بعده «الطواشي بشير الجمدار».

التاريخ العلمي

أوقف السلطان حسن الجامعَ، وألحق به أربع مدارس لتدريس المذاهب الفقهية، وجعل لكل مذهب منها شيخًا ومائة طالب من كل فرقة ٢٥ متقدمون، وثلاثة معيدون، ورتب لكل شيخ ٣٠٠ درهم في الشهر، ولكل معيد ١٠٠ درهم، ولطلبة كل مذهب أربعة آلاف ومائتين وخمسين درهمًا شهريّا.

وكان يصرف لكل طالب وجبة يومية وكسوة سنوية، وكانت هناك رعاية صحية للطلاب والمدرسين، حيث رتَّب السلطان حسن طبيبًا يباشر معالجة الطلاب والدارسين.

والداخل إلى المدرسة الحنفية القديمة في مدرسة السلطان حسن سيقابله الإمام العلامة نورالدين الحنفي الذي كان يُعرف بجامعة المذاهب الفقهية.

كما سيرى الداخلُ ميزانَ العدل الذي أسسه قاضي القضاة شرف الدين بن أبي العز الحنفي الأذرعي- نسبة إلى أذرعات، وهي اليوم مدينة «درعا» في الجنوب السوري - المتوفى سنة (٧٩٢هـ) والذي نشأ بدمشق، وتفقه بها على علماء عصره، وبرع في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان، وتصدَّر للإفتاء والتدريس والإقراء عدة سنين، ونزل القاهرة بعد موت قاضي القضاة صدر الدين محمد بن التركماني الحنفي ليَلي القضاء بها عوضه، ونزل بمدرسة السلطان حسن ودرس فيها.

وإذا دخلت إلى المدرسة المالكية فإنك ستلاحظ زاوية الشيخ العلامة تاج الدين «أبوالبقاء الدميري القاهري (٨٠٥هـ)» من كبار فقهاء المدرسة المالكية بمصر.

كما ستتضح أمامك الجهود العظيمة للإمام العلامة اللغوي بدرالدين القرافي (ت: ١٠٠٨هـ) قاضي المالكية في مصر وشيخهم، وهو صاحب المصنفات ومنها: «القول المأنوس بتحرير ما في القاموس»، وغيرها، كما لا يخفى عليك التراث العلمي العظيم الذي تركه الإمام العلامة علي بن خضر بن أحمد

العمروسي (١١٧٣هـ) من كبار فقهاء مدرسة المالكية في مصر.

وأما العلامة بدرالدين الكرخي الشافعي نزيل مصر المتوفي سنة ١٠٠٧هـ، فكان يحاول أن يجدد كتب المذهب الشافعي في هذه المدرسة، ويقدم عليها شروحًا ليثري المذهب، وهو صاحب الحاشية الشهيرة «مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الإمامين الجلالين»، كما تظهر جلية الآثار العلمية للإمام الخطيب تاج الدين الزبيري أبوعبدالله المليجي الشافعي مولده بالقاهرة وسمع من علمائها، وحدَّث بها، وولّي نظر الحسبة بالقاهرة وخطب بمدرسة السلطان حسن وكان خيّرًا صالحًا منقبضًا عن الناس، مات في صفر سنة ٧٩٦هـ.

وللحنابلة وجودهم في مدرسة السلطان حسن، فمن أعلامها المشهورين سواء بمصنفاته أو بجهوده العلمية، العالم الجليل الذي كان يلقب بابن قاضي الجبل وهو أحمد بن الحسن بن عبدالله بن قدامة شيخ الحنابلة في عصره، صاحب كتاب: «الفائق» في فروع الفقه، ذهب في آخر حياته إلى دمشق وتولى القضاء فيها حتى وفاته سنة (٧٧١هـ).

كما نزل في مدرسة الحنابلة بجامع السلطان حسن ودرَّس فيها العلامة محمد بن سالم بن عبدالرحمن المفتي، حيث كان مقيمًا بالشام ثم توجه إلى مصر واستقر فيها حتى وفاته سنة (٧٧٧هـ).

ويذكر أن علماء المدارس الأربعة كانوا يقرأون القرآن من الصباح إلى الظهر في داخل قبة المدرسة، وكان من شروط الشيخ المقرئ أن يكون ملمًّا بالقراءات السبع.

وكان تخريج الطلاب في هذه

لا يزال الجامع حتى اليوم من الحصون العلمية المنيعة في أرض الكنانة

المدارس يتم عن طريق الإجازات، حيث يجلس خمسة أو ستة مشايخ كبار في الحديث وواحد في التفسير وواحد في القراءات وواحد في الفقه من كل مذهب، وكل واحد يلقي مسألة وتبدأ المناظرة بينه وبين الطالب.

الدور الخطير ومحاولة الهدم

أدى الموقع المتميز لجامع السلطان حسن دورًا خطيرًا في تاريخ مصر، فكان إذا ما حدثت ثورة أو فتنة بين الأمراء والسلطة الحاكمة تكون القلعة هي الشغل الشاغل للثوار في محاولة للسيطرة على مقر الحكم بالقلعة، ومن ثم كان جامع السلطان حسن هو الطريق إلى تحقيق هذه الغاية، فكثيرًا ما اعتلى الثوّار سطح الجامع ونصبوا مجانيقهم لضرب القلعة وهدمها على مَن فيها مثلما حدث في عصر السلطان برقوق عام ٧٩١هـ حين نصب الثوار المؤيدون لبيت أسرة قلاوون المكحلة على سطح الجامع، وضربوا القلعة وأدى ذلك إلى عزل السلطان برقوق، ولهذا بادر عند عودته للسلطنة مرةً ثانيةً بهدم السلالم الموصلة لسطح الجامع، وسدّ الباب الرئيسي للجامع، وفتح بدلًا منه شبَّاكًا على ميدان القلعة ليكون بابًا للدخول إلى الجامع.

ثم أعاد السلطان الأشرف برسباي ترميم سلالم الجامع، وسمح بالآذان من مآذنه، وأصلح الباب الرئيسي وذلك سنة ٨٢٥هـ، ولكن عاود الأمراء الثوار سنة ٨٤٢هـ الهجوم على القلعة مقر الحكم من سطح الجامع، فأمر السلطان جقمق آنذاك بهدم السلالم الموصلة لسطح الجامع، وفي عام ٩٠٢هـ في عهد الناصر محمد بن قايتباي حوصرت القلعة من جامع السلطان حسن، وضربت من أعلاها وردّت السلطة الحاكمة من القلعة وضُرب الجامع، وتعرض للتخريب إلا أن الأمير طومان باي أصلح ما حدث من تخريب به.

وحاول الأشرف جنبلاط هدم جامع السلطان حسن بالكليّة؛ حتى لا يستخدمه الثوار لضرب القلعة؛ ولكنه لم يستطع أن ينقب إلا جزءًا يسيرًا منها خلف المحراب، ومن ثمَّ أوقف الهدم. فلله الحمد والمنة.

وبعد هذه الأحداث الجسام التي مرَّت على هذا الجامع على مرّ الأيام إلا أنه لا يزال حتى اليوم من الحصون العلمية المنيعة في أرض الكنانة كما أنه مقصد من مقاصد السياحة لما يتمتع به من عراقة التاريخ وحسن البناء وفخامة المنظر والهيبة.

المصادر

١- معجم البلدان لياقوت الحموي.
٢- آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني.
٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي.
٤- تاريخ المساجد الأثرية، لحسن عبد الوهاب.
٥- جامع السلطان حسن لعماد عجوة.
٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي.
٧- الأعلام للزركلي.
٨- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي.
٩- الأمصار ذوات الآثار لشمس الدين الذهبي.
١٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٨٤/٤٣٠/ج.....بيع الأسهم

(أ) في حالة ما إذا كان الشخص مقتدرًا من الناحية المالية على الاكتتاب في أسهم مطروحة لشركة ما، ولا يعرف ما إذا كانت الشركة تتعامل بالربا أو ما شابهه من أعمال، ما هو حكم الشرع في ذلك؟

وإذا علم شخص ما بأن الشركة التي اكتتب فيها، بها أسهم تعاملت بأعمال الربا أو ما شابهه، فهل يبقى مستثمرًا في مساهمته بها أم يتخلص من الأسهم ببيعها؟ وهل يكون البيع جائزًا؟ وما حكم الشرع في الأموال التي يستلمها لتلك الأسهم؟

(ب) البنوك غير الإسلامية سواء المساهمة في أسهمها أو إيداع الأموال فيها، وكذلك البنوك المحلية التي تتعامل بالربا.. ما حكم الشرع في ذلك؟

أجابت اللجنة: إذا كان غالب تعامل هذه الشركة يؤول إلى الربا والمكاسب المحرمة فعليه أن يتخلص من الأسهم، والسبيل الوحيد للتخلص هو البيع، فإذا باع هذا السهم حل له ما يقابل رأس ماله والزيادة الناشئة عن الكسب الحلال، وأمّا الزيادة الناشئة عن الربا والمكاسب المحرمة فسبيل التخلص منها التصدق بها بإنفاقها في وجوه الخير العامة عدا بناء المساجد وطبع المصاحف. واللّه أعلم.

٨٣/٢٥/٦.....بيع وشراء الأسهم

تقدم أحد المساهمين بشركة بسؤال في اجتماع لمجلس إدارة شركته عن مدى جواز بيع الأسهم بالأجل بنسبة ربح لا تقل عن ١٠٠٪ فاختلف الأمر فرأينا أن نتوجه بالسؤال: مامدى شرعية بيع وشراء الأسهم بالأجل وبنسبة تتجاوز ١٠٠٪؟

وقد رأت اللجنة: بالنسبة لشرعية بيع وشراء الأسهم أنه يختلف الأمر تبعًا لنوع الأسهم، ولذا تم الاستيضاح هاتفيًا من مقدم السؤال فتبين أن تلك الأسهم نوعان:

١ . أسهم لشركات هي من النوع الوهمي الذي ليس له أي نشاط اقتصادي سائغ شرعًا، بل تتمثل موجوداتها في النقود المجموعة من المساهمين، ومثل هذه الأسهم ينطبق على بيعها وشرائها حكم الصرف، لما فيها من مقابلة النقد بالنقد، ويشترط للصرف التماثل في الكمية وتقابض البدلين في مجلس العقد. فإذا فقد أحد الشرطين- كما في السؤال لوقوع البيع بأجل- فالمعاملة محرمة شرعًا، ويجب ردها إلى الوجه المشروع على البدل المماثل لما دفع عند التأسيس.

٢- أسهم الشركات التي لها نشاط اقتصادي ولها مؤسسات فعلية نمت عن أموال التأسيس، وهذه يجوز بيعها وشراؤها كسائر السلع والممتلكات، لأن السهم هو جزء شائع منها، ويجوز تداول هذه الأسهم حالاً وبالأجل.

أما من حيث نسبة الربح فيجوز البيع والشراء بأي ثمن حصل به التراضي بعيدًا عن شوائب الرضا والتدليس، وتنفذ هذه المعاملات إذا وقعت من ذي أهلية تامة مهما تضاعفت الأرباح، لكن إذا وقع الشراء بأكثر من السعر العادي تحت ضرورة بغير حق فإنه يرد إلى سعر المثل للنهي عن بيع المضطر وشرائه.

على أنه لا بد من التحرز عن بيع العينة الذي يشتري فيه البائع عين ما باعه بثمن مؤجل أكثر مما باع به. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٣/١/٧.....بيع الأجل

١- هل بإمكاننا كشركة تعمل حسب النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يبعد كل البعد عن الربا وشبهته القيام بشراء وبيع كل من المواد الغذائية، وكذلك المواد الخام المعدنية بصورة فورية أو بالأجل. علمًا أننا في حالة شراء أي من هذه المواد لا نقصد استحضارها للكويت والاحتفاظ بها وبيعها مفرقة، بل شراؤها من مصادرها التي ربما تكون أوروبا وأمريكا ودفع بعض المصاريف كالتخزين والتأمين طبقا للأنظمة المتبعة في هذه الدول، ثم في حال توافر بعض فرص مناسبة وارتفاع أسعار هذه المواد نقوم ببيعها فورًا أو بالأجل.

أجابت اللجنة: إذا كانت هذه الأشياء المشتراة معينة جاز شراؤها بسعر حال أو مؤجل، أما إن لم تكن معينة وجب أن تكون مبينة الجنس والنوع والصفة، وأن يكون الثمن حالا، أو على الأقل لا يشترط تأجيله، لأن هذا من قبيل السلم ولا يجوز أن يؤجل البدلان جميعًا وإلا كان بيع كالىء بكالىء (أي دين بدين) وهو منهي عنه شرعًا. ثم إنه لا يجوز لمن اشترى هذه الأصناف أن يبيعها إلا بعد حيازتها بنفسه أو نائبه بطريقة من طرق الحيازة ولا سيما إذا كانت من قبيل الأطعمة، ويلاحظ أن أي سلعة إذا اشتريت بثمن آجل فلا يجوز أن تباع لمن اشتريت منه بسعر فوري أقل. وكذا إذا اشتريت بسعر فوري فلا يجوز أن تباع ممن اشتريت منه بسعر أجل أعلى إذا كانت هناك مواطأة سابقة من هاتين الصورتين، وعلى العموم فلا يجوز اتخاذ البيع وسيلة للإقراض بفائدة ربوية، ويستثنى مما تقدم بيع الذهب والفضة خامًا أو مسكوكًا بثمن مؤجل فذلك غير جائز ويشترط التقابض في المجلس. والله أعلم.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رقم ٤ في الدورة ١٥) بشأن حكم بيع التورق

بعد التداول والمناقشة، والرجوع إلى الأدلة والقواعد الشرعية وكلام العلماء في هذه المسألة قرر المجلس ما يلي:

أولاً: أن بيع التورُّق هو شراء سلعة في حوزة البائع وملكه، بثمن مؤجل، ثم يبيعها المشتري بنقد لغير البائع، للحصول على النقد (الورق).

ثانيًا: أن بيع التورق هذا جائز شرعًا، وبه قال جمهور العلماء، لأن الأصل في البيوع الإباحة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ (البقرة: ٢٧٥). ولم يظهر في هذا البيع ربًا لا قصدًا ولا صورة، ولأن الحاجة داعية إلى ذلك لقضاء دين، أو زواج أو غيرهما.

ثالثًا: جواز هذا البيع مشروط بألاَّ يبيع المشتري السلعة بثمن أقل مما اشتراها به على بائعها الأول، لا مباشرة ولا بالواسطة، فإن فعل فقد وقعا في بيع العينة المحرَّم شرعًا، لاشتماله على حيلة الربا فصار عقدًا محرمًا.

رابعًا: إن المجلس- وهو يقرر ذلك- يوصي المسلمين بالعمل بما شرعه الله سبحانه لعباده من القرض الحسن من طيب أموالهم، طيبة به نفوسهم، ابتغاء مرضاة الله، لا يتبعه منّ ولا أذى، وهو من أجل أنواع الإنفاق في سبيل الله تعالى، لما فيه من التعاون والتعاطف، والتراحم بين المسلمين، وتفريج كرباتهم، وسد حاجاتهم، وإنقاذهم من الإثقال بالديون، والوقوع في المعاملات المحرمة، وأن النصوص الشرعية في ثواب الإقراض الحسن، والحث عليه كثيرة لا تخفى، كما يتعين على المستقرض التحلي بالوفاء، وحسن القضاء، وعدم المماطلة.

قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم ٦٩ (٧/٧) بشأن الغزو الفكري

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ٧-١٢ ذي القعدة ١٤١٢هـ- الموافق ٩- ١٤ أيار (مايو) ١٩٩٢م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الغزو الفكري، يوصي بما يلي:

أولاً: العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذها منهجًا في رسم علاقاتنا السياسية المحلية منها والعالمية.

ثانيًا: الحرص على تنقية مناهج التربية والتعليم والنهوض بها بهدف بناء الأجيال على أسس تربوية إسلامية معاصرة وبشكل يعدّهم الإعداد المناسب الذي يبصرهم بدينهم ويحصنهم من كل مظاهر الغزو الثقافي.

ثالثًا: تطوير مناهج إعداد الدعاة من أجل إدراكهم لروح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية بالإضافة إلى اطلاعهم على ثقافة العصر ليكون تعاملهم مع المجتمعات المعاصرة عن وعي وبصيرة.

رابعًا: إعطاء المسجد دوره التربوي المتكامل في حياة المسلمين لمواجهة كل مظاهر الغزو الثقافي وآثاره وتعريف المسلمين بدينهم التعريف السليم الكامل.

خامسًا: ردّ الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بطرق علمية سليمة تزيد ثقة المؤمن بكمال هذا الدين دون اللجوء إلى أساليب الدفاع التبريري الضعيف.

سادسًا: الاهتمام بدراسة الأفكار الوافدة، والمبادئ المستوردة، والتعريف بمظاهر قصورها ونقصها بأمانة وموضوعية.

سابعًا: الاهتمام بالصحوة الإسلامية ودعم المؤسسات العاملة في مجالات الدعوة والعمل الإسلامي لبناء الشخصية الإسلامية السوية، التي تقدم للمجتمع الإنساني صورة مشرقة للتطبيق الإسلامي، على المستوى الفردي والجماعي، وفي كل مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.

ثامنًا: الاهتمام باللغة العربية والعمل على نشرها، ودعم تعليمها في جميع أنحاء العالم، باعتبارها لغة القرآن الكريم، واتخاذها لغة التعليم في المدارس، والمعاهد، والجامعات، في البلاد العربية والإسلامية.

إعداد: خالد خلاوي

الذاكرة والتميز

من سمات المتميزين والناجحين أنهم يتمتعون بذاكرة قوية ونشاط ذهني فعّال ومستمر، وذلك يعني قدرة كبيرة ومدهشة على الملاحظة والفهم والحفظ، وقدرة على التمييز والمقارنة، ومن ثم القدرة على التركيز، والذاكرة الجيدة تعني أيضًا أداء الأعمال بكفاءة ونجاح، ولذلك على كل واحد منا أن يراجع ذاكرته ويفحصها ويعمل على تنميتها باستمرار، لأن العقل والجسم نظام واحد يؤثر كل منهما على الآخر.

والذاكرة نعمة من الخالق جل وعلا وهي ثروة الإنسان ومخزن علمه وفكره، وهي أشبه بمخزن فسيح يفيض بالمعلومات والمناسبات والأحداث اليومية والانفعالات التي تزخر بها الحياة.

يقول أليكساندر سميث: إن أملاك الإنسان الحقيقية هي ذاكرته، بها فقط يكون غنيًا، وبدونها يكون فقيرًا.

ويقول توني لوزان عن أهمية الاهتمام بالذاكرة وتنميتها: هناك الآن دليل متنام على أن ذاكرتنا قد لا تكون فقط أفضل بكثير مما نعتقد ولكنها في الحقيقة قد تكون رائعة، و قد تضعف ذاكرتك بمرور العمر إذا لم يتم استخدامها، وعلى العكس فإنها تظل تتحسن طوال حياتك إذا ما أحسن استخدامها.

وأفضل استخدام للذاكرة هو حفظ كتاب الله تعالى.

والآن هل تريد أن تتمتع بذاكرة قوية؟ لنستمع في إجابة هذا السؤال إلى نصائح وتجارب وخبرات متنوعة ممن متعهم الله بذاكرة جيدة وقوة كبيرة على الحفظ والاسترجاع.

ولنبدأ مع الإمام الشافعي فقد وهبه الله سبحانه قدرة هائلة على الحفظ، وعرف أن حفظ العلم موهبة من عند الله تعالى، فوجب حفظها بتقوى الله وترك معصيته، يقول الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نـور
ونور الله لا يهدى لعاصي

وسأل رجل مالك بن أنس: يا أبا عبدالله.. هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي.

ونبقى مع نصائح علماء الإسلام الذين عرفوا بذاكرة حديدية، ومن نصائحهم:

- النية الخالصة لله عز وجل في طلب العلم، وتجديد النية دائما، و قد جاء عن عدد من علماء السلف انه شرب زمزم بنية قوة الحفظ فحصل له ذلك.

- الدعاء وطلب العون من الله في طلب العلم والفهم والحفظ.

- كثرة ذكر الله عزّ وجلّ من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وغيرها، قال الله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾.

- الفهم والعمل من أهم وسائل الحفظ، قال أبوعبدالرحمن السلمي: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها، وقال الشعبي: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به.

- الاهتمام والتركيز على ما تريد حفظه، قال البخاري: لا أعلم شيئًا أنفع للحفظ من نهمة الرجل.

- الأخذ بأسباب صحة الجسم وتناول الأغذية الصحية التي تعين المخ على القيام بعمله بشكل جيد، قال الزهري: عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ وهو شفاء لمختلف أعضاء الجسم ومنها الذاكرة.

- التعود على الحفظ وجعله من السمات الملازمة لشخصيتك، قال العسكري: أول الحفظ شديد، يشق على الإنسان، ثم إذا اعتاد سهل.

وبالإضافة إلى نصائح علماء السلف إليك الوصايا العشر من أجل اكتساب ذاكرة مدربة لخبير التنمية البشرية إبراهيم الفقي من كتابه «كيف تقوي ذاكرتك» وهي:

١- التحفيز: إنه لمن المهم بدرجة كبيرة أن تكون محفزًا بما يكفي لأن تمتلك العزيمة القوية والرغبة في التذكر.

٢- التصميم: إنك عندما تعتزم التذكر، يصبح عقلك منتبها ويقظًا بشكل كامل حتى يساعدك على التذكر.

٣- الاهتمام: إن البشر يتعلمون أكثر عندما يكون لديهم اهتمام بما يتعلمونه.. فمثلا قد لا يتفوق طالب في المدرسة لكنه يبلي بلاءً حسنًا في لعبة مثل الهوكي لأنه يهتم بهذه اللعبة أكثر من اهتمامه بالدراسة في المدرسة.

٤- الفهم: إن فهمك وتركيزك على موضوع ما أو حتى اسم ما، يجعلانك قادرًا على تذكره.

٥- الانتباه: عندما يتم تقديمك إلى شخص ما، احرص على أن تنتبه جيدًا، وإذا لم يكن اسمه واضحًا عليك أن تسأل عنه مرة أخرى.

٦- الثقة: إن فقدان الثقة يعد واحدًا من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الفشل. ثق تماما أن ذاكرتك لن تخذلك وامضِ في طريقك.

٧- الأساليب: إنه ليس من الضروري أن تكون محفزًا فحسب، بل إنك بحاجة لأن تكون عالمًا بأساليب تدريب الذاكرة.

٨- التعزيز والتدعيم: إن التكرار هو سيد الموقف في عملية التعلم، و تكرارك للمعلومات سوف يؤكدها ويدعمها في بنك ذاكرتك.

٩- تخزين المعلومات: ينبغي أن يتم حفظ المعلومات التي تتلقاها بشكل منظم حتى تستطيع أن تجدها بسهولة في الوقت الذي تحتاجها فيه.

١٠ - الممارسة: إن القاعدة الثابتة التي لا تتغير في الرياضة أو في العمل هي أنه ينبغي عليك ممارسة مهارتك حتى تصبح متأصلة فيك.

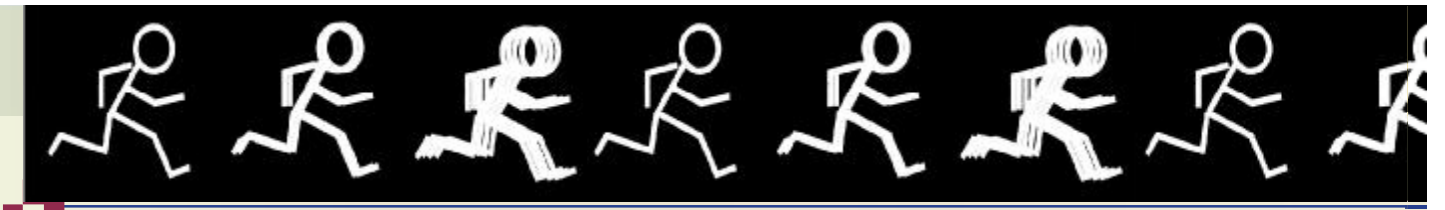

صور من حياة المتميزين

اختبار في قوة الذاكرة

وهب الله الإمام البخاري منذ طفولته قوة في الذكاء والحفظ من خلال ذاكرة قوية تحدى بها أقوى الاختبارات التي تعرض لها في مواقف عدة، وأثبت بها جدارته ليكون أمير المؤمنين في الحديث وصاحب الصحيح الجامع وهذه بعض من الاختبارات التي تعرض لها وترويها كتب السير والتراجم.

يقول محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبدالله: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم.

فأخذ القلم مني وأحكم (أصلح) كتابه وقال: صدقت.

فقيل للبخاري ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال ابن إحدى عشرة سنة.

ولما بلغ البخاري ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع.

وقال محمد بن أبي حاتم أيضا: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان أبوعبدالله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع؟ فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما إنكما قد أكثرتما علي وألححتما فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

وفي يوم من الأيام قَدِمَ البخاريُّ بغدادَ فسمع به أصحابُ الحديث، فاجتمعوا وجاءوا بمائة حديث غير مُرتبة من حيث تسلسل الرواة، ودفعوا إلى كل واحد عشرةَ أحاديثَ ليلقوها على البخاريّ في جَمْع من الناس ليختبروا قوةَ حفظه، وبدأ كلٌّ واحد منهم يُلقي أحاديثه والبخاريُّ يَرُدُّ بقول واحد: لا أعرفه، ولما انتهى الرجالُ العشرةُ من إلقاء الأحاديث المائة، ظنّ كثيرٌ من الحاضرين أن البخاريَّ ضعيفُ الحفظ، ولكنهم فوجئوا بالإمام البخاري يلتفتُ إلى الرجل الأول منهم فقال له: أمّا حديثك الأول فكذا، ويَذكر له نص الحديث بالترتيبa الصحيح للرواة، والثاني كذا، والثالث كذا، وهكذا حتى ذكر لهم الأحاديثَ المائة كلَّها!! فشهد له الناسُ بقوة الحفظ التي وهبها له اللهُ سبحانه وتعالى.

كلمات في التميز

الذاكرة

درب عقلك على الإمساك بزمام المبادرة دائمًا.. كن الفعل ولا تكن رد الفعل.

دقة الملاحظة سبيلك إلى ذاكرة جيدة .

ديل كارنيجي

العقل مثل العضلة كلما مرنته كلما زادت قوته.

تشارلز ديكنز

إذا كان ما جمعته من العلم قليلا وكان حفظًا كثرت المنفعة به، وإذا كان كثيرًا غير محفوظ قلت منفعته.

العسكري

العقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة اذا ركز تركيزا قويا حادا.

وليم مولتون مارستن

إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه للخطيئة كان يعملها.

عبد الله بن مسعود

إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.

الزهري

إعداد: هالة محمد

الصين قد تسبق أميركا قريبًا في الإنجاز العلمي

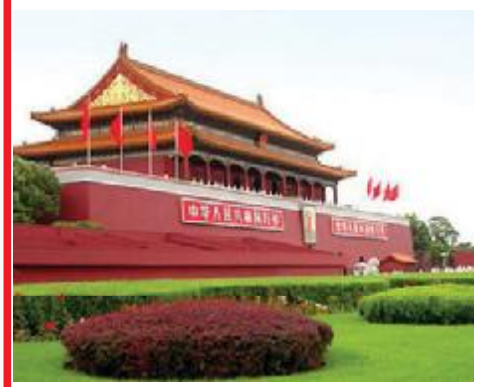

أظهرت دراسة بريطانية أجرتها الجمعية الملكية البريطانية للعلوم أن الصين في طريقها لتسبق الولايات المتحدة الأميركية في عدد الإنجازات العلمية بحلول عام ٢٠١٣م، وستعود بشكل بارز إلى ساحة الاختراعات، وهي الدولة التي اخترعت البوصلة والبارود والورق والطباعة في العصور القديمة، وتظهر الدراسة أنه في عام ١٩٩٦م نشرت الولايات المتحدة «٢٩٢٥١٣» بحثًا، وفي عام ٢٠٠٨م ارتفع عدد الأبحاث الأميركية بشكل بسيط إلى ٣١٦٣١٧ بحثًا مقابل ارتفاع كبير في عدد الأبحاث الصينية التي وصلت إلى ١٨٤٠٨٠ بحثًا.

وكانت الدراسات الأولية قد أشارت إلى أن الصين قد تسبق الولايات المتحدة الأميركية عام ٢٠٢٠م، من حيث الإنجازات، إلا أن الدراسة الجديدة تظهر أن الصين بعد أن احتلت مكان بريطانيا في المرتبة الثانية قد تسبق الولايات المتحدة الأميركية خلال سنتين فقط، ويشدد التقرير على أن وصول الصين إلى الصدارة لا يعني أن الإنجاز الأميركي يتراجع، وقد يدفع ذلك دولًا مثل اليابان وفرنسا إلى رفع إنجازاتها العلمية.

حوض الأمازون يفقد خضرته

يتزايد تراجع الاخضرار في غابات الأمازون بشكل جعل مساحته أكبر ثلاث مرات من حجم ولاية تكساس الأميركية، وقال الباحث في جامعة بوسطن «ليانغ شو»: إن تفشي الجفاف العام كان له أثر دراماتيكي على صحة غابات الأمازون المطيرة.

وحدد العلماء الذين استخدموا بيانات أقمار صناعية تاريخية بأن يكون التغيير المناخي والتغيير في أنماط تساقط المطر قد تسبب بتحول الغابات المطيرة إلى مراع وغابات (سافانا) وقالوا: إن الجفاف في عام ٢٠٠٩م خفف من اخضرار ٩٦٥ ألف ميل مربع من منطقة الأمازون النباتية.

أبقار معدلة وراثيًا تنتج حليبًا بشريًا!

نجح علماء صينيون في إدخال جينات بشرية إلى ٣٠٠ بقرة تنتج اللبن لإنتاج ألبان لها نفس خواص لبن يحتوي على بروتين بشري يسمى «الليزوزيم»، ويحتوي الحليب البشري على كميات مرتفعة من المغذيات المهمة التي تساعد في تعزيز نظام المناعة والجهاز العصبي المركزي لدى الأطفال الرضع، وتقيهم خطر الإصابة بالعدوى، ولا تتوافر هذه المكونات في حليب البقر والماعز، ويؤكد العلماء أن الحليب الناتج من قطعان الأبقار المعدلة وراثيًا سيكون أمينًا بقدر حليب البقر العادي، ويمكن أن يوفر بديلًا لحليب الأم والحليب الاصطناعي للأطفال الرضع الذي كثيرًا ما ينتقد باعتباره بديلًا أقل درجة.

للمرة الأولى.. دودة القز تنتج حريرًا ملونًا!!

نجح علماء في سنغافورة في حث دودة القز على إنتاج حرير ملون، وذلك بعد تغذيتها بمسحوق ورق التوت مخلوط بأصباغ منتقاة.

وكانت عملية تلوين الحرير تحتاج في السابق لكثير من المياه والطاقة والمواد الكيميائية.

وأشار الباحثون من جامعة سنغافورة الوطنية في دراستهم إلى أن الطريقة الجديدة أكثر صداقة للبيئة وأقل كلفة، وأنها تفتح الباب أما الحصول على مواد صناعية ذات استخدامات جديدة مثل الاستخدامات الطبية.

ينتج الحرير الأصلي من دود القز الذي يتغذى بالدرجة الأولى على ورق التوت، لكن الباحثين خلطوا صبغيات فوسفورية من النوع «ب» مع مسحوق ورق التوت الذي تتغذى عليه دودة الحرير، فوجدوا أن الدود الذي غذي على هذا الخليط لم ينتج حريرًا أحمر فقط، بل أصبح هو نفسه أحمر تمامًا بعد ساعة من تغذيه على هذا المزيج، وتكرر الشيء نفسه مع الصبغيات ذات الدرجة ١٠١ (بنفسجي) والدرجة ١١٠ (أخضر)، وأنتج دود القز حريرًا باللون الوردي وآخر باللونين الأخضر والأصفر تحت تأثير الأشعة فوق البنفسجية.

كما استطاع الباحثون الحصول على حرير طبيعي بألوان أخرى باستخدام مزيج من الصبغيات اللونية المناسبة للون المراد الحصول عليه، وأكدوا أن الحرير الفوسفوري الجديد يصلح للاستخدامات الطبية.

نجم سماوي بارد!

أكد فريق من فلكيين فرنسيين وأميركيين في المرصد الفلكي الأوروبي انهم عثروا على جرم سماوي بارد يشبه النجم، وأنه يصنف ضمن الأقزام البنية، وهي الاجرام السماوية التي يزيد حجمها على الكوكب ويقل عن الحجم الذي يسمح له بالحفاظ على نيران المحلول النووي بداخله، وهي النيران التي تجعل النجوم مضيئة.

وأكد المرصد الفلكي الأوروبي في مدينة جارشينغ جنوب ألمانيا أن «درجة حرارة هذا الجرم تشبه درجة حرارة كوب الشاي الساخن»، وتبين للباحثين أن درجة حرارة القزم الفلكي الأضعف ضوءًا في النجمين لا تزيد على ١٠٠ درجة مئوية، وللمقارنة فإن درجة حرارة الطبقة الخارجية للشمس تبلغ نحو ٥٥٠٠ درجة مئوية.

من هنا وهناك

● تمكن علماء أميركيون من تنمية أول قلب بشري في المختبر، ومن المتوقع أن يبدأ بالخفقان خلال الأسابيع المقبلة، وقال هؤلاء العلماء: إنهم استطاعوا تنمية القلب عبر استخدام قلوب بشرية من متبرعين متوفين وإفراغها من الخلايا ثم حقنها بخلايا جذعية تكاثرت ونمت حول الهيكل لتصبح تدريجيًا خلايا قلب سليمة.

● عثر علماء آثار بريطانيون على دماغ بشري محفوظ بشكل جيد، يعتقد أنه واحد من أقدم الأدمغة البشرية التي تعود إلى شخص من العصر الحديدي البريطاني قتل في طقس تقليدي، وفوجئ العلماء بأن الأنسجة الطرية محفوظة داخل الدماغ الذي يعتقد أنه يعود إلى ٢٠٠٠ سنة.

● قالت الجمعية الطبية الألمانية: إن حبوب الأدوية الخالية من أي تأثير يمكن أن تلعب دورًا فعالًا للحالات الصغيرة وهي من دون آثار جانبية.

● في بحث جديد قال العلماء: إن مادة غراء النحل أو «البرو بوليس» الموجودة في فقرات النحل تلعب دورًا فعالًا في مكافحة نوع من البكتيريا يصعب علاجه بواسطة الكثير من الأدوية.

● باحثون سويديون أكدوا، بعد اختبارات تمت لعشر سنوات وشملت أكثر من ٧٠ ألف عينة دم، أن كمية إشعاعات الشمس تؤثر في مدى فعالية الأدوية، فكلما زاد تعرض الإنسان للشمس زادت الحاجة إلى كمية أكثر من الأدوية.

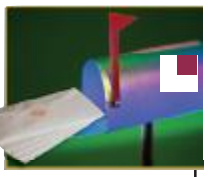

من أجمل ما قرأت!

التداوي بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

«إن القرآن العظيم شفاء من كل داء، والآية عامة في أنه شفاء».

قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ (الاسراء: ٨٢)، وقد أخبر الله تعالى عن كتابه الذي أنزله على رسول محمد ﷺ وهو القرآن بأنه ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت:٤٢)، إنه القرآن الكريم يشفي القلوب والأبدان من الأمراض المختلفة إذا صح اليقين في ذات الله تعالى القادر على كل شيء.

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها وترقيها، فقال ﷺ «عالجيها بكتاب الله» (رواه ابن حبان).

وقال الإمام ابن القيم (رحمه الله) «ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة، لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة يقريني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعا».

وقال صاحب كتاب «عالج نفسك بالقرآن»: «وإني لأذكر قصة فتاة مغربية كانت مصابة بالداء الخبيث (السرطان) وقد صالت وجالت بين الأطباء والمشعوذين والكل يحاول ولكن بلا فائدة، فالداء يسري وينتشر، أيامها في نظهر هؤلاء ونظرها معدودة، ولكن شعرت برغبة حاسمة في أداء العمرة، فعزمت وتوكلت على الله وذهبت إلى مكة المكرمة وأدت العمرة وقررت أن تعكف في الحرم على كتاب الله تلاوة وتدبرًا مع الصيام والإفطار بالتمر وماء زمزم، وكذلك السحور، واستمرت على هذا الحال ما يقارب الشهر، فإذا بها تشعر بالقوة والحيوية، والنشاط، فأسرعت لإحدى المستشفيات، وكانت المفاجأة العظيمة بفضل الله ثم بقراءة القرآن، لقد شفيت تمامًا.

فينبغي على العبد الموقفن بكلام رب العالمين أن يعلم أن القرآن شفاء للأمراض كلها النفسية، والعصبية، والعضوية، فيقرأه ويتداوى به، ويرقي نفسه بآياته أيا كان نوع المرض والوباء في أي عصر من العصور حتى قيام الساعة مع الأخذ بالأسباب المتاحة للشفاء.

وكذلك السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل وأتم التسليم، فإنها شفاء كذلك، فقد روي عن الخطيب البغدادي أن الرمادي (رحمه الله).

كان إذا اشتكى شيئًا قال: هاتوا أصحاب الحديث، فإذا حضروا قال: أقرأوا علي الحديث، هذا وقد سبق بيان ما في القرآن الكريم وهو أولى أن يعالج به وكلاهما وحي من الله تعالى مع الأخذ بأسباب الشفاء قال تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ (الشعراء:٨٠).

ناصر كشيك محمد نصر

المساواة بين الأحكام الوضعية والشريعة الإسلامية

المساواة لغة من مادة «سوا» وهي «المماثلة والمعادلة»، فيقال ساوى الشيء الشيء إذا عادله، ويقال فلان وفلان سواء أي متساويان، وسواء الشيء: مثله، والجمع أسواء، ومنه: استوى الشيئان وتساوى: تماثلا.

وأما المعنى الاصطلاحي للمساواة فقد عرفها الجرجاني بأنها تماثل كامل أمام القانون وتكافؤ إزاء الفرص، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميع.

وتمثل المساواة حجر الزاوية لكل حقوق الإنسان، وهي كذلك الضمانة الرئيسية والفعالة ليعيش الإنسان حياة كريمة، وهي الأساس التي تقوم عليه الحريات العامة، ولذا كان من البديهي أن تحرص الدساتير والتشريعات الحديثة على النصن ضمن نصوصها على مبدأ المساواة بين جميع المواطنين، فلا تمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللون أو اللغة أو العقيدة الدينية أو السياسية.

فاذا كان هذا هو الحال في ظل الدساتير والإعلانات التي هي من صنع البشر فكيف الحال في ظل الشريعة الإسلامية التي تصلح لكل زمان ومكان، ولعل ما يؤكد ذلك هو أن من يمعن النظر في هذه النصوص سيجد أنها مستقاة من أحكام الشريعة الإسلامية، وكيف لا والشريعة الإسلامية سباقة ولها حق الريادة في هذا المجال.

إبراهيم عبدربه إبراهيم

صلاة الجمعة.. المواجهة الأسبوعية

يعتقد كثيرون أن إسرائيل باحتلالها للأراضي العربية هي الأقوى ولكن في الحقيقة لا.. إن هناك تفاصيل صغيرة تؤكد أن هذا الجيش الجرار يرتعد رغم كل الإجراءات التي يتخذها لنفسه من حصار وجنود مدججين بجميع أنواع السلاح وتؤكد كذلك أنه مازال ضعيفًا هشًا بل ورعديدًا!!

إن هناك مثالًا بسيطًا يؤكد هذا المعنى ويوضح إلى أي مدى ترتعد إسرائيل، فإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة في المسجد الأقصى تتحول إسرائيل إلى دولة في حالة حرب، تستنفر الجنود والشرطة بل والجهاز القمعي كله من أجل منع سكان القدس من التوجه لأداء الصلاة ولا تستثني من ذلك إلا من هم فوق الخمسين وكأن من بلغ الخمسين يخاصم النخوة وتموت في عروقه الوطنية والغيرة على بلده وأرضه وعرضه، انظروا إلى غرور إسرائيل وهي تظن أنها عندما وضعت شرط السن للصلاة في المسجد الأقصى ستحد من تدفق سكان القدس على أولى القبلتين، لكن اليهود لا يعرفون، أن إسرائيل تضع المتاريس أمام سكان الضفة الغربية حتى لا يذهبوا للصلاة في الأقصى، يخشون من اندلاع انتفاضة ثالثة وكأن الانتفاضة قاصرة على أرض بعينها، لكن إسرائيل تخطئ الحسابات.. صحيح أن أهالي نابلس وجنين يجدون صعوبة كبرى في الدخول للصلاة بالمسجد الأقصى إلا لمن هم فوق الخمسين، لكن أهل حيفا ويافا يتقدمون للصلاة في المسجد الأقصى، إنهم عرب ١٩٤٨م الذين تصورت إسرائيل أنها استأنستهم وأعطتهم جنسيتها وأصبحوا مواطنيها، هؤلاء لا يخذلون أهلهم في الضفة الغربية من حيفا ويافا الوطن الأم.. حيث يتقدمون إلى المسجد حيث لا تستطيع إسرائيل منعهم فيملأون القاعات والردهات والساحات بالآلاف.. آلاف المصلين في منظر ينعش القلوب المسلمة ويدمي قلوب المحتلين الصهاينة.

إنها فقط مجرد صلاة جمعة، لكنها في حقيقة الأمر مواجهة أسبوعية مع إسرائيل، هذه المواجهة الأسبوعية تؤكد أن الجذوة لم تنطفئ، الانتفاضة يمكن أن تندلع من جديد، في أي وقت على الرغم من أنهم يحملون جنسيتها، إن الجنسية الإسرائيلية لم تلغ البذرة العربية، إن الهوية لا تغير الدم العربي الفلسطيني، إن نجمة داود على البطاقة الشخصية وجواز السفر لم تغير الدم العربي الحار، سيحدث الفوران حتى لو ختموا عليهم بعشرات من نجمة داود وغيرها من المظاهر اليهودية.

إن إسرائيل تعربد في المنطقة مستخدمة أسلحتها ودعم أميركا وأوروبا لها وتشعر بالسرور من الانقسام الفلسطيني وتعذر المصالحة، لكنها تنسى دائمًا أن «الثورة» إذا قامت لن يكون هناك عرب إسرائيل أو عرب الضفة، لن يكون هناك غزة أو رام الله، هنالك سيصرخ الجسد كله من الحمى الصهيونية وينتفض ولن تحمي إسرائيل مدافعها وقنابلها النووية وصواريخها وطائراتها، ستصرخ وتنتقم لكن الانتقام العربي بعد الثورة المباركة سيكون الأعنف.

محمد السيد عامر

هل تبيعين ولدك بمليون جنيه؟

لعلك تذكرين، إذا كنت أمًا، كثيراً من ثوراتك على أطفالك وغضبك منهم ودعائك عليهم بالويل والعذاب وكثرة الصياح في وجوههم، حين يقلبون لك البيت رأسًا على عقب، أو يكسرون لك تحفة ثمينة أو زجاج نافذة أو يخربون جهازًا من أجهزة البيت الكهربائية، وقد تتمنين لو أنك لم ترزقي بهم، وقد تحسدين جارتك فلانة التي جعلها الله عقيمًا فارتاحت من الأطفال وعبثهم، وقد تتخيلين الحياة الهادئة التي كنت ستنعمين بها، لو لم يأت أطفالك إلى هذه الدنيا.

ولكن انظري إليهم وهم نائمون، تعلو وجوههم البراءة، أو راقبيهم وهم يلعبون بحماسة طفولية محببة، أو كلماتهم التي تنطلق من ألسنتهم بعفوية صادقة، أو تذكري اندفاعهم العاطفي القوي نحوك وضعفهم الشديد حين يصادفهم ما يقلقهم أو يخيفهم، ستهدأ ثورتك وينطفئ غضبك ويشيع الحب في حنايا نفسك، وتنسين شقاوتهم.

واقرئي قصة الإنجليزية «مارجريت إدواردز» التي كانت قد ضاقت بنشاط صغيرها مارتن (٣ سنوات) وقررت أن تتخلص منه بأي ثمن معقول، وبالفعل فقد نشرت إعلانًا في إحدى الصحف تعرض فيه للبيع ولدها الصغير، ولكنها حين راقبته يتدحرج فوق الثلج ويلهو ويركض، تراجعت قائلة: «لن أبيعه ولو بمليون جنيه».

إذا أردت أن تبيعي صغيرك فأرسلي لنا على العنوان التالي «جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين» واكتبي على الظرف من الخارج «من أم ترفض هدية ربها».

ستجدين الكثيرات ممن حرمن من هذه النعمة لشراء ما تعرضين، وإلا فاحمدي ربك على نعمة الإنجاب وأحسني إليهم ويكفيك بأن تنادي أمي يا أمي.

محمد الوكيل

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

شهر رجب

سمي بذلك لتعظيمهم إياه عن القتال، وهو من رجب الشيء أي: هابه. ويقال: رجل مرجب أي: معظم مهاب، وسمي رجب: «مضر» لأن مضر كانت تعظمه أشد تعظيم.

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة، وأما صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء».

(لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ص٢٢٨)

بئس العبد

«بئسَ العبدُ عبدٌ تخيّلَ واختال ونسيَ الكبيرَ المتعالِ، بئسَ العبدُ عبدٌ تجبّرَ واعتدى ونسيَ الجبّارَ الأعلى، بئسَ العبدُ عبدٌ سها ولها ونسيَ المقابرَ والبِلى، بئسَ العبدُ عبدٌ بغى واعتدى ونسيَ المبدأَ والمنتهى، بئسَ العبدُ عبدٌ يَخْتِلُ الدنيا بالدِّينِ، بئسَ العبدُ عبدٌ يَخْتِلُ الدِّين بالشُّبهاتِ، بئسَ العبدُ عبدٌ يصُدُّهُ الرعبُ عن الحقِّ، بئسَ العبدُ عبدٌ طمعٌ يقودُهُ، بئسَ العبدُ عبدٌ هوىً يُضِلُّهُ».

(الزهد والورع والعبادة لابن القيم)

ابتسامة «أربعة دوانق»

«كان مروانُ بنُ أَبي حَفْصة مِنْ أبخل النّاس، فخرج يريد المهدي، فقالت له امرأته: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ قال: إنْ أُعطيتُ مائة أَلف درهم، أَعطيتك درهمًا، فأُعطِيَ ستين ألف درهم، فأَعطاها أَربعة دوانق».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة)

ولدني أبوبكر الصدّيق مرتين

تزوج «محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» من «أُم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق» فولدت له جعفر الصادق.

وكان جعفر الصادق يقول: «ولدني أبوبكر الصديق مرتين» لأن أمه «أم فروة» هي بنت كل من «القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق» و«أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق»، فهي من أبناء أحفاد أبي بكر الصديق من جهة الأب ومن جهة الأم.

(الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة)

أول من دوّن الحديث النبوي

أول مَنْ دوّن الحديث النبوي «محمد بن مُسْلم بن عبدالله بن شهاب الزهري» تابعي جليل، وأحد أكابر الحفّاظ والفقهاء في المدينة، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث، نصفها مُسْنَد.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «الزهري أحسن النّاس حديثًا وأجود النّاس إسنادًا»، وهو أول من دوّن الحديث النبوي الشريف، وذلك في خلافة عمر بن عبدالعزيز وبإشارة منه، فقد كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو رسالة يقول فيها: «أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته أو حديث عُمر أو نحو هذا فاكتبه لي، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء»، وقال أبوالمليح: «كان هشام هو الذي أكره الزهري على كتابة الحديث، فكان الناس يكتبون بعد ذلك».

(البداية والنهاية لابن كثير. معجم الأوائل)

من درر السّلف

ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل تركها:

١- علم يحث على عمل نافع في المعاد.

٢- وطبّ يكف به البدن الأسقام.

٣- وصناعة يستعين بها على المعاش.

وقالوا أيضًا: ثلاثة لا يتهمون:

١- المخبر عن سقمه.

٢- والمقر على نفسه.

٣- والذي يدعو الناس إلى الأخذ بما يعمل به.

(إحياء التراث فيما جاء في السبع والثلاث)

الرزق

الرِّزْقَ بِالْحَظِّ وَالْجَدِّ، لَا بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، حِكْمَةً مِنْهُ تَعَالَى يَدُلُّ بِهَا عَلَى قُدْرَتِهِ وَإِجْرَاءِ الْأُمُورِ عَلَى مَشِيئَتِهِ.

وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: لَوْ جَرَتِ الْأَقْسَامُ عَلَى قَدْرِ الْعُقُولِ لَمْ تَعِشِ الْبَهَائِمُ.

فَنَظَمَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ:

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلُ...
وَيُكْدِي الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمُ
وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا...
هَلَكْنَ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ

(أدب الدنيا والدين للماوردي: ٤٢/١)

العزلة

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ (مريم: ٤٨).فعوضه الله النصرة بالذرية الطيبة قال تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا﴾ (مريم: ٤٩).

وقال ﷺ: «إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم، وخفت أمانتهم، وكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ فقال ﷺ: «الزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع عنك أمر العامة» (رواه أبوداود).

والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء الألباء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذرا لاسيما في هذا الزمان القليل خيره البكيء دره وبالله نستعيذ من شره وريبه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: خذوا بحظكم من العزلة، وقال أيضًا: في العزلة راحة من خليط السوء، وقال العلامة ابن سيرين: العزلة عبادة.

(العزلة للخطابي: ٨/١)

عتاب على انقطاع المواصلة

قال الشيخ صالح بن أحمد النصيري الرادعي معاتبًا الشيخ اسماعيل بن أحمد القحيف على انقطاعه عنه:

أنا أقضي عهدي بالتشاغل والصدّ
إلى ما التمادي؟ فالتشاغل لا يجدي
رعى الله قومًا لم يخونوا عهودهم
مدى الدهر في قرب المحلة والبعد
كتبنا فلم يرجع جوابًا لقولنا
كأني وأنتم بالجزيرة والهند
ولاريب في ترك الجواب بأنه
يخبر عن نقض الصداقة والعهد

فأجاب عليه الشيخ إسماعيل بن أحمد القحيف بقوله:

ومما لواني عن هواه وصدني
كتاب أخ لي يخلط الهزل بالجد
ومن شيمتي حفظ الصداقة والإخاء
إذا ضيّع الناس الإخاء على عمد
وخذ في عتابي ما استطعت فهذه
يميني أني لا أحول عن الودِّ

تمام حسن الجوار

تمام حسن الجوار في أربعة أشياء:

١- أن يواسيه بما عنده.

٢- ألا يطمع فيما عند جاره.

٣- أن يمنع أذاه عنه.

٤- أن يصبر على أذاه.

(تنبيه الغافلين للسمرقندي)

تحامل على دين سمح كريم

إبراهيم نويري

مما لا شك فيه أنه يوجد في بلاد الغرب أناس كثيرون عاديون ومفكرون وأصحاب رأي مسالمون ومحبون للإنسانية ومدافعون عن حقوق الإنسان بغض النظر عن معتقده أو لونه أو فكره أو لغته، وهؤلاء يستحقون التحية ومد جسور التعاون معهم لأنهم مؤهلون بحكم صفاء طبيعتهم للوصول إلى الحقيقة.. وفي المقابل أيضا يوجد تيار يعادي الإسلام وشعوبه وتاريخه وحضارته، ويظهر أن هذا التيار لا يستطيع أن ينفك أبدًا عن عقدته التاريخية الموروثة، المتمثلة في كراهية هذا الدين السمح وتعاليمه الفذّة، وكذا المتمين لعقيدته وصبغته في المشارق والمغارب.

ومنذ فترة برز من ذوي الاتجاه المذكور الكاتب السويدي «بورت موني»، حيث راح يهاجم في صفاقة متناهية وهبوط فظيع تعاليم الإسلام وشريعته وتاريخه، ويتطاول على شخصية رسول الله ﷺ ويَسِمُها (يصفها) بأوصاف مرذولة، لا تصدق في حق مصلح اجتماعي عادي، فضلاً عن أن تصدق في حق إمام الأنبياء وسيد المرسلين.

الكتاب الذي صدر لهذا الكاتب يحمل عنوان «اجتياح الإسلام».. وقد نشرته دار نشر تُدعى «بوسالا» بالسويد.. كما نشره المؤلف في موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، ضمّنه صاحبُه مئات المفتريات والأكاذيب المسيئة للإسلام وحقيقة مسار انتشاره في الأرض واعتناق الشعوب المختلفة له.. كما هاجم القرآن الكريم، واصفًا إياه بأنه كتابٌ مختلق مليء بالأساطير والقصص المستمدة من الأزمنة الغابرة، مدعيًا أن هذه القصص لا يوجد ما يثبت صحتها – يقصد المستندات المادية – كالوثائق التاريخية والنقوشات والمستحاثات، وغيرها من الأدوات والمستندات المادية التي يثبت بها التاريخ!!.. وكأن هذه الأدوات المزعومة أكثر صدقا ووثوقًا من الوحي الإلهي بمختلف وجوه الإعجاز التي يتضمنها!

إن ما يؤكد عقدة الغرب التاريخية تجاه الإسلام، ليس فقط ظهور أمثال لهذا الكاتب الحقود الجاهل بحقيقة الوحي والغيب، فهذا أمر مألوف في تراث وأدبيات الغرب النفسية والفكرية، وإنما أيضا احتضان المارقين والمرتدين والمنحرفين من حملة الأقلام ممن يزعمون انتماءهم وانتسابهم للعالم الإسلامي (جغرافيًا على الأقل)، ويحملون بعضًا من شارات المسلمين وأسمائهم وأزيائهم أحيانًا!!

يشير إلى ذلك الداعية والمفكر الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله– في معرض حديثه عن ارتداد الكاتبة والطبيبة البنغالية «تسليمة نسرين» التي تعيش حاليا في السويد، عندما هاجمت الإسلام، ووصفته بأنه دين يظلم المرأة ويهين أنوثتها ويجحد حقوقها الفطرية... حيث يقول: «قالت إذاعة لندن إن دول أوروبا الغربية أعلنت حمايتها لها (أي لهذه الكاتبة) ويسّرت لها أن تهاجر إليها، بل إن ألمانيا عرضت عليها أن تقيم فيها وتنشر آراءها على أرضها!!... إن دول أوروبا الغربية منحت «سلمان رشدي» جائزةً سَنَيَّةً (مجزية) وأبدت رضاها عن ارتداده واستعدادها للدفاع عنه... وقد عُرف الآن بين المثقفين أن الإلحاد أقصر طريق إلى الشهرة والترقية، وأن الانحراف ضمان للأمان والرضا!!..» «الحق المر، الجزء الرابع».

ولاشك في أن سباق الكثير من الكتاب في الغرب والشرق، وانتظامهم في هذا المسلك الآسن.. مسلك الإساءة للإسلام ونبيّه وتاريخه ورجاله وأبطاله.. إنْ هو إلاّ أثر من آثار أعمال وجهود ولوثات تلك الدوائر الصهيونية الحاقدة؛ إنهم يتزلفون لها ويعملون على إرضائها وتحقيق أهدافها، حتى ينالوا الجوائز العالمية والمكاسب الدنيوية.. من أجل ذلك عجبت لقول الفيلسوف الدكتور عبدالرحمن بدوي –رحمه الله– بالرغم من انعطافته الحسنة تجاه الإسلام في سني حياته الأخيرة، عندما سئل قبل وفاته بأيام قليلة عن وجهة نظره إزاء تأثير الصهيونية العالمية في توجيه جائزة نوبل العالمية الشهيرة، فقال «والله شخصيًا أستبعد ذلك»!! بالرغم من أنه يعلم بأن هذه الجائزة ينقصها الكثير من شيم النبل والشفافية والمصداقية.

ينبغي على حملة الأقلام وأهل التنوير من مثقفي الإسلام أن يلتصقوا بدينهم وتاريخهم وتراثهم عن حب وإعزاز، وذلك يقتضيهم التصدي لعصابات الغزو الثقافي الغربي، وبذل الجهد والوسع في بيان حقيقة تعاليم الإسلام وتميّز حضارته وأنظمته المختلفة، بالأدلة القوية والبراهين الدامغة، سعيًا لإقناع ذوي الضمائر الحية النظيفة من الأحقاد والضغائن الموروثة في ديار الغرب..

الوعي الإسلامي

في

معرض الكتاب الإسلامي 36

الوعي الإسلامي

اصدارات

جديد

«علماء وأعلام كتبوا في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية» هذا الكتاب يحتوي على مقالات حصرية لـ ٣٥ عالماً من علماء الأمة الإسلامية نشرت في المجلة ما بين عامي (١٣٨٥هـ - ١٤٢٦هـ) والإصدار في جزأين.

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com